
جامعة الملك سعود
King Saud University 1957

٢٠م ح المنح المكية في شرح الهمزية، تأليف أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، السعدي، الأنصاري، شهاب الدين، شيخ الاسلام، أبي العباس (٩٠٩-٩٧٤هـ). كتبت سنة ١٢٩٧هـ.

٢٩٧ ق ١٧ س ٢٤×١٧ سم

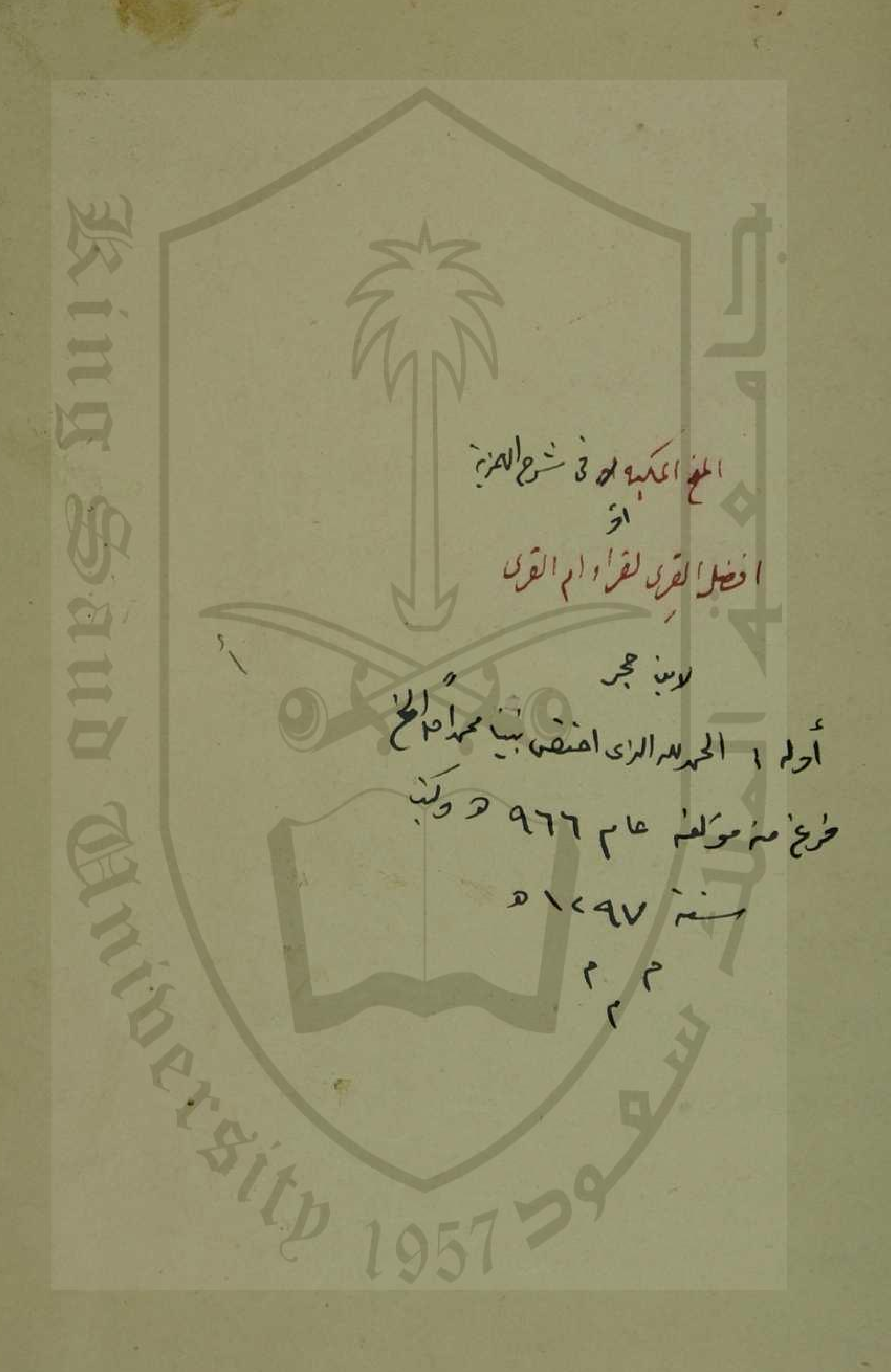
نسخة جيدة، المتن بالحمرة، خطها نسخ حسن، طبع.

الأعلام ١: ٢٢٣، كشف الظنون ٢: ١٣٤٩

١- الشعر، العصر التركي والمملوكي، أدب اللغة العربية

أ- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد -٩٧٤هـ ب- تاريخ النسخ ج- أفضل القرى لقراء أم القرى د- شرح الهمزية

هـ- شرح أم القرى في مدح خير الورى.



المنح المكية في شرح الهمزية

أو

افضل القرى لقراء ام القرى

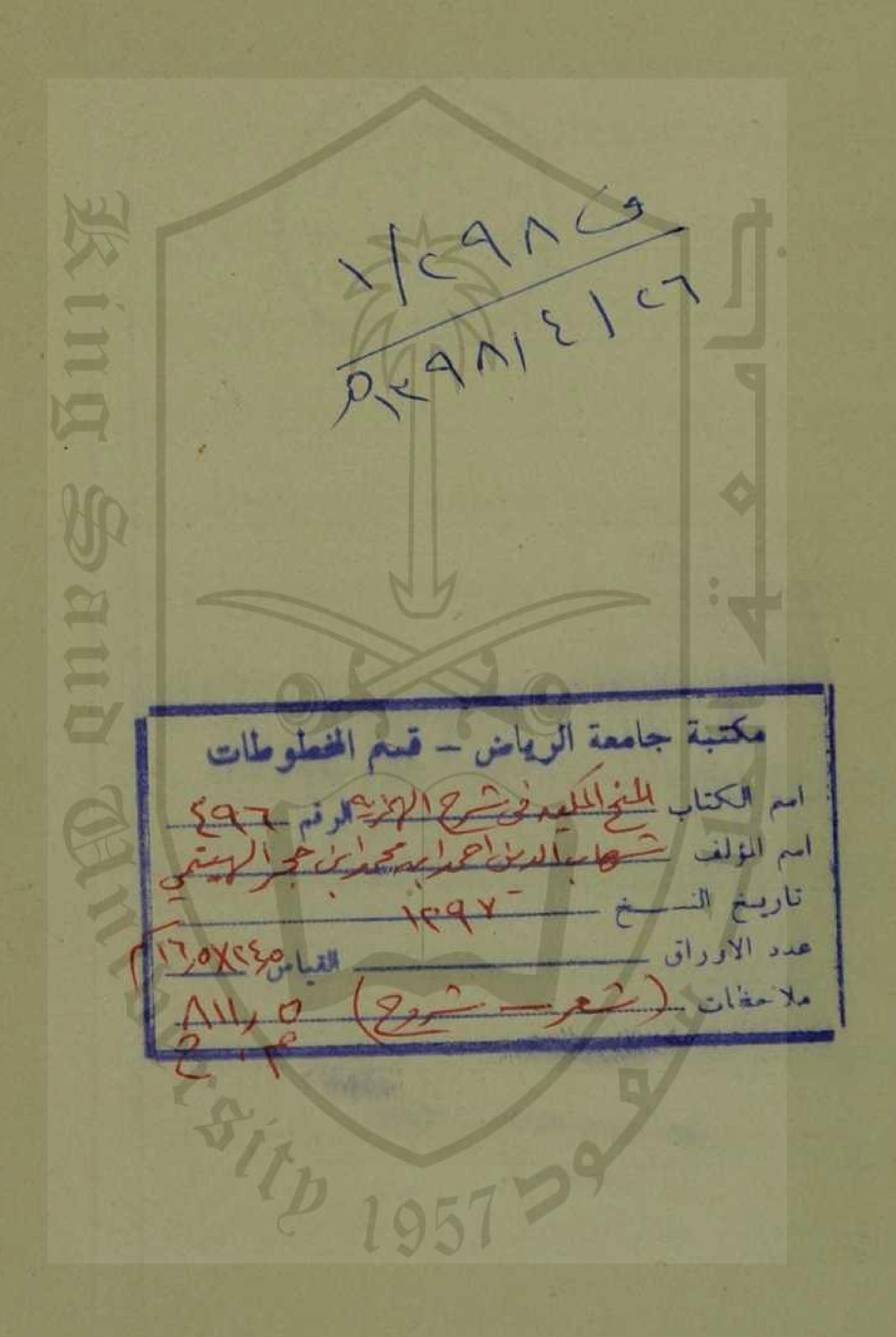
لابن حجر

أوله : الحمد لله الذي اختص نبيه محمداً الخ

فرغ منه مؤلفه عام ٩٦٦ هـ وكتب

سنة ١٢٩٧ هـ

م م
م



بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير ويسر

الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب اخرس الفصحاء واعجز البلغاء
عن التفوه بمثل اقصر سورة من سوره بل اية من اياته وبجوامع الكلم وبدايع الحكم وعظيم
الخلق في ساير اقواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات بهرت
العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره واياته وبخصوصيات قطعت
الخلايق ان يصلوا الشاؤ علاه وكمال شرفه وشرف كمالاته وبامة سطع عليها بدر وجوده
في افق سعوده وافاض عليها فايض جوده في عالم شهوده فاثار من اخلاقها وعقولها
وكمل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وراض ما
استصعب من ابائها واغاض ما اشرأب من شعوائها ما صارت به خير الامم والعدول
الشهود على من عليهم تقدم بنص القرآن القطعي البرهان القاصم لظهور المعاندين
وترهاتهم واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان اوصافه
السنية واحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب الناس في هذه الفنون
كل مذهب واظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب لحبائهم بلحظه واسعافه و
امداداته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك عناياته
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخوارق هباته والمفوض اليه امداد
الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالي القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم وعلى
اله واصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زايغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط المستقيم

بايضاح

1

بايضاح كلياته وجزئياته صلوة وسلاما دائمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه
واهل طاعاته **وبعد** فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد ان كمالات نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصايصه
ومعجزاته لم يجتمع قط في مخلوق وان حقه على الكمل فضلا عن غيرهم من اعظم الحقوق
وانه لا يقوم احد ببعض ذلك الا من بذل وسعه في اجلاله وتوقيره واعظامه
واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه واحكامه وان المادحين لجنابه العلي والواصفين
لكماله الجلي لم يصلوا الا الى الاقل من كل ما لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى
غايته ومن ثم كان ابلغ بيت هنا المطلع الاتي كما يعلم مما يأتي فيه وفي بردة المديح
فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم ثم ما يليه دع ما ادعته
النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ثم ما يليه فمبلغ العلم فيه
انه بشر وانه خير خلق الله كلهم ثم ما يليه فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم
يدانوه في علم ولا كرم فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما يتعين
عن ذلك كيف واي كتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة عن
صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وقد قيل ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه من
بعد ما مدحت حم تنزيل فعلم انه لو بالغ الاولون والاخرون في احصاء
مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان المسلم
بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه هذا

البيت وعلى تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف وانه لحقيق بقول

القائل ؛ فما بلغت كف امرئ متناول ؛ من المجد الا والذى قال اطول ؛ ولا بلغ المهدون

فى القول مدحه ؛ ولو حذقوا الا الذى فيه افضل ؛ ولابن خطيب الاندلسى ؛ مدحتك

ايات الكتاب فما عسى ؛ يثنى على علياك نظم مديح ؛ واذا كتاب الله اثنى مفصحا ؛ كان

القصور قصاد كل فصيح ؛ وقد روى لعارف المحقق السراج ابن الفاض السعدى

رحمه الله فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى عليه الصلوة والسلام اى بالتصريح

والا فظمه فى الحقيقة اما فى الحضرة الالهية اوفيه صلى الله عليه وسلم فقال ارى كل

مدح فى النبى مقصرا ؛ وان بالغ المثنى عليه واكثرا ؛ اذا الله اثنى بالذى هو اهله ؛ عليه

فما مقدار ما يمدح الورى ؛ قال البدر الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين

كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من

اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون

وصفه وصفته وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من

كثير هذا وان من ابلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن

ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من مآثره

وخصائصه ومعجزاته وافصح ما اشارت اليه منظومة من بديع كمالاته ما صاغه صوغ

التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المتقن المحقق

البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وافصح الحكماء الشيخ

شرف

شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن منهاج بن

هلال الصنهاجى كان احد ابويه من ابوصير الصعيد والاخر من دلاص فركبت النسبة

منها فقيل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة

ثمان وستمائة واخذ عنه الامام ابو حيان والامام اليعمرى ابو الفتح ابن سيد الناس

ومحقق عصره العز ابن جماعة وغيرهم توفى سنة ست او سبع وتسعين وستمائة على ما

قاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه سنة اربع وتسعين وستمائة

وكان من عجائب الدهر فى النثر وفى النظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة

التى تسبب نظمها عن وقوع فالج به اعيى الاطباء ففكر فى اعمال قصيدة يتشفع بها اليه

صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته

ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها احدا فقال سمعتها

البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطاه اياها

وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه

شيئا منها فتفل فى عينيه فبرئ لوقته فكفاه بذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت

شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى

صنعة الكتابة على الحمايات وباشر ببلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب

ابا العباس المرسى رضى الله عنه وارضاه وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه فعادت

عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى ان فاق اهل زمانه ورزقه الله من الشهرة

والمظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه فرحمه الله ورضى الله عنه من قصيدته الهمزية
المشهورة العذبة الالفاظ الجزيلة المبانى العجيبة الاوضاع البديعة المعانى القديعة
النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى ان الامام
البرهان القراطى المولود سنة ستة وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى
وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم العقلية والنقلية وتقدمه
على اهل عصره فى العلوم العربية والادبية لاسيما فى علم البلاغة ودقة الشعر واتقان
صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته وبدايته اراد ان يحاكيها ففاته السبب وانقطعت
به الحيل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى ادب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة
رسمها وبلاغة جمعها وبداعة صنعها وامتلاء الخافقين بانوار جمالها وادحاض
دعاوى اهل الكتابين ببراهين جلالها فهى دون نظايرها الاخذة بازمة العقول
الجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على
قطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرأب الى محاكاة تلك المحكيات والسالمة من عيوب
الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على اخر وضرب على اخر ومن حيث القوافى
كالايطاء وهو تكرر لفظ القافية بمعناه قيل سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو
اختلاف حرف الروى والاقواء وهو اختلاف حركته لكنها وان شرحت وتعاورتها
الافكار وخدمت تحتاج لشرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات
الالباب مع الاختصار ويظهر مخبيات اسرارها ظهور الشمس فى رابعة النهار

ويفتح معضلات معمياتها عما قد يوجب القصور والعثار وينبه على فوائدها وينوه بجلالة
نفايس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدايع
تأنقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى فى شرح كذلك وانا كنت هنالك راجيا ان اندرج
به فى سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ مدده
ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا ساير امورى اليه وسائلا
منه بدايع الطافه وتتابع اتحافه وتيسير هذا المطلب وانجاح هذا المارب انه الجواد
الكريم الرؤف الرحيم وسميته المنح المكية فى شرح الهمزية ثم بلغنى ان الناظم سماها ام
القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها حوت بطريق التصريح والايماء ما فى اكثر المدائح
النبوية وحينئذ سميته افضل القرى لقراء ام القرى وقد بين شارحها الامام
المحقق فى العلوم الالية والشرعية الشمس الجوجرى شيخ مشايخنا رحمه الله وشكر
سعيه بحرها وعروضها وضربها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما اطال
فيه لكنه ليس له كثير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج
اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرف يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه الا اليسير منه
والكثير وخلاصة شيء منها انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء
سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخله الخبن
فى مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه اخف بل وفى جميع اجزائه فيحذف
ثان كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض والكل غير السابع

اذ لايوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تفقد صورة
الوتد فيصير مفعولن على ثلثة اسباب خفيفة ووقع في كثير من ابيات هذه القصيدة
وهو من جملة الزحاف وان اجري مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين
ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس هنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التى
هى الروى والقافية قيل اخر كلمة من البيت والاصح انها من اخر حرف متحرك منه قبل
ساكنين فقافية البيت الاتى على الاول لفظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وسرة كثرة
ما راعاه الناظم من انواع البديع لاسيما الاقتباس القرآنى لكن فيه كلام منتشر للعلماء
وخلاصة الحق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله
العلماء قاطبة فى خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالنصوص والنقول
فقد استعمله النبى صلى الله عليه وسلم فى غير ما حديث والصحابة والتابعون والعلماء قديما
وحديثا ونصوا فى كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال مالك
رضى الله عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر وعياض وقد نقل
الشيخ داود المناخلى اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفى شرح مجمع البحرين
لابن الساعاتى التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يزاد على لفظ القرآن او ينقص
منه او يغير اعرابه وان لا وقال السكاكى اعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا
يمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة
الا بالتمرن فى علمى المعانى والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة الفصيح والافصح والارشق

والارشق

والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان التى تكون ادون فى المحاسن
قد تكون اعلى منها فى العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك
بالذوق والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا
انفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة
فاليه يرجع فى فضل بعض الكلام على البعض ولكون علم المعانى والبيان والبديع بهذه المثابة
كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعانى والبيان والبديع
حادثة من المتأخرين كما اشار لذلك الكمال بن الانبار والعسكرى وغيرهما وقد حصلت
لى رواية هذه وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل اعلاها انى ارويها عن
شيخنا شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ والمتأخرين المحيى زكريا الانصاري الشافعى عن العز
الحب محمد بن الفرات عن العز عز بن بدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن
حجر عن الامام المجتهد السراج البلقينى والسراج بن الملقن والحافظ زين الدين العراقى عن
العز بن جماعة رحمهم الله تعالى عن الناظم وارويها ايضا عن مشايخنا عن الحافظ
السيوطى عن جماعة منهم الشمنى بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن على بن عبد الله
الحنبلى كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله تعالى امرين مهمين
احدهما البداية بالبسملة للحديث الحسن والصحيح كل امر ذى بال اى حال يهتم به لا يبدأ
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم اى مقطوع البركة ولا ينافيه رواية بالحمد لله لان
القصد البداية باى ذكر كان كما افادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة

والحمدلة لبيان افضل الذكر لاغيره ومن ثمّ ابتدء القرأن بها ولم ينظر الناظم اليها قيل انّ
الشعر لا يبدء فيه بالبسملة لانّ محلّه على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت
على افضل العلوم والمعلومات فهي احق بالبداية بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ما هو
الاحقّ بالرعاية على كلّ بليغ من براعة المطلع وهي سهولة اللفظ وصحّة السبك و وضوح
المعنى ورقّة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعنى وعدم تعلق البيت بما بعده وليسمّى
ايضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال في النظم والنثر بان يكون
مبتدء الافتتاح دالّا على ما بني ذلك النظم والنثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول
ابي تمام السيف اصدق انباء من الكتب لما كان غرضه بذلك ذكر الفتح والتحريض على
الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جمع تلك الشروط و زيادة كما لا يخفى على
متأمل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره
و لذلك كان جميع ما بعده من المدح الى اخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع
فلله درّه من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظم بمثله **كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ**
يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ هي في الاصل اسم مبني لتضمّنه معنى حرف الشرط او
الاستفهام على الفتح لخفته وعلى الحركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليها نحو
ينفق كيف يشاء وجوابه محذوف للالة ما قبله عليه والاستفهام وهو الغالب اما
حقيقيا نحو كيف زيد او غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما
يأتي وكما في الايتين الاتيتين ويقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف انت وحالا قبل ما يستغني

نحو كيف جاء زيد اي على اي حالة جاء ومنه ما هنا في النظم اذ هي حال من فاعل ترقى اي
على اي حالة ترقى الانبياء رقيك اي لا يكون كذلك ولا كان وعن سيبويه انها ظرف نحو ضعها
نصب دائما وتقديرها في او على اي حال وجوابها المطابق على خير ونحوه وانكر ذلك الاخفش
والسيرافي فموضعها رفع مع المبتدء نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد اصحيح زيد
ونحو كيف جاء زيد اراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل
احد انّ كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على اي حال
لكونها سؤالا عن الاحوال العامّة سميت ظرفا لانّها في تأويل الجارّ والمجرور واسم الظرف
يطلق عليها مجازا قال ابن هشام وهذا احسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم
بها عن حال الشيئ لا عن ذاته قال الراغب وانّما يسأل بها عما يصحّ ان يقال فيه شبيه وغير
شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكلما اخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه
فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب والتوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله
كيف يهدي الله قوما وفرق الزمخشري بين كيف والهمزة بانّ كيف سؤال تفويض لاطلاقه
فكانّ الله في الاية الاولى فوّض اليهم الامر في ان يجيبوا باي شيء اجابوا ولا كذلك
الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت فانك تقول أاجدك راكبا ام ماشيا فتوقت وتحصر
ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال كلها
والكفّار حين صدور الكفر عنهم لا بدّ ان يكونوا على احدى الحالتين امّا عالمين بالله
او جاهلين به واذا قيل كيف تكفرون بالله افاد في حال العلم تكفرون ام في حال

الجهل هذا معنى التفويض في الاية **ترقى رقيك** الخ الحسّى فماضيه مكسور القاف من
رقى السلّم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة المشرفة ليلة الاسراء
قبيل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام
فى تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف
الحقيقى وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل والمعنوى من رقى
بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق اخر اكمل واعظم
وهكذا الى ما لا غاية له ففى كلامه استعمال المشترك فى معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز
وهو الاصح عندنا فى الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم
المجاز **الانبياء** جمع نبى فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبأ يهمز وقد لا يهمز تخفيفا
وهو الخبر فانه مخبر عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة
على غيره من الخلق وهو حر ذكر من بنى ادم سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب
لم يكن عمى حقيقيا اوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان امر فرسول ايضا وان لم يكن
له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبى ولا يطلق
على غير الادمى كالملك والجن الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفى من
الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره فى الاول اذ هو الجاء عما يتعبد
به هو وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه فان قلت نفى رقى الانبياء رقيه
لا يستلزم نفى رقى الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما

هو نفى رقى كل منها رقيه ولم تف به عبارته قلت ممنوع بل هى وافية بل مصرحة به لان
قوله ما طاولتها سماء صريح فى نفى رقى الكل رقيه كما يعلم مما يأتى فى شرحه لان النكرة
فى حيز النفى للعموم وفى انه اراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل على ان المحقق الكمال بن
الهمام نقل فى مسايرته ان المحققين على ترادف النبى والرسول فلعل الناظم ممن يرى
ذلك وان كنت رددته فى شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصحيحة فى عدد الانبياء
والرسل وسيأتى بعضها وايضا فنفى الحقيقة مطلقة كالنبوة التى تضمنها لفظ الانبياء
هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر
الرسل فتامل **تنبيهات** منها ما صرح به كلامه لما مر فى معنى كيف انه استفهام
متضمن لنفى رقيهم كرقيه وللتعجب ممن يتشكك فى ذلك وهذا اولى ممن قال وللتعجب
من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقى بمعنييه السا
وانه المنفرد بغاية كمال التشرف والرفعة اجماعا اما الحسى الاول فواضح واما المعنوى
الثانى فكذلك عند من تامل اى القرأن وما اشتملت عليه مما تصريحا او تلويحا من
الاشارة الى نافة قدره العلى عنده وانه لا مجد يساوى مجده وقال المفسرون فى ورفع
بعضهم درجات يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشرى فى هذا الابهام من
تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى لا يشتبه
والمتميز الذى لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان اياته ومعجزاته اكثر وابهر اذ ما
من معجزة نبى قبله الا وله مثلها او ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتى بعضه وزاد

معنى ان خيرية الامة تستلزم خيرية نبيها

عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانّه لا تتناهى معجزاته
ولا تنقضي اياته وانّ امته اذكى واكثر واخير واطهر من بقيّة الامم بنصّ كنتم خير
امّة اخرجت للنّاس وخيريّة الامّة تستلزم خيريّة نبيّها وافضليّة دينها اذ لا شكّ
انّ خيريّتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيّهم وانّ صفاته اعلى واجلّ وذاته
افضل واكمل كما يصرّح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانّه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف
الحميدة ثمّ امره ان يقتدى بجميعهم وذلك يستلزم ان يأتى بجميع ما فيهم من الخصال
الحميدة فاجتمع فيه ما تفرّق فيهم وفى حديث الشّفاعة العظمى وانتهائها اليه
بعد تنصّل كلّ منها واعترافه بانّه ليس اهلاً لها التّصريح بذلك ايضا وكذا الحديث
الصّحيح انا سيّد ولد ادم وفى رواية انا اكرمهم على ربّى وفى حديث التّرمذى
انا سيّد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبىّ ادم
فمن سواه الّا تحت لوائى وهذا صريح فى دخول ادم كحديث البخارى وغيره انا سيّد
النّاس يوم القيمة وحديث انا سيّد العالمين صحّحه الحاكم واعترض وبذلك
يعلم افضليّته على الملائكة لانّ ادم افضل منهم بنصّ الاية ويؤيّده الحديث الاتى
على الاثر ليس احد من الملائكة وحديث التّرمذى الحسن كما بيّنه البلقينى فى
فتاويه رادّا على التّرمذى وانا اكرم الاوّلين والاخرين وهذا صريح فى شموله
للانبياء والملائكة جميعهم وحديث قال ادم يا ربّ اسئلك بحقّ محمّد صلّى الله عليه
وسلّم الّا ما غفرت لى الحديث وفيه انّه تعالى قال يا ادم كيف عرفته ولم اخلقه

قال

قال يا ربّ لما خلقتنى بيدك اى قدرتك الباهرة ونفخت فىّ من روحك اى سرّك
العجيب الّذى لا يعلم احد حقيقته غيرك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا
لا اله الّا الله محمّد رسول الله فعلمت انّك لم تضف الى اسمك الّا احبّ الخلق اليك قال الله
تعالى صدقت يا ادم انّه لاحبّ الخلق الىّ واذ سألتنى بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمّد
لما خلقتك صحّحه الحاكم واعترض لكن صحّ عن ابن عبّاس وله حكم المرفوع ولولا محمّد ما خلقت
ادم ولولا محمّد ما خلقت الجنّة والنّار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت
عليه لا اله الّا الله محمّد رسول الله فسكن وفى روايات اخر ولولاه ما خلقت السماء ولا الارض
ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنّة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا
وصحّ انا اوّل من تنشقّ عنه الارض فالبس حلّة من حلل الجنّة ثمّ اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الملائكة يقوم ذلك المقام وفى رواية ذكرها السّراج البلقينى فى فتاويه انّه
تعالى قال له قد مننت عليك بسبعة اشياء اوّلها انّى لم اخلق فى السّموات والارض
اكرم علىّ منك وفى اخرى ذكرها ايضا انّ جبرئيل قال له ابشر فانّك خير خلقه وصفوته
من البشر حباك الله بما لم يحب به احدا من خلقه لا ملكا مقرّبا ولا نبيّا مرسلا الحديث
وصحّ عن بحيرا وهو من علماء اهل الكتاب الّذين لا يقولون شيئا الّا عنه هذا سيّد
العالمين وصحّ ايضا عن عبد الله بن سلام الصّحابى الجليل امام اهل الكتاب بشهادته
صلّى الله عليه وسلّم انّه ذكر بالمسجد يوم الجمعة اصورا منها وانّ اكرم خليقة الله على الله
ابو القاسم صلّى الله عليه وسلّم فقيل له فاين الملائكة فضحك وقال للسّائل يا ابن اخى هل

ندرى ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال
وسائر الخلق التى لا تعصى الله شيئا وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
وبين السراج البلقينى ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك فانه من اجلاء الصحابة فلا يقول
الا عنه صلى الله عليه وسلم او عما صح عن التوراة قال واختار الباقلانى والحليمى افضلية
الملائكة يمكن حمله على غير نبينا وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشى او على
تفضيل فى نوع خاص لانه قد يوجد فى المفضول مزية بل مزايا لا يوجد فى الفاضل ثم قال
ولا يظن باحد من ائمة المسلمين انه يتوقف فى افضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك
سائر الانبياء واطال فى الحط والرد على من توقف فى ذلك وزعم ان هذا ليس مما
كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد
على كل مكلف والبيان بسوق ادلتها وايضاحها على كل من تأهل لذلك وقد صح فى
الحديث المشهور ثلث من كن وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وتامل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل صريحا فى كل ما ذكرناه ومنها ما افاده
كلامه من جواز التفضيل بين الانبياء هو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة
الصحيحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم
وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلونى على الانبياء لا تفضلوا بين
الانبياء لا تخيروا بين الانبياء فهى اما قبل علمه بالتفضيل وانه افضلهم واما
محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل او على تفضيل يؤدى الى تنقيص او الى احط من

مقام

مقام احدهم وعليها يدل سياق الحديث او على التفضيل فى ذات النبوة او الرسالة فانهم
كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف
والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل بالرأى ليس فى محله لان تفضيل ذلك
بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه واما الحديثان الصحيحان لا ينبغى
لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
فحكمة التخصيص فيهما بيونس نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب من الحق لاختلاف محلهما
الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس على نبينا وعليه
الصلوة والسلام الى قعر البحر اى لا تتوهموا من هذا التفاوت الصورى تفاوتا فى القرب والبعد
من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان
فهو نهى عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ومنها ان قوله الانبياء يشمل من عرف
منهم ومن لم يعرف قال الله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك واختلفوا فى عدد من عرف منهم والمشهور فيه ما فى حديث ابى ذر عن
ابن مردويه فى تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جم غفير فقلت يا رسول الله
من كان اولهم قال ادم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح واخنوخ
وهو ادريس وهو اول من خط القلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيك يا ابا ذر واول نبى من بنى اسرائيل اى من بعد اولاد اسرائيل وهو يعقوب

بحث عدد من عرف من الانبياء

صلى الله على نبينا وعليه وعليهم وسلم موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم
نبينك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان فى كتابه الانواع والتقاسيم
وصححه لكن خالفه ابن الجوزى فذكره فى موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام
قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل
هذا الحديث والله اعلم وبينت فى شرح المنهاج فى الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة
الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وخمسة عشر صحيحان فاعلمه وروى
ابو يعلى كان فيمن خلا من اخوانى من الانبياء ثمانية الاف نبى ثم كان عيسى بن مريم
ثم كنت انا يا حرف النداء للبعيد والقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد
مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق او تسامى سماء بالتنوين والنصب لانها
نكرة موصوفة وهى من حيز التشبيه بالمضاف فينصب لا غير على الاصح وقال الكسائى
يجوز فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة
اليها ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا والضم اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت
زيدا تنبيه لا يأتى هنا الخلاف فى النكرة الغير المقصورة وهو قول الاصمعى لا ينادى
مطلقا والمازنى لا يتصور نداؤها لانه يقتضى الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضى
عدمه قال وما جاء منونا فضرورة والكوفيين شرط صحة ندائها ان تكون صفة فى
الاصل حذف موصوفها نحو يا ذاهبا والمنع ان لم يكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال
الاربعة حيث لم يوصف النكرة بمفرد او جملة او ظرف والا جاز ندائها مطلقا اتفاقا

فان

6

فان قلت ما هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتى وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء
كما تقرر وحكمها متناف فان قصدها يوجب بنائها على الضم ووصفها يوجب نصبها
على الاصح كما تقرر فى المغنى منهاج قلت لم ار للنحاة فى مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا
فى المقصودة البناء وفى الموصوفة النصب ومفهومها متخالف اذ اطلاق الموصوفة
يقتضى انه لا فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضى انه لا فرق
بين الموصوفة وغيرها الا يقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا للقصد
معه لانا نمنع استلزامه اذ لا بدع ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا خذ بيدى من غير
ان يقصد احدا بعينه لكن لا يبعد ان يدار الامر فى نحو هذه الصورة على نظر الناظر
فان اعتبر الوصف اجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه وهو انه
يجوز تنوينها للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم او الاولى النصب فالخليل
وسيبويه والمازنى على الاول علما كان او نكرة مقصودة وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد
على الثانى ردا الى اصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه فى الضرورة واختار ابن
مالك فى شرح التسهيل ابقاء الضم فى العلم والنصب فى النكرة المعينة لان شبهها
بالمضمر اضعف وبعض المتأخرين عكسه وهو اختيار النصب فى العلم لعدم الالتباس فيه
والضم فى النكرة المعينة لئلا يلتبس بالنكرة الغير المقصودة اذ لا فارق ح الا الحركة
لاستوائهما فى التنوين اذا تقرر ذلك فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثانى
والثالث النصب والذى اقوله ان الضم متعين هنا على الكل لان الظ خلافا لما يوهمه

مبحث ان الانبياء كلهم افضل من الملائكة

الرأى الرابع ان محل الخلاف حيث لا الباس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب

عليه محذور لايهامه ان السماء الاولى نكرة غير مقصودة وح يفسد المعنى لان النكرة

الغير المقصودة لا يصح نفى مطاولة نكرة غير مقصودة ايضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى

نكرة مقصودة كما هنا اذ هى اسم جنس يشمل ساير الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى

هى التى لا تطاولها سماء اى مرتفع غيرها لانه لم يوجد فى هذا الوجود ارفع منها فتامل ذلك

حق التامل فاحفظه فانه مما يتعين استفادته لاسيما مع النظر لما قاله الشارح مما لم يعثر

على شيء مما ذكرته **ما** نافية **طاولتها** اى غالبتها فى الطول والارتفاع **سماء** وهذا

الشطر الثانى كالدليل للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق احد منهم ارتقائك لانه لم

يستطع مطاولتك فى ارتقائك الحسى ولا المعنوى وان كانت درجاتهم كلها

ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى

ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الاية صريحة فى فضلهم على جميع الملائكة بل

الخلق اذ العالم ما سوى الله وانما جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ السماء

الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثانى لبقية الانبياء لان السماء اعلى ما يرى

من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملائم للمستعار

منه **لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلَاكَ وَقَدْ حَا … لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ**

جملة مستأنفة على ما يأتى فيكون من اسلوب الحكيم او حال من فاعل ترتقى **فى علاك**

جمع عليا تأنيث الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا فى المكان وعلى بالكسر يعلى بالفتح فى الشرف

قال

قال الشارح ولما كان نفى المطاولة لا يلزم منه نفى المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح

بذلك وتبعه غيره فقال ولما لم يلزم من نفى المطاولة نفى المساواة اشار الى نفيها وان

كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح انتهى وهو عجيب مع ما مر فى كيف انه افاد

بطريق التصريح نفى رقى احد منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تأكيد

واطناب فقط على ان لذكره فائدة اخرى هى البرهان عليه بطريق اخرى وح يكون ما

سلكه من ذكر الجملة الاولى فى شطر البيت الاول والبرهان عليها بما فى الشطر الثانى

ثم اعادتها بمعناها بما فى اول البيت الثانى والبرهان عليها بما فى بقيته من بديع تحققه

وكمال بلاغته **و قد حال** اى حجز ومنع جملة مستأنفة او حالية من الفاعل او المفعول

وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين قالوا لتقرب الماضى من الحال واعترضهم

السيد المحقق الجرجانى وتبعه المحقق الكافيجى وغيره بان هذا غلط منهم سببه اشتباه

لفظ الحال عليهم فان الحال الذى تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات

وكذلك رده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان كما هو شأن الحال وعاملها وح لزم من

تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها فى الزمن فتامله فانه مهم اذ تغليط

اولئك الائمة الذين لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على

الاول بعيد كتخصيصه له بفاعل ترتقى البعيد دون فاعل يساووك القريب وان كان

متعمدا والاولى لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان او التعليل لما قبلها كذا قيل وفيه

نظر لان الحالية تفيد ذلك هناك ايضا على انها الظاهر المتبادر **سنا** بالقصر

اىضوء عظيم ظاهر منك خصك الله به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين
والآخرين وغيرها التى اختصه الله بها وامره ان يساله بان يزيده منها وهذا مقتبس
من تسميته تعالى للقران نورًا فى ايات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الّذى انزل معه
وعما اختصه الله به من جماله الظاهر عما اتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه كوسف
فضلا عن غيره كما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما ابان الله رفعته فيه الى
الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورًا
فى نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله تعالى
يجعل كلًّا من حواسه واعضائه وبدنه نورًا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله عليه به ليزداد
شكره وشكر امته على ذلك كما امرنا بالدعاء الّذى فى اخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله به
لذلك ومما يؤيده انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له
ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من ساير الكثايف
الجسمانية وصيره نورًا صرفا لا يظهر له ظل اصلا خرقا للعادة كما خرقت له فى شق صدره وقلبه
مرارا ولم يتاثر لذلك **دونهم وسنا** بالمدّى رفعة عظيمة اوتيتها لم ينته اليها مخلوق ع
انتفت مساواتهم له لمانع منعهم عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك
الرفعة اللّذين لم يصل احد الى ادنى مبادى شاوهما فضلا عن كماله وفى جعله هذين حاجزا
استعارة تجريدية كما ان فى جمعها الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت
ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف فى اخره كقولهم العارذ ل

العارف

١١

العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص منها نحو الساق والمساق ويسمى بالمردوف لان حرف
الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس ونحو ذا وذو ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة ه
مكتنف اى متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو من آمن ويسمى
متوجا ونحو مجا ومجاهد وجوا وجوانح وسماه فى التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان
الزائد من خره حرف او اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا **تنبيهٌ** الجناس
تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ
تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا اكثر منه الناظم فى هذه القصيدة وربما تركت التنبيه
على كثير منه فى محله استغناء بظهوره او تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب
الميل والاصغاء فمحل مراعاته ما لم يعارضه فوت المعنى ويمكنه مع فقده والا لم يراع ومن
ثمة قال تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فلم يقل مصدق رعاية لجناس الاشتقاق
لان معنى قولك فلان مصدق لى انه يقول لى صدقت ومعنى مؤمن لى انه صدقنى وامننى
والمقصود الثانى لا الاول فترك الجناس لذلك وترك ايضا فى اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين اما لان التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد والاحسان لا فى
مقام التهويل او لان يدع اخص من يذر لانه ترك الشئ مع سبق الاعتناء به فلو قيل
تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له
مطلقا فتعين تذرون مبالغة فى التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية فى الاعراض عن
ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء فى قوله لو قال وتدعون

حديث ان النبى صلعم اذا مشى فى شمس وقمر لا يظهر له ظل

اوله ولست بمستبق اخا لا تلمه ٥ على شعث اي الرجال المهذب

لداعي الجناس وبقيت اجوبة اخرى ليست بذاك فلهذا تركتها وفي قوله وقدائح التذييل
وهو ان يؤتى بعد اتمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى العلة لتوكد ما قبلها وتحققه
كقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول النابغة اي الرجال
المهذب بعد قوله ولست بمستبق تنبيه ثانٍ سيمر بك ذكر استعارات بليغة
تحتاج لمعرفتها في هذه القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شيء مما يتعلق بها وحدها انها
مجاز يتضمن تشبيه ما عُني به بما وضع له فهي مجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع
له لعلاقة المشابهة ومن ثمه احتاجت لقرينة كرايت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك
طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع قطع
في كل قطع المسافة او لا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار
طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبارات كلا اما عقلي واما حسي ثم اللفظ المستعار ان كان
اسم جنس ولو تأويلا كعلم اشعر بوصف سميت اصلية او فعلا او مشتقا منه بان يقصد
به المعنى القائم بالذات او حرفا فتبعية لان الاستعارة يعتمد التشبيه المقتضي لكون المشبه
موصوفا بوجه الشبه او مشاركا للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقايق اي الامور
الثابتة دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلايم احد طرفيها سميت
مطلقة او بما يلائم المستعار له فمجردة او بما يلايم المستعار منه فمرشحة وهي ابلغ لان مبنى
الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه
او كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد

فاذا

في امر اني اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى وبقي من اقسامها الاستعارة بالكناية
والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان غير داخلين في تعريف المجاز
فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك
التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية
واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به انما
مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق
وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص امر باخر
بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضا باثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه وينقسم
قصر
الى قسم الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو
ما زيد الا كاتب اي لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة
واحدة فقط ولم يقع منه شيء في القرآن والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي
مقصور على الرسالة لا يتعديها الى التبري من الموت الذي استعظموه هولاء عن
كونه من شأن الاله وانكر قوم افادة انما له ويرد عليهم ايات كثيرة نحو انما
العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثمه كان
مفاد انما قائم زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته
له ونفي غيره عنه مثلوا اي صوروا الانبياء او الواصفون لشمائلك وهو الاقرب
وان لم يجر لهم ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب صفاتك جمع صفة

بحيث ان [illegible]

وهو ما دلّ على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض ومعقول كالعالم **للناس** من الانس

فيختص ببني آدم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا الا التعويض اعنها للجمع بينهما او من نوس

اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذى فى القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس

اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال وناس الابل ساقها اوانا سه حركه **لك** نعت لمصدر

محذوف مفعول مطلق لمثلوا اى تمثيلا مثل **ما** مصدرية **مثل النجوم الماءُ** واصله موه

بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق

خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبياء ان ما شاركهم فيه من الصفات

وان كانت لم يصل لادناها غيرهم الا انها فيه بلغت من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهى فيه

حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التى ترى فى الماء دون

حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلى كقول الموحد

انبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء انهم نعتوا صفاته الكريمة

لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا لتصوير كنهها لعدم احاطتهم بها وانما غاية

ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها

لا غير وفى هذا من الابلغية فى المدح ما لا يخفى لان الانبياء مع كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن

ادراك حقايق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما يأتى فى قوله الا

بشرت قومها بك الانبياء لان ذلك فى مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا فى بيان

صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف وتفننوا فى

ايرادها

ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا

اللوائح منها وعجزوا عن ادراك شيء من حقايقها كما ان غاية من يرى النجوم فى الماء انه يدرك

مبادى اوصافها ويعجز من ادراك حقايقها وقد شرح الناظم هذا فى بردة المديح بقوله

اعي الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل ايضا بناء على المعنى الاول

لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفى المساواة بل فى الحقيقة القصيدة كلها برهان

على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ولما تقرر ان ما اوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها

بل ولا حقايقها زاد ذلك تقريرا وتمكينا فى النفوس فقال **اَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا**

يَصْدُرُ اِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْاَضْوَاءُ انت ايها العلم الفرد الذى لا يساوى بل ولا يدانى

مصباح اى سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا **كل** اسم موضوعه

لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم القيمة

فردا او اجزاء للفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر

اى على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم يكن نعتا لنكرة ولا توكيدا

لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال

واعلم انها حيث اضيف لمنكر وجب فى ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شيء فعلوه وعلى كل

ضامر يأتين او لمعرف جازت مراعاة لفظها فى الافراد والتذكير ومراعاة معناها وكذا اذا

قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث وقعت فى حيز نفى بان

سبقها اداته او فعل منفى نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم آخذ لم يتوجه النفى الا لسلب

شمولها فيفهم اثبات الفعل لبعض الافراد مالم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال
فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه لاجماع على تحريم الاختيال والفخر
مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك
لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته
وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ **فضل** وكمال برز لغيرك في الوجود لانك
الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر ادم فمن دونه تحت لوائي وخبر
انما انا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما
كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار
بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ووجه التشبيه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر
الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلهذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور
السراج لكونه محسوسا فلا ينافي ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن
انه من التشبيه المقلوب كما في قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر ان كمالات
غيره المشبهة بالاضواء مستمدة من كماله الذي هو الضوء الاعلى **فبسبب** ذلك **ما**
يصدر اي يبرز في الوجود ضوء ينشأ عن ضوء احد مطلقا **الا** عن ضوئك فانت
المخصوص بانك الذي يبرز **عن ضوئك** الذي اكرمك الله به **الاضواء** كلها من الآيات
والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان تأخر وجودك عن جميع الانبياء لان نور



نبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده
عن جابر رضي الله عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شيء خلقه الله قبل الاشياء
قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور
بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا
ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا انسي ولا جني فلما اراد الله تعالى ان يخلق
الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن
الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني
الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور
ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم
وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح اول ما خلق الله القلم وجاء
باسانيد متعددة ان الماء لم يخلق شيء قبله ولا ينافيان ما في الاول في نور نبينا لان
الاولية في غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض وفي حديث عند ابن القطان كنت
بين يدي ربي نورا قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى ادم
جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير نوره الحديث وصح خبر متى
كنت او كتبت نبيا قال وادم بين الروح والجسد وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره
كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الارواح
اذ ورد ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق

تأييدا لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى نور الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا
من نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبياء فقالوا آمنا به وبنبوته
فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى من الشاهدين وفي هذه الاية كما قال السبكي التقدم من التنويه
بقدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم
فيكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبياء ولذا كانوا كلهم يوم القيمة تحت
لوائه صلى الله عليه وسلم واستعارة المصباح للفضل المنبئ على تشبيهه ببيت واسع
يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية
والضوء الذي هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا لصفات الكمال
استعارة مصرحة بجامع ان كلا من الضوئين المعقول والحسي يهدي الى المقصود
وايضا الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن لك ذات العلوم من عالم الغيب ٥
ومنها لآدم الاسماء لك لا لغيرك ذات اصلها مونث ذي المقتضية
لموصوف واللازمة للاضافة غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة
فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها فقالوا ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته
كما هنا وكما في قول خبيب رضي الله عنه وذلك في ذات الاله العلوم جمع علم وهو
هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به انجلاء تاما والادراك الجازم الذي

لا يحتمل النقيض وحد بحدود اخر كلها مدخولة ايضا ويرادفه المعرفة لكن لا يقال لله
عارف لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان
اليقين خاص بما من شانه ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف
الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها يقال علم
يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حالكونها واصلة اليك
على لسان الملك او بالالقاء في الروع او بخلق العلم الضروري او بسماع الكلام النفسي
من فيض عالم الغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغائب وهو ما
لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا
المفعول اي المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية لان العلم به افخم واظهر ولان اكثر علوم نبينا
صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والاخرين في الحديث
المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات
والجزئيات فلا ينافي ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات
حتى من الخمس اللاتي قال فيهن صلى الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله
لانها جزئيات معدودة لا غرو وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء
والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
وسيأتي بسط جمل مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في شرح قوله وكم

اخرج خبأ له الغيوب خبأ وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب **ومنها** اى العلوم
بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسماء **لادم** ابو البشر صلى الله عليه وسلم واصله أأدم
لكنهم لينوا الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا نظرا لتليينها من الادمة بالسكون ام
الفتح او من اديم الارض كما صح عن ابن عباس وورد عن على وعن ابن مسعود رضى الله
تعالى عنهم واديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد
ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله على نبينا
وعليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافى السمرة لانها بين البياض
والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربى وبه صرح الجواليقى وغيره ورد بان توافق
اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب واجيب بان
الاصل عدم التوافق وبان الوجدان ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على التفرقة
بين اللفظ العربى والعجمى بصحة الاشتقاق وصح خبر ان ادم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب
انه كان يتكلم بالسريانى **الاسماء** مبتدء مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل
والحرف ايضا واحتاج الناظم لهذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان ادم ميزه الله على الملائكة
بالعلوم التى علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بذمه
ومدحهم بقوله اتجعل فيها اه فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم يحصل لنبينا صلى الله
عليه وسلم اذ قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان ادم
لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم

بحقايقها

بحقايقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا اعلى واجل من العلم بمجرد اسمائها لانه انما يتوصل
بها للتبيين للمسميات فهى المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير
ذلك ان المقصود من خلق ادم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو
المقصود بطريق الذات وادم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد الملائكة
لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم فى جبينه ثم ما سلكه الناظم ان ادم انما علم اى باحد الطرق
السابقة انفا الاسماء فقط اى الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعانى هو الوارد عن
ابن عباس وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة بكل لغة وعلمها اولاده فلما افترقوا فى
البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوى ما هو الاصح فى الاصول ان اللغات كلها
توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالتوضع
ومقابل ما سلكه الناظم قولان احدهما انه انما علم مدلولاتها لان المزية فى العلم انما يحصل
بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسمائها كذا وكذا قال بعض المحققين
وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ اى لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده
ظاهر وصريح فى الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم اى الاعيان لانها التى تعرض دون الاسماء
انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها فلا تأييد فيه لكون المعلم المسميات خلافا لمن زعمه
ثانيهما هو الذى سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى
ولما ذكر شرف ذاته وترقيه صلى الله عليه وسلم بما يبهر العقول انتقل الى ذكر شرف نسبه
كذلك فقال مستأنفا **لَمْ تَزَلْ فِى ضَمَائِرِ الكَوْنِ تُخْتَارُ لَكَ الأُمَّهَاتُ وَالآبَاءُ**

لم تزل حالكونك **في ضمائر الكون** اى الوجود وضمايره مستوراته المخفية من الاصلاب
والارحام **تختار** اى تصطفى **لك الامهات** جمع ام وهي الوالدة وان علت واصلها
امهة لجمعه على امهات وقيل امهات للادميات وامات لغيرهن **والاباء** جمع اب واصله
ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا اى كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك
طاب نسبك فلم يكن في امهاتك من لدن حوى الى امك امنة ولا في ابائك من لدن
ادم الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخاري بعثت
من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم
ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي بسند حسن ان الله خلق
الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلته ثم تخير البيوت فجعلني في خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا اى روحا وذاتا وخيرهم بيتا اى اصلا وحديث الطبراني ان الله
خلقه ثم
اختار الخلق فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختارني من
العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم واعلم ان ادم اولد حوا اربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيث وصيه فانه
ولد منفردا اكرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفى وصى بنيه
بوصية ابيه له ان لا يضع هذا النور الذي كان بجبهة ادم ثم انتقل الى شيث الا في
المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى ان وصل ذلك النور

لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية
كما ورد في الاحاديث كحديث البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء
ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المراة منهم تسافح الرجل
مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه
قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان
في امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج عن سفاح
من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شيء وابو نعيم لم يلتق
ابواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا
لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وابن مردويه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد جاءكم رسول من انفسكم اى بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس
في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح **تنبيه** لك ان تأخذ من كلام الناظم
الذي علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا في اكثره وضمنا في كله ان اباء النبي صلى الله
عليه وسلم خير الاباء وامهاته الى ادم وحوا ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه
انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في اية انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث
السابقة بانهم مختارون وان الاباء كرام وان الامهات طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل
كانوا من اهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الاية الاتية وكذا من بين كل رسولين
وايضا قال الله تعالى وتقلبك في الساجدين على احد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره

مبحث ان الله احيا ابوي النبي فآمنا به

مبحث رد الشمس بعد ما غابت حتى صلى علي العصر

من ساجد الى ساجد ح فهذا صريح ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من
اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير
واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له فآمنا به خصوصية لهما
وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القران والاجماع ليس فى محله
لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع وكون
الايمان لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
ردت اليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى علي العصر اداء كرامة له صلى الله
عليه وسلم فكذا هذا وطعن بعضهم فى صحة هذا بما لا يجدى ايضا وحديث انه تعالى لم
يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها له وايمانها به او
ان المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه ح فان
قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهما لا يعذبان فما فائدة الاحياء قلت فائدته
اتمام فضلهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة
من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمرتبة الايمان زيادة
فى شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما وفى هذا مزيد ذكرته فى الفتاوى ولا يرد على الناظم
آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى
العم ابا بل فى القران ذلك قال الله تعالى وآبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب

بل

بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره
كالبيضاوى وغيره فقد استروح وتساهل وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابى
قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان ابى واباك فى النار يتعين تاويله واظهر تأويل له عندى
انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمى العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاتية
الشاهدة بخلافه على اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه هو الذى كفله بعد جده عبد
المطلب او انه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لما قرع سمعه
اولا ان اباه فى النار بدليل انه انما قاله بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم من آبائهم
ثم سئل عنهم فذكر انهم فى الجنة واما قول النووى فى حديث مسلم ان من مات كان فى
الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو فى النار وليس فى هذا مؤاخذة
قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت قبل بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليه الصلوة والسلام
انتهى فبعيد جدا للاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل
اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا عموم بعثته بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على
عباد الاوثان ورد فيهم انهم فى النار وبهذا يرد كلام فخر الرازى القريب من كلام النووى
ثم رايت الابى شارح مسلم بالغ فى الرد على النووى بان كلامه مناف لحكمه بانهم اهل
الفترة وبان الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة
بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثانى ثم قال ولما دلت

القواطع على ان لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق
لما ذكرته وما احسن قول بعض الموفقين فى هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص
فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبرانى لا تؤذوا الاحياء بسبب
الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقضا على ما
عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء ان اهل الفترة لا يعذبون
وسبب ذلك اننا عهدنا فى الغلام الذى قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله
وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله ورسوله
فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الاية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة
لا يعذبون وهذا الذى ذكرته فى الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم اخبار احاد فلا
القطع بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور فى الاحاديث مقصور على
من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع وكان قائل
هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذى عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب
توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسول اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول
بعد اسمعيل عم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته فلا فرق بين من غير وبدل وغيره
ما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لانه لا قياس فى ذلك وقول ابى حيان ان
الرافضة القائلين ان اباء النبى صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله
تعالى وتقلبك فى الساجدين فلك رده بان مثل ابى حيان انما يرجع اليه فى علم النحو

وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم
فيما مر انفا على انهم مؤمنون فنسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم
ائمة اهل السنة قائلون به قصور اى قصور وتساهل اى تساهل **مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ**
مِنَ الرُّسُلِ اِلَّا بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْاَنْبِيَاءُ ما مضت فترة وهى ما بين موت الرسول وبعثة
الرسول الذى يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى قدرها
والمشهور انه نحو ستمائة سنة اى زمن خال **من الرسل** جمع رسول ومر تعريفه فى اول
الكتاب ما مضى زمن خال من الرسل لنبى فيه ذكرك **الا** جددته و **بشرت**
من البشارة وهى الخبر السار **قومها** ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع الضمير
الفاعل وهو متقدم رتبة وان تأخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة
اى الا بشرت الاقوام الكائنين فى تلك الفترة **بك** اى بقرب بعثتك وباهر
رسالتك وعظمتك **الانبياء** اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وفى هذا
استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على سائر الرسل فانه نبى
الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم وامهم وشاهد ذلك قول الله تعالى عن عيسى عم
ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ومن ثمه قال صلى الله عليه وسلم انا
دعوة ابى ابراهيم اى فى اية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى عم وقوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى وامهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين
عن ذكر الاتباع لما مفتوحة توطئة للقسم الذى يتضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن

سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية او مكسورة اى لاجل ما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اى وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه
الاية وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس رضى الله عنهم وتبعهم
الحسن وطاوس وقتادة انه تعالى اخذ على كل نبى بعثه من لدن ادم الى محمد صلى الله
عليه وسلم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم
من هذا ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانهم اذا ادركوا محمدا صلى الله
عليه وسلم امنوا به ونصروه ودعوى ان هذا هو معنى الاية دون الاول مردود ولا
ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم فى اخر
الاية بالفسق على من تولى عن ذلك لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع الا ترى
الى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
فالمقصود انه لو فرض انه بعث وهم احياء لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين
الايتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثمه قال الامام التقى السبكى دلت الاية على انهم
لو ادركوا زمانه كان مرسلا اليهم فيكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق الانبياء
واممهم من لدن ادم الى قيام الساعة ويدخلون فى قوله صلى الله عليه وسلم وارسلت
الى الناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم واممهم بانه المتقدم
عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه امهم ليلة الاسراء
ويظهر فى الاخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى اخر الزمان يكون عيسى ينزل حاكما

بشريعة

بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه ثم بين الناظم بعض فضائل تلك البشارات
فى تلك الفترات فقال **تَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو ۞ بِكَ عُلْيَاءُ بَعْدَهَا عُلْيَاءُ**
تباهى اى تتفاخر **بك** اى بوجودك **العصور** اى الازمنة الطويلة من لدن ادم
الى يوم القيمة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك فيه بكمال اعلى مما
قبله ولو فى ضمن ابائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر
نشاك ثم عصر رضاعك فشق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر
رسالتك ثم عصر دعائك الخلق الى الله ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك
ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك وفتوحك ثم عصر
دخول الناس فى دين الله افواجا ثم عصر حجك ثم عصور اتباعك على تفاوتهم
الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة من امتى فمزاياه
تتزايد فى كل عصر من عصار حيوته على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك
العصر على غيره وكذلك عصور اتباعه بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه يفتخر
كل عصر على غيره بحسب ذلك ايضا واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق
الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل
واسطة بينه وبينه لانه الدال للكل ومن دل على خير فله مثل اجره فكل دال
يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويتضاعف للنبى صلى الله عليه وسلم
بحسب تضاعف الجميع وهذا شئ يقصر عن ادراك كثرته العقل ثم عصر

مقامه المحمود وشفاعته العظمى فى فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه
ثم عصر وسيلته وفضيلته التى يعطاها فى الجنة مما لا يدرك غايته ولا يحد نهايته
فكل هذه العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كمالاته لان الازمنة والامكنة تشرف
بشرف من يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله
افضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا ان النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته
فتفضيلها انما هو لاجله ايضا **وتسمو** اى تعلو وترفع من سموت وسميت كعلوت
وعليت **بك** اى بتلبسها بك مرتبة **عليا** تأنيث الاعلى **بعدها** فى الزمان
والعلوم مرتبة اخرى **علياء** اى اعلى منها اى لك فى كل عصر من العصور المذكورة
مرتبة اعلى مما قبلها واعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوة
مراتبه ما ذكر قوله تعالى وقل رب زدنى علما ولا شك ان علومه ومعارفه
متزايدة متفاوتة الى ما نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلى هذا غين انوار لا غين
اغيار اى لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فكان كلما توالت انوار العلوم
والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى مما هو فيها وراى ان ما قبلها دونها فيستغفر
تواضعا وطلبا لتزايد كماله وفى قول الناظم وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى عظيم
رفعته لانه جعل تلك المراتب هى التى تسمو وترفع به ولم يخبر على ما هو المتبادر انه
انه الذى يسمو ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه فى عالم الامر على اكمل كمال يمكن

ان

ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه فى عالم الخلق مندرجا فى تلك المراتب فتشرفت به لا
يتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتامل ذلك غفل عنه الشارح **وبدا**
للوجود منك كريم ؛ من كريم اباؤه كرماء وبدا اى ظهر **للوجود** اى لهذا
العالم **منك كريم** اى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع
التجريد الذى هو من ادق انواع البديع وهو اعنى التجريد ان ينتزع من امر ذى
صفة امر اخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى
كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر
بتلك الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لى من فلان
صديق حميم اى قريب يهتم لامره اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان
يستخلص فلان اخر مثله فى الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة
الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك
الكريم الذى ظهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد **من** اصل واب وام **كريم**
اى سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثمه كما علم مما مر ويأتى
وهذا ظاهر فى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما فى ذلك **اباؤه**
جميعهم كما افادته الاضافة من لدن آدم اليه واراد بالاباء ما يشمل الامهات
لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما لهما واحد **كرماء** اى سالمون
من سفاح الجاهلية ونقصهم **تنبيه** قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع

حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان وفي مسند الفردوس
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان
ثم يمسك ويقول كذب النسابون لكن قال السهيلي الاصح ان هذا من قول ابن مسعود
قال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب
النسابون اي لانهم يدعون الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد وعن ابن
عباس بين اسمعيل وعدنان ثلثون ابا لا يعرفون ومن ثمه انكر مالك على من
رفع نسبه الى ادم وقال من اخبره بهذا اي ان ذلك من كلام المورخين الذين
لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا **النسب**
تحسب العلى بحلاه ؛ قلدتها نجومها الجوزاء نسب عظيم بل لا اظهر ولا اجل
منه في الانساب وهو اسم لعموم القرابة الذي جمع متفرقها **تحسب** ايها المخاطب
اي تظن **العلى** جمع عليا تأنيث اعلى كما **بحلاه** بضم اوله وكسره وهو الافصح
جمع حلية بكسر اوله اي بسبب حلا ذلك النسب **قلدتها** اي العلا في محل مفعول
تحسب الثاني والاول العلا **نجومها** اي بنجومها **الجوزاء** اسم لبرج في السماء كما
في القاموس وعليه فنجومه هي الاتية وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة
قيل وهي تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها وح لا بدع ان ينسب الى الشيء
من حيث هو مجموع انه قلة عزة كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال
ان المراد بنجومها ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقية الجوزاء

كما قال القائل لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ؛ لما رايت عليها عقد منتطق ؛ اي من كمال
هذا النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه
قلدتها الجوزاء بنجومها اي جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد
من اولئك الاباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كانه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة
والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك
النسب متناسب كتناسب العقد او كاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب
كالعقد الثمين جدا الذي تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته
في مبحث الاستعارة ما في البيت من انواعها البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة
نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب ولما قرر ان
مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح
ذلك العقد فقال **حبذا عقد سودد وفخار ؛ انت فيه اليتيمة العصماء**
في كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب القلب واصله
حبب بالضم اي صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فقال حب والاصح ان ذا فاعله
ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا
تغير او لان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا
امره وشانه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر دائما حذف واقيم المضاف اليه مقامه
او لانه على ارادة جنس شايع اقوال والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل

وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم
هل هو مبتدء خبره المخصوص او عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل المخصوص مبتدء
الجملة وهي جزء والرابط ذا وقيل مبتدء محذوف الخبر وقيل عكسه فكانه قيل من المحبوب
فقال زيد اي هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها
وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع منها فلا تساويها في تصرفاتها ويحذف
بقلة ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة حبذا الصبر شيمة
وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف منتشر
فيه والناظم حذف هذه لدلالة المقام عليه والتقدير حبذا كمالا وتدخل عليها
لا فتساوي بئس في العمل والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده في حبذا وهي غير متصرفة
فلا مصدر لها ومن ثمه عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو
حيان في الاخيرين وتجرد من ذا فيضم اولها ويجوز بقاء فتحه وجر فاعلها بالباء
كحب بها وانما اطلت في هذه لان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع انه لا يخلو
كالنظم في حذفه ما مر من ابهام فتامله **عقد** بكسر اوله وهو القلادة من
الجوهر **سودد** اي سيادة **وفخار** اي تمدح بالخصال الجميلة **انت فيه** اي ذلك
العقد وفي نسخة فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة **اليتيمة** الجوهراي
التي لا شبه لها في حسنها **العصماء** من العصمة اي الحفظ والمنع لان من شان
هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها على ان تصل اليها ايد الاغيار وجملة انت

وما

ومابعده صفة لعقد او حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله
عليه وسلم ولنسبه اي حبذا نسبك الذي اذا ذكرت وعددت معك اباؤك كانوا
قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها
وانفسها واعلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية
والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال
ما يبهر العقل ويفوق الوصف وشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة
فانه صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقين والخليفة الاكبر عند رب العالمين ولما
تمم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته فقال **وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيْءٌ**
اَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ وحبذا ايضا **محيا** اي وجه **كالشمس منك** حال من
محيا **مضيء** مبتدء خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه
بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الرُّبَيِّعِ بنت معوذ لو رايته لقلت
الشمس طالعة وحديث احمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنهم ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة قال له قائل
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان
مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف في الطول وانه جمع صفة
الشمس من الاشراق والاضائة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفي حديث

علي عليه السلام عند الترمذي والبيهقي كان في وجهه تدوير اي قليل مع سهولة خده
بالشمس
وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه والقمر الا ما ذكر
من الاضاءة لا مطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس
تشبيه الشمس والقمر المنيرة اذا قلنا كانها الامير لان الشمس تغرب حين تمسي وان البدر
ينقصه المسير نعم قول ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما يفوق
التشبيه بالشمس من حيث ان القمر يملأ نوره الارض احوج ما كانت اليه ويؤنس
كل من شاهده فهو مجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس
فانها تغشي وتمنع من تمكن الرؤية ولك ان تقول لا تفوقه لما علم مما قدمته ان وجه
الشبه مراعى وح فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما اسفرت صفة او حال ايضا
اي انحسرت وانقضت عنه اي عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة عنه ليلة
عظيمة غراء اي بيضاء لظهور نوره فيها وعقبها وهذا اولى من جعل ذلك لظهور
القمر فيها بناء على انها ليلة الثاني عشر او لكونها من الغر بناء على انها ليلة ثاني الشهر
وغرته ثلث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول
المأخوذ من الغرة وهي بياض في وجه الفرس فهي غرة في وجه الدهر ثم ابدل منها
قوله ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء ليلة
المولد بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر
ميمي

ميمي اي ليلة الولادة الذي كان اي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما للدين
وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبي الكريم وحد ايضا بانه وضع الهي
سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات سرور اي فرح عظيم
بيومه واليوم في عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفي عرف الشرع من
طلوع الفجر وازدهاء اي هذه الليلة الغراء هي ليلة ولادتك وانت اشرف مولود ولاجل
ذلك سر الدين واهله باليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل
وافتخر به على ساير الاديان والايام واضافة ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة
في زيادة عظمته صلى الله عليه وسلم لان ذلك وقع بظرفه التابع فكيف بذاته وازدهاء
مقصور واوي او يائي تنبيه اضاف الناظم كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل
ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان
بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شاهدت ولادة النبي صلى الله
عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو
حتى اني لاقول ليقعن علي رواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم وتصريح
عائشة ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بانه ولد نهارا وهو ما
يصرح به قوله الاتي يوم نالت بوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به حديث
مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في المناقب
والفضائل حجة اتفاقا فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد



بجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الاتية مايدل على ان ذلك
قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة
في كرامته صلى الله عليه وسلم على انه ولد ليلا قيل ليلة مولده افضل من ليلة القدر واستدل
قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا
فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه
معين وهو صفر او الربيع الاول او الربيع الاخر او رجب او رمضان او يوم عاشوراء اقوال
والاصح انه في شهر الربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل
لليلتين فيه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ
وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان
بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم
انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول ليظهر مزيته
به على الفاضل ونظير ذلك دفنه بالمدينة دون مكة لانه لو دفن فيها لكان يقصد
تبعا لها فافرد بموضع مفضول عند اكثر العلماء ليتشرف بل ليفوق الفاضل عند كثيرين
منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته
على ربه واختلفوا في عام ولادته فالاكثرون انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه
والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون شهرا
اربعون عشر سنين خمس عشرة سنة وايد كونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا

الذي

الذي ولد بمكة ومقدمة لظهوره وفي مكانها والصواب انه مكة قيل بالشعب
وقيل بالروم والمشهور انه المسجد المشهور الآن بالمولد وزعم انه عسفان شاذ
لا يعول عليه فقد صرح بعض ائمتنا ان اول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر
لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله عليه وسلم **وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ**
وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءُ وتوالت اي تتابعت **بشرى** اي بشارة **الهواتف**
للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه
والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتب الله والسنة الاحبار
والكهان والجان كما استوعبه اهل السير وجمع اكثره ابن ظفر في كتابه البشر
ان اي بان متعلق ببشرى **قد ولد المصطفى** اي المختار على الخلق كلهم **وحق**
اي ثبت **الهناء** اي الفرح والسرور لكل الخلائق به قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة
لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وانشد
فاقسم ما انثى من الناس انجبت ⁂ ولا ولدت انثى من الناس واحدة ⁂ كما ولدت
زهرية ذات مفخر ⁂ مجنبة لوم القبائل ماجدة ⁂ وهتف اخر على ابي قبيس
باربعة ابيات فيها معنى ذلك وزيادة ومنها ان سواد بن قارب الدوسي
لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه اخبره ان رئيه

انشد ابياتا بثلث ليال متوالية وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث قادب على المجيء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه ومنها ما جاءت بسند
فيه ضعف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة مولود
اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سئل
عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كائن ابوه فقد
ولد ذلك المولود الذى احدثكم به فما سميته قال محمدا وقد طلع نجمه البارحة وروى
الحاكم عن عائشة انه كان بمكة يهودي فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم
الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين كتفيه علامة
فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فادخلوه على امه واخرج له فكشف عن
ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت
والله النبوة من بني اسرائيل ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله
عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح من فمه رائحة المسك
الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء
والجمال فتحير فمن فعل ذلك فانطلق ابوه الى كهنة قريش فقالوا ان اله السموات قد
اذن لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا
لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يومن به اهل السموات والارض وليكونن
في الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد المطلب ما

دله عليها فحفرها فاذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده الحارث فنذر ان رزق
عشرة بنين ليذبحن احدهم لله فلما تموا عشرة رأى من يأمره بوفاء نذره فانتبه
فذبح كبشا فرأى انه لا يجزئه فذبح ثورا فرأى انه لا يجزئه وهكذا حتى امر بذبح احد
بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت على عبد الله فجاء به ليذبحه عند الكعبة فمنعه
سادة قريش وامروه بمشاورة كاهنة فاشارت انه يقرع بينه وبين عشرة من
الابل وانه كلما خرجت القرعة تزاد عشرا فلما بلغت مائة خرجت القرعة عليها
فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه اقر من قال له ذلك
والثاني اسمعيل وعلى انه اسحيق وعليه الاكثرون فقد مر ان العرب تسمي العم ابا
وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا ۞ آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ ومن عجائب ليلة
ولادته صلى الله عليه وسلم انه تداعى اى تهادم اى اشرف على الهدم لانه انشق
شقا بينا آل به الى خرابه ايوان بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري
بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج اى مبني طولا غير مسدود الوجه
اى فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع بابه وهو فارسي وقيل هو البيت
العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع
ارباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من اعاجيب الدنيا
سعة وبناء واحكاما كسرى انوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب خسرو اى
واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن

والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك
مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك **ولولا** حرف امتناع لوجود اي امتنع
جوابها لوجود تاليها **اية** صادرة **منك** الى الوجود اي علامة عظيمة على نبوتك
ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من الغيبة
الى الخطاب والاصل منه اي المصطفى **ما تداعى البناء** اي ما هدم المبنى المذكور
مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذي كان يظن به انه لا يهدمه الا النفخة
الصور فاذا قد تحرك وسقط منه اربع عشرة شرفات حينئذ فليس ذلك الا محض
اية منه صلى الله عليه وسلم الموجود على نبوته وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه
وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرفات الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر
فهلك عشرة في اربع سنين واربعة الى زمن عثمان وقد فتح في زمن عمر رضي الله عنه
اكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانة غاية الهوان فتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل في
زمن عثمان رضي الله عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه اذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال
من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما
جاءه كتابه فخرقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك بلاده
وقال لسراقة وكان من فقراء اصحابه كيف بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتى
بهما عمر البسهما اياه اظهارا للمعجزة وذلك عند رميح وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى

والبسهما

والبسهما سراقة ولما رأى كسرى ما وقع بايوانه ورأى تلك الليلة المؤبذان اعلم علماء
مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة فارس وانتشرت في بلادها
افزع كسرى ذلك فسأل الرائي فقال حدث يكون في ناحية العرب فكتب كسرى
الى النعمان بن المنذر ملك العرب ان يرسل له اعلم من في ارضه من العرب فبعث
اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا فدلهم على خاله سطيح بالشام فامره
كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشرفا على الموت فاخبره بما من جملته عبد
المسيح على جمل طاح الى سطيح وقد وافى على الضريح بعثه ملك الساسان لارتجاس الايوان
اي تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض
وادي السماوة اي قرية بين الكوفة والشام وليست من العواصم وغاضت بحيرة
ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم
ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو ات ات ثم قبض السطيح مكانه وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في يده القضيب مرارا
كثيرة وكان يمشي بين يديه بالعصا ويصلي اليها قال القاضي واراها العصا المذكورة في
حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا وسمى
ايضا صاحب القضيب اي السيف كما في الانجيل فهو صاحب العصا يرعى بها الاخيار
والقضيب يبيد به الاشرار **وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ ؛ كُرْبَةٌ مِنْ**

خمودها وبلاء ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته ايضا لينتبهوا وليسئلوا عن
سبب ذلك انه غدا اي صار في تلك الليلة كل بيت نار اي كل واحد من بيوت
نار الفرس التي كانوا يعبدونها ويشتد ايقادهم لها حتى انها الف سنة لم تخمد ونار من ذوات
الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء و هي للحال وفيه تأييد
موالفة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد
الا نكرة وخالفهم الزمخشري وابو البقاء والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء
كانت بمعنى صار او بمعنى وقع بقلة في وقت الغدو والرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما
وحديث تغدو خماصا وغدا زيد ضاحكا اي صار في حال ضحك فيه كربة بضم اوله
اي غم يأخذ النفس وربما يهلكها من اجل خمودها اي سكون لهبها من غير ان
يطفأ جمرها والا قيل همدت وبلاء عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه
الههم ومتعبدهم لانهم لانهم مجوس فكان في اقليم الفرس من بيوت النار الموقودة
المات من سنين ما يحيل العادة انطفاؤها فاذا انطفت تلك النيران كلها ساعة
واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث في العالم وكان كذلك وسببا
لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كامر وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم
بها اطفاء ومن تلك العجائب ايضا عيون فهو مبتدء سوغه وصفه
بقوله للفرس بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم
امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة بالفتح اي الشجاعة وكسرى من

اجل

اجل ملوكهم غارت في الارض حتى لم تبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها من
كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضها ولهذا قيل طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك
وتسمى عين ساوة لبلد معروف بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام
فهل استفهام للتعجب من حالهم او لتوبيخهم وتقريعهم كان لنيرانهم بها اي بتلك المياه
التي غارت اطفاء لا بل لم يطفئها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل
به كل لهو وباطل ولذا قال مولد كان منه في طالع الكفر وبال عليهم
ووباء مولد عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدء محذوف كان اي صار
على الدوام منه اي من اجله او من لابتداء الغاية في طالع الكفر اي في نحو النوم
او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وغايات اهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان
والهام السطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولود نفسه اطلع كل ذي بصيرة على ان
الفرس والكفار يحل بهم وبال اي وخم عظيم عليهم اي على اهله الذين هم الفرس
بدليل السياق او اعم قصر وهو المرض الشديد
وهما وفيهما الجناس اللاحق كنايتان عما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على
والوبال والهوان والنكال فبسبب ما حصل
بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا
ولابائه وامهاته من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق ان يقال في شأن امه
فهنيئا به لآمنة الفضل الذي شرفت به حواء هنيئا به لآمنة

الفضل اى ثبت لك الفضل اى الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيئا اى لا افة فيه ولا نكد

فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد

انه مصدر كالعافية واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر صفات كعائذا بك وهنيئا

لك قال البعض المغاربة وهى موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال

لكل من لازم صفة وهنيئا اسم فاعل من هناء او هنؤ كشريف من شرف وهو ما اتاك

بلا مشقة **الذى شرفت به حواء** من دونها من امهاته الى امنة فان

الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن بواسطة ولامنة بدونها فمن ثمه

خصها من بينهن بذلك وزاد فى مدحها بانها شرفت بما شرفت به ام البشر

وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفى الولادة الاول والاخر ولينبه

على ان حوا امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وامنة امتازت بابرازه الى

وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثمه قال مبينا تميزها على حوا بذلك

من لحواء انها حملت احـ مد او انها به نفساء من استفهام

استبعادى بمعنى النفى **لحواء** اى من ذا الذى يفرح لها بانها او يشفع لها فى **انها**

حملت احمدا بالتنوين للضرورة اى حبلت به اى وهو من غرر اسمائه وقد سماه الله

به على لسان موسى كما فى الحديث وعيسى كما فى القران وهو منقول من الصفة التى معناها

التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه يفتح عليه يوم القيمة

عند سجوده تحت العرش ليؤذن له فى الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد



٢٩

لم يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته ادم فمن

دونه **او انها به نفساء** اى اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب

الولادة سمى بذلك لانه اثر نفس اى وبانها ولدته بلا واسطة اى لو قدر لها ان تحمله

وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لامنة لما سبق

فى علم الله انها الفائزة بشرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حوا من شرف

الابتداء ولهذا قال **يوم نالت بوضعه ابنة وهـ ب من فخار ما لم تنله**

النساء يوم بدل من مولده اسم زمان **نالت** اى اعطيت **بوضعه** اى بسببه

امنة **ابنة وهب** بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة اباءه فى كلاب وكان وهب سيد

بنى زهرة سنا وشرفا وام امنة مرة ابنة عبد العزى بن قصى بن عبد الله اى

بن قصى بن كلاب **من** بيانية **فخار** وهو تمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة

ما لم تنله النساء حتى حوا كما مر وهذا لا يقتضى افضليتها على حوا مطلقا لانها انما

فضلت من وجه واحد هو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل

من حيثية مزية واحدة او مزايا لا تقتضى الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك

لان الاجماع قام على حوا على ايمانها الكامل وامنة وقع الخلاف فى ايمانها بل وفى

نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمها ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما يدل له

ما اخرجه ابو نعيم والخرايطى وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله

ليزوجه للرؤيا التي رأها وقد مرت رأته كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة في
ومن ثمه كان اجمل رجل في قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه مائة من الابل
فابى وقال اما الحرام فالممات دونه ثم ربه ابوه حتى اتى وهبا ابا آمنة فزوج بها وهي
يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى
عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تتكلم فسألها لم لا تعرضي نفسك الان على قالت
فارقك النور الذي سئلتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة
فيها اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت
قريش في جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان
النور المكنون قد انتقل الى بطن امنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر قد خصها الله
بهذا الحبيب لانها افضل قومها حسبا واذكاهم اصلا وفرعا وفي حديث ابن اسحيق
انها حدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل انك حملت بسيد هذه الامة
وقالت ما شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما اى في ابتداء حمله لرواية انها
وجدته وحملت على الانتهاء جمعا بين الاحاديث واتاني ات وانا بين النائمة
واليقظانة فقال هل شعرت انك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى دنت ولادتي
اتاني فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت
ابيات غير مشهورة ولا اصل لها كما قاله الحافظ الزين العراقي واخرج ابو نعيم عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال كان في دلالة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

ان

٢

ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العالم ولم يبرح سرير ملك من ملوك الدنيا الا
اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل
البحار بشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء
ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم ميمونا مباركا وروى ابو نعيم ان امنة
اتاها ات بعد ستة اشهر من حملها وقال يا امنة انك حملت بخير العالمين واذا
وضعته فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما اخذها الطلق وكانت وحدها رأت
كان طائرا ابيض قد مسح فوادها فذهب رعبها ثم اوتيت بشربة بيضاء فتناولتها
فاصابها نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فاحدقن بها فقالت
به وفي رواية فقلن لي نحن اسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء
الحور العين ثم رأت ديباجا ابيض مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم
اباريق فضة وقطعة من الطير اقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد
واجنحتها من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة اعلام منصوبات
علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها النعاس فوضعته
صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل
ثم رأت سحابة بيضاء فغيبته عنها فسمعت مناديا طوفوا به مشارق الارض
ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي

الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في اسرع وقت وروى الخطيب

البغدادي بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور يسمع فيها صهيل الخيل

وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت مناديا طوفوا به

جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش

واغمسوه في اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا

شديدا ينبع فيها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق احد من اهلها

الا دخل طائعا في قبضته ثم رات ثلاثة نفر بيد احدهم ابريق فضة والثاني طشت

من زبرجد والثالث حريرة بيضاء اخرج منها خاتما تحير الناظرون دونه فغسله سبع

مرات ثم ختم بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين اجنحة ساعة ثم رده لها انتهى **وَأَتَتْ**

قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ ويوم **اتت** امنة **قومها**

اسم جنس للذكور وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا **ب**مولود **افضل** بالاجماع **مما**

وقع ما على العاقل وهو عيسى عليه السلام وان كان نادرا لوروده في القرآن نحو

لما خلقت بيدي والسماء وما بنيها الايات ولا انتم عابدون ما اعبد وكلام

العرب وسمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولورود هذا وامثاله زعم قوم منهم

ابن درستويه وابن عبيد ومكي وابن خروف وقوعها على احاد من يعقل كثيرا

مطلقا وقال السهيلي لا يقع على اولي العلم الا بقرينة ويقع على صفات من يعقل نحو

فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الاية لان من

صفات

صفات من يعقل الحمل المذكور في قوله **حملت قبل** اي قبل امنة ومن ان بينها

نحو ستمائة سنة **مريم** بنت عمران الصديقة بنص القران قيل هي من ذرية سليمان

عليه السلام بينها وبينه اربعة وعشرون ابا وفي الصحاح خير نسائها مريم ولذا

فضلت على جميع النساء للخلاف في بنوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى الى السماء كان سنها

ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين **العذراء** اي البكر لانها لم

تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى عليه السلام انما هو من نفخ جبرئيل في جيب

درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة ومعجزة له عليه السلام وخصه

بهذا مع تصريحه قبل بانه افضل الانبياء لانه ينزل من السماء على منارة جامع بني امية البيضاء

شرقي دمشق كما رواه مسلم في اخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم

من ذلك مع باهر معجزاته وولادته من غرايب وان كان لنبينا ما هو مثلها او ابهر منها كما

يأتي انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله انما هو بشريعة نبينا ومنها ان

الجزية لا تقبل بعد نزوله لانقطاع مالهم من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون

من اتباعه ولاجل ذلك يصلي وراء المهدي اولا ثم يتقدم بعد اعلاما بانه لم ينزل مستقلا

بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وللخبر البخاري انا اولى الناس بابن

مريم في الدنيا والاخرة ليس بيني وبينه نبي وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان

نبي اصحاب الرس وللخبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا

عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار

حتى ادخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان
فيصيح الا عيسى قال ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم ولا ينافي هذا افضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما ينغمر هذا
في جنبه دونها وقد يكون في المفضول مزية او مزايا ليست في الفاضل لكن فيه ما يخلف
ذلك ويفوقه **شَمَّتَتْهُ الأَمْلَاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ ۝ وَشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا**
الشَّفَّاءُ شمّتته من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة
والمهملة اي دعا له بالسلام من الشوامت او ببقاء سمته كما هو لان العطس ربما
كان سببا للتعرج نحو العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل واجمال
ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة فالاصل فيه مألك
ثم قلبت فصار ملأكا على وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقل حركة الهمزة الى اللام
فصار ملكا وزن فعل وحينئذ فقياس هنا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم وانما
جمعوه على ملائكة لانهم راعوا الملأك بعد القلب وقبل ان تخفف وقولهم من
الالوكة مصرح بان ميمه زائدة وهو رأي الجمهور وذهبت طائفة الى انها
اصلية ثم اختلفوا اهل هو من الملك بالفتح اي القوة لقولهم او بالكسر بمعنى مملوك
قولان قيل واحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شيء والتحقيق
الذي دلت عليه الاثار وقوله تعالى كان من الجن وزعم ان نوعا من
الملائكة يسمون ذلك ليس في محله لتوقفه على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن

كان

كما ان ادم ابو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح للاستثناء في الاية
التغليب لكونه كان فيهم وهو منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلقت
الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض من النور
والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تأويل
الاولين بانه على التمثيل ليس في محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار
المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث السؤال في القبر وعذابه والصراط
والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة
الغراء قبحهم الله **اذ وضعته** اي وقت وضع امه له **وشفتنا** اي افرحتنا
وسرتنا او من الشفا لانها رقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفا لان قولها
الاتي يشفي العليل ويبرد الغليل **بقولها الشفّاء** بالفاء المشددة وهي ام عبد
الرحمن بن عوف احد العشرة بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما اخرجه
ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحم ربك
قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم
قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب
عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث
مني على بالي حتى بعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل

على انه عطس حتى عبر بتشمته الذى لا يطلق الا على ما يقال عقب العطاس يحتاج فيه
لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من احوال
المولودين بخلافه لا يصار اليه الا بتصريح عمن يعتمد عليه به ولم اره قولها فسمعت
قائلا (حم ا ظ) على الملك وهو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة
توجب ان الفعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم معما
استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله
عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة
من تكلم فى مهده وان كان صلى الله عليه وسلم عده ولم يذكر نفسه منهم
رافعا راسه وفى ذلك الرفع الى كل سودد ايماء رافعا حال من
مفعول وضعته **راسه** الى السماء كما رواه ابن سعد من حديث جماعة منهم
عطا وابن عباس ان امنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج
منه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه
ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء **وفى ذلك الرفع**
الذى هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم **الى كل**
سودد اى رفعة وسيادة على الخلق وهو متعلق بالمبتدا الذى هو **ايماء**
اى اشارة الى ان شانه وقدره يرفع ويعلو فى الدنيا والاخرة الى مراتب لا يصلها
غيره من ملك ولا جن ولا انس **رامقا طرفه السماء ومرمى ٥**

عين

عين من شانه العلو العلاء رامقا حال مما منه الاولى وتعدد الاحوال جائز
كتعدد الاخبار او من ضمير رافعا فهى من الاحوال المتداخلة **طرفه** اى بصره **السماء**
اى ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث عطا وابن عباس المذكور
وروى الطبرانى انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة
كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع
اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل **و**سر هذا الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ
مرمى هو فى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه بسهم وهنا ما انتهى اليه البصر
عين من موصول **شانه** اى قصده **العلو** اى ارتفاع مكانه والجملة صلة وخبر
مرمى **العلاء** بالفتح والمد اى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر
اى كما ان رفعه راسه ايماء الى ما مر فكذلك رمقه ببصره الى الجهة العلو ايماء
الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات
مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى مفادهما له اعتبارات مختلفة
وتدلت زهر النجوم اليه ٥ فاضائت بضوئها الارجاء ويوم
تدلت اى قربت ودنت فهو عطف على نالت **زهر النجوم** من اضافة الصفة
الى الموصوف اى الكواكب المضيئة **اليه** صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم
يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن العاص عن امه

فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم رايت
البيت حين وقع قد امتلاء نورًا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على
فبسبب هذا التدلي اضائت بضوئها اى تلك الكواكب المضيئة الارجاء
اى نواحي البيت او نواحي السماء او نواحي الوجود باسره وتراءت قصور
قيصر بالروم يراها من داره البطحاء ويوم ترائت من راى بمعنى ابصرت
وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل كتحادعون الله وعاقبت اللص
اى رؤيت قصور قيصر ومر انه لقب لكل من ملك الروم بالروم اى في بلاد الروم
وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكي وغيره
تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى
اصل واحد كقوله تعالى ازفت الازفة يا اسفى على يوسف اسلمت مع سليمان فاقم
وجهك للدين القيم وزعم الحلي ان هذا ليس اصناف التجنيس وان عد اكثر المولفين
له تجنيسًا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسًا وانما قيدوه بتجنيس
المشابهة فبينوا انه اشبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسًا وسماه بعض كبر منه
معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما ذكر في الاخير هو ما ذكره
الحلي ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من اقم
وجهك للدين افرغ وسعك في صرف جميع ازمنتك في نشره والعمل به وغيره
الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور يراها رؤية

كاملة من اى الذى داره البطحاء اى مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى
فيه دقاق الحصا واصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله
خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابراهيم
وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورًا اضاء له قصور الشام وفي
رواية عنها قالت رأيت كانه خرج من فرجي شهاب اضائت له الارض حتى رأيت
قصور الشام وفي اخرى رأيت ليلة وضعه نورًا اضائت له قصور الشام حتى رأيتها
وفي اخرى لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما
به من قذر وفي اخرى لما فصل مني خرج منه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب
وفي رواية الشفاء السابقة واضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء
وضعه لان تلك الاضائة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة في
البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت الشام بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت
به من سبق نور نبوته اليها ومن ثمه نقل كعب عن الكتب السالفة انها دار ملكه
اى باعتبار سبقه اليها قبل نظرائها ولذا اسرى به الى بيت المقدس منها كما هاجر
اليها ابراهيم ولوط وبها ينزل عيسى عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر فائدة
صح عند الضيا انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونًا مقطوع السرة حتى لا يرى احد سوأته

زاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر
بانها اذالم تصح كما تقرر فكيف تواتر قيل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية
فيه بل قال الحلبي ان ادم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ
بسنده الى ابن عباس ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مادبة
وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة حين شق قلبه ولما تم الكلام على
عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع في ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته
مستانفا او عاطفا الجمل فقال **وَبَدَتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ ٥ لَيْسَ فِيهَا**
عَلَى الْعُيُونِ خَفَاءُ وبدت اي ظهرت لمن في عصره صلى الله عليه وسلم بطريق
العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان **في** فعل وزمن **رضاعه** وهو امتصاص
اللبن من الثدي **معجزات** تسميتها بذلك مجازا وجرى على اصطلاح السلف كالامام
احمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الاتية ام لا
ولكن الاشهر الذي عليه اكثر اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على
الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبياء صلى الله عليهم
وسلم فعلم ان لها شروطا احدها خرقها للعادة بان تخيل وقوعها كانشقاق القمر
ثانيها اقترانها بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة مع امن معارضتها من تحديت
فلانا زعمته لاغلبه وهو مجاز اذ اصل الحداء يتعارض فيه الحاديان فيتحدى كل على
الاخر اي يطلب حداه فخرج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولي والخارق المتقدم

على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
فهي كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة لا يقال خرج به الخارق
المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم اخراج اكثر اياته صلى الله
عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القران
وتمني الموت وزعم انه لا معجزة الا هذان اقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق ان المراد
بالتحدي ليس معناه الاصلي بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارن لذلك ٥
والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر سواء اقلنا انه يقع من مدعي النبوة كذبا
قلب الاعيان واحالة الطبائع لانا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية
بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها صدقا ام لا نقل ذلك بل
وهو ظاهر ولا ينافي ذلك ما يظهر للدجال من الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا
للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان بروز تلك على يديه
لمحض الفتنة لا غير ثالثها دلالتها على صدق التحدي فخرج الخارق المكذب له
كان قال اني انطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين
انه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغي للناظم ان يقول ايات
او بينات او برهان لان هذه هي الواردة في القران والسنة دون لفظ المعجزة
لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر
فلذلك اختصت بالذكر **ليس فيها** متعلق بخفاء **على العيون خفاء**

لوضوحها وهو اسم مصدر لاخفيته لانه الذى بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته لانه
بمعنى اظهرته وبين بدت وخفاء طباق **اذ ابته ليتمه مرضعات ؛ قلن**
ما فى اليتيم عنا غناء اذ اى وقت اولاجل انه ابته ليتمه اى لاجل موت ابيه
وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وقيل مات وهو فى المهد وهذا
قدمنا فى ما فى المتن الآن يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع قبل ان يرضع
لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام عند اخواله
ابيه عبد المطلب بنى النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه علمن
يتمه قيل انما سمى عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة لا ذهب اليه عمه المطلب ليأتى
به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر
به وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله
عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق **مرضعات** كن يأتين الى مكة يلتمسن
الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها عار عندهم **قلن** انما تركناه لانا انما نبغى الرضعاء
رجاء للمعروف من ابائهم واما الام والجد فما عسى ان يصنعا **وما فى هذا اليتيم**
بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق **عنا** متعلق بقوله **غناء** بفتح المعجمة اى ليس
فيه ليتمه وفقره نفع يغنى عنا شيئا وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف
فيه منتشر **فاتته من السعد فتاة ؛ قد ابتها لفقرها الرضعاء**
فبعد ان تركنه **اتته من السعد** بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع

لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم ايضا **فتاة** اى شابة كريمة كائنة من
بعض هذه القبيلة فقول الشارح ان من بيانية بعيد وفى كونها حليمة السعدية
من الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا
يخفى عظم وقوعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن **قد ابتها لفقرها**
الرضعاء جمع رضيع اى اهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة
اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ثمنا لصرفه فى حوائجها الخارجة
فلا يفيدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحق واسحق
بن راهويه وابو يعلى والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عن حليمة رضى الله عنها
انها قدمت مكة فى نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء فى سنة مجدبة ومعها
صبيها وشاة ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت
وما علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذ
قيل يتيم فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا اخذت رضيعا غيرى فلما لم اجد غيره
قلت لزوجى والله انى لاكره ان ارجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقن
الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب صوف ابيض من اللبن
يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه
من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم
ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر

فقبلته بين عينيه واعطيته ثدى الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر

فابى وكانت تلك حالته بعد قال اهل العلم اعلمه الله ان له شريكا فالهمه العدل ثم اخذته

فما هو الا ان جئت به رحلى فقام صاحبى يعنى زوجها الى شاتنا تلك فاذا انها لحافل

فحلب ما شرب وشربت ورويناً وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم

يزل الله يزيدنا خيرا وفى رواية انها لما ودعت امه وذهبت به على اتانها سجدت

نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت فسبقت دوابهن فصرن

يتعجبن ويقلن لها اهذه اتانك التى كانت ترفعك طورا وتخفضك اخرى فتقول نعم

فيقلن ان لها شانا عظيما فسمعت الاتانة تقول ان لى لشانا عظيما بعثنى الله بعد موتى

ويحكن هل تدرين من على ظهرى خير الاولين والاخرين واحب من اتته قوله

ارضعته لبانها فسقتها : وبنيها لبانهن الشاء ارضعته لبانها

بكسر اوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مطلقا لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال

هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع فبسبب هذا

الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر المخلوقات سقتها اى حليمة وبنيها

وقد كانوا اشرفوا على الهلاك من الجوع لما مران ارضهم كانت فى غاية المحل والجدب

لبانهن فيه استعمال اللبان فى غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها

السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى

نفسك الشاء جمع شاة كرامة لذلك المولود وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها

لانها ببركته صلى الله عليه وسلم اضحت شولا عجافا وامست : ما بها

شائل ولا عجفاء اضحت فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا

لصورة تعريفه وصفة نظرا الى ان ال فيه جنسية نحو ولقد امر على اللئيم يسبنى

شولا بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا

بها اصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة عجافا اى هزيلات وامست

لم يرد باصبح وامسى معناهما بل انها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى اقرب زمن واسرعه

فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما ما بها اى فيها شائل مبتدأ او فاعل

الظرف ولا عجفاء اى هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف طباق على حد قوله تعالى

ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ولك ان تقول ليس

ما هنا على وزان الاية لان الذى فيها نفى العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد

زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات فى زمن والنفى فى زمن اخر وهذا لا تضاد

فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او ايهامه ولو ببادى الرأى كما هو

معلوم من استقراء امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه

عدهم من الطباق قوله تعالى افمن كان ميتا فاحييناه اذ الفاء تاتى لغير التعقيب

فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه ايضا لان ضمير احييناه للميت فكانه

قال احيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحيوة والموت فتامله اخصب العيش

عندها بعد محل اذ غدا للنبى منها غذاء اخصب من الخصب

بكسراوله وهو ضد الجدب العيش اى كثر قوة الادميين والدواب عندها
اى حليمة او الشاة ويرجحه منها الاتى بعد محل اى شدة جدب وهو انقطاع
المطر ويبس الارض من الكلاء والزرع اذ اى ذلك الاخصاب وقت او لاجل
ان غذا اى صار للنبى الاعظم منها اى الشاة غذاء بالمعجمة اى لبان تغذيه وبين
غذا وغذاء الجناس السابق فى غنا وغناء يالها منة لقد ضوعف الاجر
عليها من جنسها وللجزاء يالها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة
وهى ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه ونظير هذا التعجب
قوله فى البردة يا طيب مبتدء منه ومختتم فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا
العاقل او المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب
وهذا فيه مجاز التشبيه لتشبيه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل
وزعم ان الياء للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل والتقدير
يا متعجبا تامل طيب مبتدئه ونظيره ما هنا يا متعجبا تامل ما استقر لها منة تمييز
اى نعمة متنها عليه لقد اللام للقسم او التاكيد ضوعف الاجر اى كثر الثواب
اذ تضعيف الشىء ان يزاد عليه مثله او اكثر عليها اى توالى وتتابع حال كونه
متواليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى او على تلك المنة اى لاجلها
على حد ولتكبروا الله على ما هداكم اى لاجل هدايته اياكم حال كونه من جنسها كما
علم من قولها فسقتها اه والجزاء من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك

لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبانها سقتها وبنيها اشباه
مع انها كانت وقت اخذه من امه على غاية من الهزال وعدم اللبن ولاجل ان غذاه كان
من البانها ازال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم
ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشاء من تسخير الله لها لهذا الفعل الجميل
الصادر منها المنبئ عن سبق سعادتها واذا سخر الاله اناسا لسعيد
فانهم سعداء وقد تقرر فى المعقول والمنقول انه اذا سخر اى ذلل ورقق
الاله اناسا لغة فى الناس لسعيد اى لخدمته ومحبته والقيام لشأنه فانهم
بسبب ذلك سعداء جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد وعينه وبره يتتابع
عليهم حتى يكون من سعداء الدنيا والاخرة ولان المرء مع من احبه من الاكابر
وان لم يعمل بعملهم كما صح به الحديث ولان الارواح كما فى الحديث ايضا جنود مجندة
فما تعارف منها فى عالم الارواح ايتلف فى عالم الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها
توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها بل رد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى هوازن
اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها
ولذلك زاد فى اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها من جملة من اعتق من سبيهم كما
يأتى وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت يكون
جملته حكمة او موعظة او تنبيها ونحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول ابى
الطيب واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام وهو كثير فى كلام

الناظم واصل ما ذكره بقوله ارضعته لى هنا ما رواه ابن اسحق وغيره من قولها بعد
ما قدمناه عنها انفا ثم قدمنا ارض بنى سعد ولا اعلم ارضا اجدب منها فكانت غنمى
تروح على شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها
فى ضرع حتى تؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمى فتروح اغنامهم جياعا
ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامى شباعى لبنا فلم نزل نتعرف من بركته الزيادة
والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب
ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شاتها
عقبه بما يتبين ان تلك المضاعفة فى قوله ضوعفت بلغت مرات كثيرة فقال
حَبَّةٌ اَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ حبة
اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس
من الاستعارة لان شرطها طى ذكر المستعار له بان لا يكون فى الكلام رمز اليه ولو
تقديرا ومن ثمه كان التحقيق فى صم بكم الاية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق
على المشبه الذى هو هم وقول البهاء السبكى انه استعارة رأى مخالف للجمهور فلا يعول
عليه كحبة واشار للوجه الشبه الذى هو تضاعف الجزاء لتبين انه ليس من
التشبيه البليغ لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه بقوله **انبتت سنابل** كثيرة
جمع سنبلة وهى مجمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين

مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف **والعصف** اى والحال ان ورق
النبات اليابس كالتبن **لديه** اى عنده **يستشرف** اى يتطلع **الضعفاء** اى
حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم
النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات
فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال ان قومها
يتطلعون الى ورق حبة او قطرة لبن فلا يجدونه **وَاَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ**
وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ و بعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين **اتت**
به **جده** عبد المطلب والذى فى الرواية الاتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه
الاصل ولان امه ما كانت تفعل به شيئا الا بعد مشاورة جده نعم فى سيرة ابن
هشام ان حليمة لما اتت به مكة اضلته فى الناس فاتت جده واخبرته بذلك
فدعا الله حتى وجدوه **و** الحال انها **قد فصلته** اى فطمته **و** الحال انه قد لحق **بها**
من اجل **فصاله** اى فطامه **البرحاء** اى التألم الكثير لما شاهدت من توالى
الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها **اِذْ اَحَاطَتْ بِهِ**
مَلَائِكَةُ اللّٰهِ فَظَنَّتْ بِاَنَّهُمْ قُرَنَاءُ **اذ** اى اتت به وقت او لاجل انه
احاطت اى احدقت **به ملائكة الله** لاجل شق قلبه الاتى وهذا ظاهر الرواية
الاتية انهم ثلثة وكذا على رواية انهم اثنان لانهما اقل الجمع عند جماعة **فظنت**
حليمة **بانهم** الملائكة **قرناء** اى شياطين يريدون ايذائه فخافت عليه

واسرعت به الى جده ليسلم من تبعته وَرَاٰى وَجْدَهَا بِهِ وَمِنَ الوَجْدِ

لَهِيبٌ تَصْلَى بِهِ الأَحْشَاءُ وَرَاٰى جده وامه حين ردته اليها وجدها

اى شدة محبتها وتعلقها به فرداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتى فى

الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه و هى للحال المبينة لعظمة ذلك

الوجد الذى رآه بها من اجل الوجد الذى بها لهيب اى نار تصلى اى تحترق به

الاحشاء جمع حشاء وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استينافية لا

ابتدائية وح فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشاء

عنه ذلك اللهيب الذى يحرق الاحشاء وان وجدها من هذا القبيل فمن ثمه

رث لحالها واطفاء نار ذلك الوجد برده اليها فَارَقَتْهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا

ثَاوِيًا لاَ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ فَارَقَتْهُ بدل من اتت كرها اى حال كونها ذات

كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى

زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها و الحال انه كان لديها اى عندها ثاويا اى مقيما

لا يمل بالبناء للمجهول منه متعلق بقوله الثواء الاقامة فهو مع ثاويا من جناس

الاشتقاق اى لا تمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان

الواسع المجبولة على حبه النفوس ولما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق

صدره لانه انسب لاحضاره لجده وامه المذكور آنفا ولذا بدل من قوله اتت فقال

قوله شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَاُخْرِجَ منه ؛ مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ

شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ بالكيفية الاتية فى القصة ويحتمل ان يكون قوله شق عن قلبه استيناف

لبيان مطلق الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع وما بعده مما يأتى ويؤيده انه

ذكر فى قصته اشياء ككون الخاتم جبرئيل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع

بل فى شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة الاتى بسطها

وهو اى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدى

والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء

القلب والقلب حبته وسويداه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم اليمن قلوبا

وارق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفوده اى توقده

والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه كما فى الحديث ومثل

هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر واخرج منه اى القلب

مضغة اى قطعة لحم قدر ما يمضغ عند غسله ظرف لاخرج سوداء صفة

لمضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء

الانسانية فعدمها نقص فى البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة

البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتبار والرعاية من خلقه بدونها

ويأتى فى رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافى ما ذكره

الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه

اخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد بها المبالغة فى تطهيره وتكريمه وذلك

يستدعي استقصاء تنظيف جوفه خَتَمَتهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُوْ دِعَ مَا
لَمْ تُذِعْ لَهُ أَنْبَاءُ خَتَمَتَهُ اى ذلك الشق المفهوم من شُق و هى استينافية او
معطوفة على شق بحذف حرف العطف اى ثم بعد شقه لَامَتَهُ واعادته الى ما كان
عليه يمنى جبرئيل الامين على كتب الله تعالى ووحيه و الحال ان ذلك القلب
الكريم قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة والاسرار الالهية والعلوم ما
اى الذى او شيئا لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشر له اللام زائدة
اى مالم ينشره ويُحِط به انباء اى اخبار لانه لا يعلمه الا مولاه والمتفضل به عليه
قال العلماء جعل الله القلب فى الانسان هو الذى يعقل عنه فهو اصل وجوده
وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها الله قلب من يشاء
فاول قلب اودعها قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول الخلق وصورته
اخر صور الانبياء فهو اولهم وآخرهم فلذا جاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم
بما لا يعلمه الا الله تعالى صَانَ أَسْرَارَهُ الخِتَامُ فَلَا الفَضُّ مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الإِفْضَاءُ
صان اى حفظ اسراره التى اودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك الختام
الواقع من جبرئيل وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين او نحوه وبينه
وبين ختمته جناس الاشتقاق فبسبب هذه الصيانة لا الفض اى الكسر
بالتفرقة ملم به اى واقع بذلك الختم ولا الافضاء اى الاشاعة وافشاء
لذلك السر وبين الفض والافضاء التجنيس المطلق وفرقيه فى فبصر وقصر

زيادة

زيادة ويجري ذلك فى يمنى الامين واصل قوله وانت جئت اه قول حليمة رضى الله تع
عنها بعد ما قدمته عنها كما فى السير منها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير
حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه
حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شئ على بقائه عندنا لما
نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه من
وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به
بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفى بُهْمٍ لنا خلف بيوتنا جاء اخوه
يشتد فقال ذلك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا
بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه فاعتنقه
ابوه وقال اى بنى ما شانك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى فشقا
بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة
لقد خشيت ان يكون ابنى قد اصيب فانطلقى فرديه الى اهله قبل ان يظهر به
ما تتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه
قلنا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقانى شانكما فلم
تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان
عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شان فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى
يعلى وابى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا بنى ليث ابن ابى بكر فبينا انا ذات

يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذا برهط ثلثة معهم طشت من ذهب
ملئ ثلجاً فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هرباً مسرعين الى الحي فعمد احدهما
فاضجعني على الارض اضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه
فلم اجد لذلك مساً ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها
مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه
فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال اي اشار بيده يمنة ويسرة كانه
يتناول شيئاً فاذا خاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبي فامتلأ نوراً وذلك
نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً ثم قال الثالث
لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري ومنتهى عانتي فالتأم الشق باذن الله
تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضاً لطيفاً الحديث وفي رواية عند
البيهقي ان احد الثلثة بيده ابريق من فضة وبيد الثاني طشت من زمردة خضراء
وورد في خبر التابوت المذكور في الاية انه كان فيه الطشت الذي غسلت فيه
قلوب الانبياء عليهم السلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به
صلى الله عليه وسلم
قيل وانما لهذا ان اختصت الختم به اما اذا لم يختص به كما مر فالحكمة انه من جملة علامات
النبوة وانما شاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه
وسلم الظاهر انها من خواصه صلى الله عليه وسلم سيما مع تكرر الشق لان الوارد
فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة في خرق

العادة

العادة والتعظيم مبلغاً لا يدركه العقل وروي الشق ايضاً وهو ابن عشر سنين ونحوها مع
قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل ورواها عبد الله بن الامام احمد في زوائد
مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة قال اني
لفي صحراء واسعة امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين من فوق راسي يقول احدهما
لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني واضجعاني بحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان
احدهما يختلف بالماء في طشت من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما
لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقاً لا اجد له وجعاً ثم قال اشقق
قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال
ادخل الرحمة والرافة قلبه وادخل شيئاً كهيئة الفضة ثم اخرج ذروراً كان معه
وذر عليه ثم نقر ابهامي ثم قال عد فرجعت بما لم اعد به من رحمتي للصغير
ورأفتي للكبير وروي خامسة ولا تثبت وحكمة شق صدره الشريف في حال صباه
واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ على اكمل الصفات الرجولية
ولذلك نشأ على اكمل احوال العصمة قال بعض الائمة ولعل هذا الشق كان سبباً لاسلام
قرينه المروي عند البزار واشارة الى حظ الشيطان المبائن له كالعفريت الذي
اراد ان يقطع عليه صلوته وامكنه الله منه واما قول الرازي وقوعه في حال
الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا تجوز تقدمها على النبوة لان الذي عليه اكثر
اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي فمردود بان هذا من باب الارهاص

لا المعجزة ونظاير ذلك كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك

تنبيه اول ثبت شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيئ جبريل له بالوحى وهو

بغار حرى كما يأتى وممن رواها الطيالسى والحارث فى مسنديهما وكذا ابو نعيم ولفظه

ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرء باسم ربك الايات والحكمة فيه

كمال التهيئ والتقوى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوى فى اكمل احوال

التطهير وثبت مرة اخرى تواردت عنه بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسراء

ففى البخارى وغيره انه شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج به الى ركوبه البراق

فشق من ثغرة نحره الى نحو عانته فاستخرج قلبه ثم غسل فى طشت ذهب اى لان تحريم

الذهب انما كان بعد على ان الغالب فى احوال تلك الليلة انه من احوال الغيب

فيلحق باحكام الاخرة فلا حكم وايمانا ثم حشى اى وتجسيم المعانى جايز ومنه الرواية

الصحيحة يذبح الموت ثم اعيد وحكمة هذا الشق التهيئ للترقى الى الملاء الاعلى والتقوى

على استجلاء شاهد ما تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم لم يطق

الرؤية وجميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان

خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع فى هفوة

المعتزلة فى تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض

وغير ذلك بالتشهى قبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد رمى ابراهيم عليه السلام

فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق ابلغ فى الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل

عليه السلام فانه مقدمات ذبح لا حقيقة كما هو رأى اهل السنة وتقديره الذى ذهب

اليه المعتزلة انه اضجعه وامر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا فذاك مقتل واحد

وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه

وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فاقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون

النقع اى الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزى فشقه وما شق

عليه انه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعيد ما فطم مع انفراده

عن امه ويتمه من ابيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه

فى المال ومن ثمة لما شج وجرح وكسرت رباعية يوم احد قال اللهم اغفر لقومى فانهم

لا يعلمون وفى رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم اى لانه يقوى القلب ويسكن

الروع واخذ البلقينى من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر

خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدى كما بينته فى شرح العباب وفى وضع الايمان والحكمة

بالقلب دليل لما عليه اكثر اهل السنة ان العقل فى القلب كما دلت عليه الايات

لا فى الدماغ **تنبيه ثان** قال عياض خاتم النبوة اثر شق الملكين وابطله النووى

بان شقها كان فى بطنه وصدره اى كما فى الروايات ومن ثمة صح عن انس كنت

ارى اثر المخيط فى صدره فالصحيح او الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو

بنون مضمومة ونفتح فمعجمتين اعلاه ورواية الايمن ضعيفة قيل ولد به وروى ابو

نعيم انه جعل عقب ولادته والذى فى حديث البزار وغيره عن ابى ذر يا رسول الله

متى علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني آتيان وفي رواية ملكان وانا
ببطحاء مكة الحديث وفيه قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي
فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل
الاناء واغسل قلبه غسل الملاء اي الثوب الذي يتغطى به ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه
فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان وولّيا عني فكاني ارى الامر معاينة وعند
احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال
احدهما ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بالسكينة فذرها في قلبي ثم قال احدهما
لصاحبه خط بطنه فخاطه واختم عليه بخاتم النبوة **تنبيه ثالث** اختلف
في كيفية تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة بيضة الحمامة شعر مجتمع بضعة ناشزة
بندقة سلعة شيء مختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة في اللحم شامة سوداء تضرب
الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة اي البشخانة وزعم انها هنا الطائر المعروف وذرها
بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف في الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له وكلها
الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة الحمامة
واذا كثر قيل كجمع الكف اي على هيئته لكنه اصغر منه ويشكل عليه رواية محتفرة في اللحم
ويجاب بانه يحتمل انه حواليها احتفار ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفي المستدرك
عن وهب ان شامات النبوة في ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من
خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم **فائدة** اخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر

وغيرهم

وغيرهم عن العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة
لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال
اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد
تحت العرش قال البيهقي تفرد به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد
والمتن في المعجزات حسن ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره
ذكر حكم نشأته في حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الاتي نتيجة ما اودع الله
في قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال **أَلِفَ النُّسُكَ وَالعِبَادَةَ**
وَالخَلْوَةَ طِفْلاً وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ الف النسك والعبادة عطف تفسير اي
اعتادهما واستمر عليهما **والخلوة** عن الناس في حال كونه **طفلا** فما بعده كما فهم بالاولى
واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل ولانه لو تعبد بشرع
احد لظن انه من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع
لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى ان اتبع ملة ابراهيم
اي في التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوة من
الرفق والحلم الذي لم يوجد كماله الا لابراهيم وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد
امر باتباع الكل فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول
كيوسف على قول فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب
عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذي في الاية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه

لان القائلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباعه

فيما لم ينزل عليه فيه شيء فامره بذلك بعد النبوة فدل على انه كان يألفه و يعمل به قبلها

والا فكيف يؤمر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا

عليها كيفية تعبده عليه الصلوة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان

يخرج الى حراء شهرا في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش

في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف صلى الله عليه

وسلم من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد

ان عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره الخلوة والاعتزال عن الناس عبرا وغيره

وَهٰكَذَا النُّجَبَاءُ اى وعلى هذا الشأن العلي شأن الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم

على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابراهيم عليه السلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى

الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره عبادة كما في الحديث وفي البيت من

انواع البديع ثاني اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بان تناسب معانيها اذ

النجابة اخره يناسبها الف ما ذكر لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو

مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه حديث الا

اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم

باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر فاتى من اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم

من الرقة والانكسار ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة

والاباء

والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في السهولة وحسن

السبك والانقطاع عن النظر وقوله وهكذا اه تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى

تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان احدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل نجازي

الا الكفور كما مر وَاِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا ؞ نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْاَعْضَاءُ

وَ انما كان هذا شأن النجباء من الانبياء ثم صالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم انه

اذا حلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة عليه فقط ومن الاول

انك لا تهدي من احببت اى لا توصله ومن الثاني واما ثمود فهديناهم اى دللناهم

ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك قلبا

نشطت للعبادة الاعضاء لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده

ومن ثمه صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح

الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي

مرت نظايره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده

وبين مبعثه وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة لما

ردته الى جده وامه كان في كلاءة الله وحفظه ينبته نباتا حسنا و يوفقه لافضل الاعمال

والاحوال كما اشار الى ذلك الناظم بقوله الف النسك اه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم

اربع سنين وقيل اثنى عشر وشيئا وبين ذلك اقوال اخر ماتت امه وكانت قد

قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام

ايمن واخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما راى دار النابغة قال هنا نزلت بى امى
واحسنت العوم فى بئر بنى النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت ام
ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله
من كلامهم ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون
وفى اخرى فى بعض دور مكة كما فى القاموس وحضنته بعدها ام ايمن بركة ثم مات
جده كافله وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فقيل ست وقيل ثلث فكفله عمه
ابو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى
قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق
فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة
فاخذه ابو طالب والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما فى السماء قزعة
فاقبل السحاب من ههنا واغدق الوادى واغدودق وانفجر له الوادى واخصب
النادى والبادى وفى ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال
اليتامى عصمة للارامل وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله
عليه وسلم حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن
العباس انه اسر اليه الاسلام عند موته ويؤيد ذلك ما فى رواية البيهقى الاتية
لله در ابى طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق على صحتها ترد ذلك وهى اكثر من
ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاءه لها كان بعد المبعث وقد

يجمع بانه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث ثم رايت فى شرح المنهاج
للكمال الدميرى فى باب الاستسقاء عن الطبرانى وابن سعد ان عبد المطلب استسقى
بالنبى صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب ويمدحه صلى الله
عليه وسلم وابيض يستسقى الغمام بوجهه البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى
به ابو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المخالفة فيه
بتكرر الواقعة اذ واقعة ابى طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة
عبد المطلب كان اولها انهم امروا باستلام الركن ثم لرقى ابى قبيس ليدعوا عبد
المطلب ومعه النبى صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم ففعل فسقوا لكن قال الحافظ
بدر الدين الهيثمى شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين العراقى عن رواية الطبرانى فى
سندها رجال لا اعرفهم اى لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به فى
الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب على ان صاحب الروض ذكر روايتين
عن ابن الاعرابى وغيره يوافقانه وح تعين الجمع بما ذكرته واما الثانى فكون ابى
طالب هو الذى انشاء ذلك البيت هو ما درج عليه ائمة السير وغيرهم ومن ثمه
جعله السهيلى فى روضه امرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الاتى رديهما واما قول
الدميرى انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه فى اخر قصة
عبد المطلب ان رقيقة بنت ابى صيفى بن هاشم وهى التى سمعت الهاتف فى النوم او
اليقظة لما تتابعت على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبى

المبعوث قد اظلكم ايامه و هذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ثم امرهم بان
يستقوا به وذكر كيفيته يطول ذكرها حاصلها ما مر فلما ذكرت الرائية وهي
الرائية المذكورة القصة الثالثة تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات اخرها مبارك
الامر يستسقى الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر فكان الدميري لما راى هذا
البيت في رواية قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت ابي طالب
اذ في كل استسقاء الغمام به الذي هو المقصود يوهم ان بيت ابي طالب لعبد المطلب
فوهم من وجهين نسبة هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرقيقة والحكم عليه بانه
عين البيت المنسوب لابي طالب وليس بل شتان ما بينهما فتامل هذا المحل فانه مهم
وقد اغتر بكلام الدميري هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رايت
ما يقطع بغلط الدميري وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت لابي
طالب كما اخرجه البيهقي عن انس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه
ان وجد لابد ان يئط وانشد ابياتا فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى
صعد المنبر فرفع يديه الى السماء فدعا فما رد يديه الى نحره حتى التفت السماء بابراقها
وجاؤا يضجون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم
قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله
عنه يا رسول الله كانك تريد قوله وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى

عصمة للارامل وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق
بان منشئ البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح تنبيه برواية
ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض
يستسقى الغمام بوجهه البيت ولم يره قط استسقى انما كانت استسقاؤه صلى الله عليه
وسلم في المدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له
فالجواب ان ابا طالب قد شاهد من ذلك ايضا في حيوة عبد المطلب ما دل له على ما
قالت انتهى ووجه سقوط ما ذكر ان ابا طالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى
فانشأ ذلك البيت والشارح والعجب من شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر انه غفل ايضا
عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال السهيلي هذا بقوله ويحتمل ان يكون
ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخائل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك
انتهى اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ
والعصمة الحافظ من الضياع والارامل المساكين رجالا ونساء لكنه في النساء اكثر
استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ
بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين اشرفتم
به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني اعرفه بخاتم
النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه ان يرده خوفا عليه من اليهود
رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل غمامة تظله وبحيرا الفتح

فكر مقصور وذكره جمع من الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل البعث
وصح ان سبعة من الروم اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورده
ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقوله وبعث معه اه وهم من احد رواته لان ابا
بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي الحديث عند البيهقي وابي نعيم
انهم لما اقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانثنت
اغصانها حتى اظلته وروى ابو نعيم وابن عساكر اخت الشيما بنت حليمة رأته في ظهيرة
وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى
الشام مرة اخرى لتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف وفيه ان ابا بكر كان معه وان
بحيرا قال هذا والله نبي وذلك سبب ايمان ابي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس
وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها
وفي هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا
وثلاثين سنة خافت قريش ان يهدم السيول الكعبة لتشعثها فامروا باقوم النجار
القبطي مولى احدهم ببنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة
ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى
لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت
لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السماء لكن

كاهن

كانت العرب لا تلتفت لذلك بالا فلما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع كما قال
بَعَثَ اللّٰهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُبَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ بعث
اي ارسل الله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد من الخلق عند
بتثليث العين اي قرب مبعثه اي زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم اي
ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة وبين بعث
ومبعث جناس الاشتقاق الشهب على الشياطين الذين يسترقون السمع
فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما في الحديث ثم يلقيها للكاهن
وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تحرق الشياطين المسترق للسمع او تخبله (الشيطان بدل)
حراسا اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال او مصدر اي
لاجل الحراسة لشريعة التي سيأتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس
منها وهو للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد الجن اه ففيه
التتميم كعلى حبه من وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ولكثرة تلك الشهب
وعمومها للمسترقين في نواحي السماء ضاق عنها الفضاء اي المفازات
الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضاء
الطباق تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدِ لِلسَّمْعِ كَمَا تَطْرُدُ الذِّيَابَ الرِّعَاءُ
تطرد حال من الشهب او صفة له كما في ولقد امر على اللئيم يسبني لكن ظاهر
المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة الجن ومر انهم اجسام

نادية تقدر على التشكل في الصور المختلفة عن مقاعد اى امكنة قريبة
من السماء يقعدون فيها للسمع اى ليسمعوا شيئا من الملائكة المتكلمين
بها سيقع في الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون رأيسهم يلقيه
عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم ينسخه من كتب البعض الاخر
زيادة في الاعتناء والتظهور للملائكة واصل هذا قوله تعالى قُلْ اُوحِيَ اِلَيَّ
اَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ الى قوله فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا به ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين
ما حكاه الله تعالى عنهم او اخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل
السير انه لما حيل بينهم وبين خبر السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا
مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة
منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه
وسلم بنخلة قريته على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرء فاستمعوا
له ثم قالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى قومهم
منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الى الايات واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن الاية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم
خرج الى اهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرء
تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اى مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح

الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء
الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون
كلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم
لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا يأتي مقعده الا رمي
بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لامر عظيم قد حدث
فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال
هذا الحدث الذى حدث في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي قال اعني
ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت
عمه ابي طالب وروى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انهم هبطوا عليه
صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرء القرآن فلما سمعوه قالوا انصتوا
فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا على رواية
ابن عباس يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما
استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما
بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه
شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم
اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا
تشرب والحاصل ان ذهابه الى الطائف انما كان بعد موت ابي طالب بسنة

عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوجه سودة
بعد ايام فكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة باشهر من شوال الما نالمه
قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم
يجيبوه واغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبه
بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض
فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد مما لقيه
يوم احد وان جبرئيل نزل عليه ع ومعه ملك الجبال ليامره في قومه بما شاء
فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجوان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيئا وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات
وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من
ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما
منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا
يخطئه ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير
غولا يضل الناس في البراري قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره تاسيسا لنبوته
نعم جاء من معمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت

افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين
بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه ولكن
لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان
الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى
مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طرد بالغ جدا كما موصولة او مصدرية
يطرد الذياب جمع ذئب بالهمزة وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذياب
صرح به الحديث الصحيح الرعاء بضم اوله وكسره للغنم عنها اذا ارادت العدو
عليها فمحت اية الكهانة ايات من الوحي ما لهن انمحاء فبسبب
ذلك الطرد البالغ للجن من خبر السماء محت اية الكهانة مفعول مقدم وهي
بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات
البعيدة اي علاماتها وهي ما كانت يأتي به الكهان ويذكره من المغيبات التي تلقيها
اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه
اليه من الكذب كما مر ايات من جملة الوحي وهو الكتابة والاشارة والرسالة
والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام
الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وما يلقيه الملك في
روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب تمثل تمثل الملك له

رجلا فيخاطبه وصح انه كان يأتيه في صورة دحية اى لانه كان جميلا جدا اذا قدم
لتجارة خرجت الظعن لتراه ولتشكّل جبريل مع عظم صورته وان لها ستمائة جناح
تسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى
تصغر الصورة جدًّا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة
وهذا اولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل
صورة اخرى له وروحه متعلقة بها اى كما في الابدال الذين يتعدد صورهم في الوجود
وروحهم واحدة والتكليف منوط باى صورة ارادها الانسان يأتيه مثل صلصلة
الجرس وهو اشد عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكان
رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشي
بعد اليوم على رجلي ابدا يأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما في سورة
النجم كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض
ونبينا صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى وصح
عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل وكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبرئيل فجاءه بالقران ثم وصف آيات
الوحي بانهن **مالهن انمحاء** من محا يمحو ويمحي ومحا اى مالهن ذهاب ولا تغير
كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغراء بانها باقية على ممر الدهور الى ان ينزل
عيسى عليه السلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين

خبر

اخبر الصادق بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله
اى ريح لينة تقبض ارواحهم فلا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم
الساعة وبين محت وانمحاء جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة زواجه صلى الله
عليه وسلم بخديجة ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث الله
اه لكان اولى فقال **وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالزُّهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ**
وَرَأَتْهُ اى علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر امهات
المؤمنين رضي الله تعالى عنهن **خديجة** بنت خويلد بن اسد بن عبد
العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر
وهي الجمال **التقى** هو البراءة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبدؤه اتقاء
الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر ان اتقيكم واعلمكم
بالله انا اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية **والزهد** هو اخذ اقل الكفاية مما
يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله تعالى وصح خبر ما شبع ال محمد من طعام
ثلثة ايام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة
واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما خبزهم الشعير وخبر النعمان بن البشير لقد
رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل بالتحريك
اى اردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا توقد في ابياته
صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم

مات ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلثين صاعًا من شعير اخذها قوتًا لاهله فيه
كلٌ منهما سجية بالسين المهملة اى خلق غريزى طبيعى والاختلاف فى كون حسن
الخلق غريزةً او مكتسبًا يتعين ان يكون محله فى غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك من
قال غريزيته بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم والاصح
ان اصول الاخلاق غرايز وملكات فى نوع الانسان وانما التفاوت فى ثمراتها وهذا
هو الذى به التكليف لان الغريزى لا تكليف به لانه ليس فى الطاقة نعم من فيه
غريزة منه اعانته على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيًا فيؤمر بالمجاهدة فى الضعيف
حتى يقوى وفى غير المحمود حتى يصير محمودًا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان
فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال الحلم يا رسول الله قديمًا كان فىّ او حديثًا
قال قديمًا قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله فترديد السؤال وتقريره
عليه يشعر بان فى الخلق الجبلى والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
اللهم كما حسنت خَلقى اى بفتح اوله فحسن خلقى وكان يقول فى دعاء الافتتاح
واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت وما اجتمع فى نبينا صلى الله
عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به احد اثنى الله تعالى
عليه فى كتابه العزيز فقال مؤكدًا لذلك بذكر على الاستعلائية وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان
الغالب وصفه بالكريم لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضى للسماحة والديانة

بل يعم صفتى الانعام والانتقام اذ كان رحيمًا بالمؤمنين شديدًا غليظًا على غيرهم والحياء
فيه سجية ايضا على الكمل غاياته ففى البخارى من حديث ابى سعيد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد حياءً من العذراء اى البكر فى خدرها وقيد به لان حيائها
فيه اشد لانها مظنة ان يظفر منها طامع يدخل عليها فيه بشيء بخلافها بحضرة الناس
والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به من الحيوة
ولذلك سمى المطر حيا لكنه مقصور وشرعًا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه التقصير
فى حق من له الحق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان
كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج لاقصد واكتساب وعلم وَاَتَاهَا
اَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرْحَ اَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا اَفْيَاءُ واتاها الخبر بكرامتين عظيمتين
وقعتا له صلى الله عليه وسلم وهما اَنَّ الْغَمَامَةَ وهى السحابة والسرح وهو كما فى
القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك له او كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة
الاتية ان المراد الاول او الثالث واما الثانى فلم ار ما يدل عليه اظلته منهما
حال من قوله افياء جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء رجع لرجوعه
من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته الشمس
والفيء ما نسخها وقد مر ذكر هاتين الايتين قبل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب
وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته فى تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى
فنزل تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثم ما نزل تحتها الا نبى وسال ميسرة انى

عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال له الراهب هذا اخر الانبياء ليت انى ادركه
اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه فى بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى
فقال ما حلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه هو الذى
تجده احبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه
فى الهاجرة ورأت خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهى فى علية لها
فادنة نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رأت فاخبرها
بجميع ما رآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط **تنبيه**
ورد فى تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة وهو على
شرط الصحيح الا ان فى روايته غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام فى اشياخ من
قريش فرءاه بحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقى ورسول رب العالمين
هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له وما علمك فقال انكم حين اشرفتم من
الثنية لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبى وانى اعرفه بخاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله
عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى
الى القوم وجدهم قد سبقوا الى الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيئ الشجرة
عليه فقال انظروا الى فيئ الشجرة مال اليه الحديث رواه ابو موسى الاشعرى وهو مما

ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار اصحابه
او كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق مفصلا والبيهقى
فى الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا
لانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم
ثم اقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت
اغصانها اى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل
تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك ايضا
عن اخته من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم
انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة كما يأتى ومما يدل على انقطاع ذلك
ان الصديق رضى الله تعالى عنه اظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة
فى الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه برداء وصح انه صلى الله عليه وسلم
ظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمرة وظلل به مرة اخرى وهم بالجعرانة وانهم كانوا
فى اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح
قوله واذا ما مشى بجانوره الظل آه ماله تعلق بذلك **وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ**
رَسُولِ اللَّهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ واتاها ايضا **احاديث** الاحبار
والرهبان والكهان **ان** اى بان **وعد رسول الله** صلى الله عليه وسلم
مصدر مضاف للمفعول اى وعد الله تعالى له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى

للخبر بالبعث اى الارسال الى الخلق كافة حان اى قرب منه اى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء اى قرب وفاء الله سبحانه بذلك
الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته الى الزواج وما احسن
ما يبلغ المنى الاذكياء فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة
من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء غسلها دعته اى خطبته الى الزواج
الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمي اني قد رغبت في
نكاحك لما رأيته وعرفته منك وقرات سنها حين كان اربعين سنة وسنه
صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت
قبله رجلين وما احسن هذه احدى صيغتي التعجب ما مصدرية فتؤول مع
يبلغ بمصدر منصوب المحل على التعجب المنى اى الاماني جمع امنية وهي ما يتمناها
الانسان الاذكياء جمع زكي كغني والزكاء بالمد حدة الطلب ومزيد يقظة اى
شيء عظيم احسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنون ومنهم بل واكملهم خديجة رضي الله
تعالى عنها فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه
كل ما تمنته واملته مما لم تبلغ امرأة من هذه الامة اذ هي على الاصح افضل امهات
المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وهذا من انواع البديع المسمى بارسال المثل وهو ان
يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة او نحوها كقول ابي
الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل وهو كثير في كلام الناظم

ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة
حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها
عشرين بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من
ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ اى معدنين او مهملتين اصل معد وعنصر
مضر وجعلنا حضنة بيته اى الكافلين له وسواس حرمه اى المتولين لامره
وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي محمد بن عبد الله
لا يوزن به رجل الا رجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من
قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق من
اجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها
ابوها منه وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها اثنتي عشرة اوقية
ذهبا ونصف اوقية قالوا كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما واتاه في بيتها
جبرئيل ولذي اللب في الامور ارتياء ومما يدل على عظيم ذكائها
وفرط معرفتها انه اتاه بعد النبوة والرسالة في بيتها جبريل كعند ليب لغة
في جبريل ليلقي اليه ما امر به من الوحي وكان عندها من الايمان به علم اليقين
فاحبت ان تنقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم عليه السلام في قوله بلى
ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية ولذي اى صاحب اللب
اى العقل الكامل وخديجة رضي الله عنها من اكمل اولي الالباب واذكاهم في الامور

اى الاحوال التى قد تشتبه ارتياءً اى استبصار من ارتأيته اى نظرته بالعين او
القلب كما فى القاموس وفراسة يقتضى بها على تلك الامور بتميز حسنها من قبيحها
فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية
لابد لها من نكتة فهى هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا امر
كلى جار مجرى المثل او الحكمة فهو من ارسال المثل فَاَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِمَارَ لِتَدْرِيْ
اَهُوَ الْوَحْيُ اَمْ هُوَ الْاِغْمَاءُ فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال اماطت
اى ازالت عنها اى عن رأسها الخمار وهو ما يخمر اى يغطى به الرأس لتدرى
اى لكى تعلم عين اليقين اهو اى اهذا الذى عرض له صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه
عن حالته المألوفة عنه الوحى اى حامله وامينه الذى كان يأتى به الانبياء
قبله ومرت اقسامه ام هى معادلة الهمزة المطلوب بها وام التعيين ولها قسم ثان
وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة فى افادتها
الاستفهام فى الاول والتسوية فى الثانى وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغنى باحدهما عن الاخر ويقابلها المنقطعة وهى ثلثة اقسام مبسوطة فى محلها
هو الاغماء الذى هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون
الجنون فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جِبْرِيلُ فَمَا عَادَ اَوْ اُعِيدَ الْغِطَاءُ
فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى عند كشفها الرأس مفعول كشف
المضاف لفاعله جبريل فما عاد او اعيد الغطاء يعنى الى ان اعادت غطاء

رأسها

رأسها فاعيد ماض مبنى للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال
واعيد منصوب بان مضمرة بعد او التى يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل اعيد انتهى
وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض اه وكان هذا الوهم سرى اليه مما يصرح
به كلام النحاة ان او غير العاطفة التى بمعنى الى ان لا تدخل الا على مضارع كما فى حتى الغائية
المرادفة لاو المذكورة كما صرحوا به وح فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة من ان اعيد
ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت
اليه واما كونه يبقى اعيد على حاله ويجعله منصوبا باو فهو جلى الفساد لا يقال هو
ماض لفظا مستقبل معنى فليجز دخول او الناصبة عليه لما صرحوا به فى حتى المرادفة
لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا فى حكم المستقبل نحو
سرت حتى ادخل المدينة فهو مؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو
مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه لفظ
المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا يدخل عليه حتى الغائية فاجابوا
بان ما فيه من المضى مؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض
فلا يدخل عليه حتى الغائية اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى اتاهم نصرنا
حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء قلت حتى هنا
ابتدائية لا غائية واو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح
بذلك الائمة ولخصه الجلال السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ملخصه ان

حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط
واما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها على تأويل
المصدر فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له في ذلك سلفا
وفيه تكلف اضمار ان من غير ضرورة ورد وازعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا
وان اذا في موضع جر بها بانه خلاف ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب
بشرطها او جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابطة حتى انها اذا وقع بعدها
اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف
او جملة اي ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى في
ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى في القران او غيره يكون حتى ح ابتدائية ولا
تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه
واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى فان قلت لم فسرت
او على حتى الغائية في موضع دخوله على الماضي ولم تفسرها على الى ان او الا ان اللذين بمعناها
قلت اما كونها بمعنى الا ان فهو ما ذكره ابن مالك وقد رد عليه حتى ولده
ومن ثمه قال ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل
على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او قد كما هو مقرر في محله واما كونه
بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا
وهذا المعنى موجود في الى بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على الماضي بنص كلامهم لا بطريق

القياس

القياس فان قلت تقرر ان او بمعنى الى ان وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث قام لي
ان تورمت قدماه فلتكن او كذلك قلت اشتباه لان ان المتضمنة في او هي الناصبة
وهي خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة لها على الماضي واما ان الملفوظ بها
بعد الى فهي التي لا يتصور لها العمل وهي تدخل على الماضي فلا جامع بين هذه وتلك فان
قلت بعضهم يقدر او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان لا نظر
اليها قلت لا يدل لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم اختلفوا في ناصب المضارع
الداخل عليه او فالاصح ان ان مقدرة بعدها وقال قوم هي الناصبة نفسها فعلى الاول
مقدرة بالى ان وعلى الثاني بالى فقط فان قلت قد ادخل الناظم او على الماضي في موضع
من البردة وسكت عنه شراحها قلت الاعتراض عليه في ذلك ايضا واما الشراح
فيحتمل انهم انما سكتوا عن ذلك نظرا للمعنى او انهم غفلوا عما ذكرته من صريح
كلامهم الدال على ان او الغائية لا تدخل على الماضي ثم رأيت شارحها العلامة
ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال في او خفت البطاح بها ان او هنا عاطفة
ثم جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان ذلك ولم
يصرح على انها او الغائية وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان
معنى الغائية في البيت اقرب مما تكلفه ولا يتأتى نظير ما تكلفه هنا بوجه والا
لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا لاو الا ضربين عاطفة
وناصبة وهي الغائية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص

بالمضارع نحو ابثت لها قسمًا ثالثًا وهو دخولها على الماضى ولا تكون للعطف فعليه
البيان ولا يجد ذلك كما دلّ عليه كثرة البحث والتتبع فتامّل ذلك كلّه فانّه نفيس
مهمّ غفل عنه النّاظم وغيره فَاسْتَبَانَتْ خَدِيجَةُ أَنَّهُ الكَنْزُ الّذِي
حَاوَلَتْهُ وَالكِيمِيَاءُ فاستبانت خديجة قبل صرفها للضرورة وبردّ بانّها
باقية على عدم صرفها والوزن صحيح اى ظهر لها اتمّ الظّهور لانّها علمت من ابن
عمّها ورقة الآتى اومن غيره انّ جبرئيل لا يأتى محلا فيه امرأة مكشوفة الرّأس
انّه اى ما يعرض للنبيّ صلّى الله عليه وسلم الّذى طلبت الوقوف على عين اليقين فيه
الكنز اى الشيئ النّفيس بل الّذى لا انفس منه الّذى حاولته اى ارادت حيازته
والظفر به وانّه الكيمياء اى العلم البديع الّذى يقلب الاعيان الرّديّة الى الاعيان
النّفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى
لانّه بهما تحصل الذخائر النّفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما انّ الوحى كذلك وايضا
هما لا يظفر بهما الّا الفذّ النّادر كما انّ الوحى لا يظفر به الّا اكمل البشر وهم فى غاية
النّدرة والقلّة بالنسبة لبقيّة النّاس واشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب
ذلك وهو قصّة ابتداء بعثته صلّى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلّى الله عليه
وسلم لمّا بلغ اربعين سنة وقيل وكسرا بعثه الله يوم الاثنين كما فى خبر مسلم لسبع
عشرة من شهر رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاوّل وقيل انّ فى رجب رحمة
للعالمين ورسولا الى كافّة الخلق اجمعين كما قال صلّى الله عليه وسلم وارسلت الى

الخلق

الخلق كافّة وروى البخارى وغيره اوّل ما بدى به من الوحى صلّى الله عليه وسلّم
الرّؤيا الصّادقة فكان لا يرى رؤيا الّا جاءت مثل فلق الصبح وابتدى بها لانّ
الملك لو جاءه بغتة لم تحتمله قواه البشريّة وكان يأتى حرا فيتعبّد فيه الليالى
الكثيرة ثمّ يرجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتّى جاءه الحق اى جاءه جبرئيل وهو
بغار حرا فقال له اقرأ قال ما انا بقارئ اى لست بقارئ قاله امتناعا لانه كان امّيّا
لا يقرء ولا يكتب فغطّه حتّى بلغ منه الجهد ثمّ ارسله وقال له اقرأ قال ما انا
بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطّه ثمّ ارسله كذلك قال له اقرأ قال ما انا بقارئ اى ما
الّذى اقرأه فغطّه فارسله كذلك وحكمة الغطّ ثمّ تكريره مزيد التأهّل الى لقاء
الملك لما بين الملكيّة والبشريّة من التباين ثمّ الى التلقّى منه ثمّ قال له اقرأ باسم
ربّك الّذى حتّى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده ثمّ دخل على خديجة فقال
زمّلونى زمّلونى فزمّلوه حتّى ذهب عنه الرّوع فقال يا خديجة مالى واخبرها
الخبر ثمّ قال لقد خشيت على اى قبل ان يحصل لى العلم الضرورى بانّ الجائى جبرئيل
او خشيت ان لا اقدر على حمل اعباء الرّسالة وان يقتلنى قومى ولا بدع فانّه بشر
فقالت له كلّا ابشر والله لا يخزيك الله ابدا انّك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل
الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثمّ انطلقت به الى ابن عمّها ورقة
وكان شيخا كبيرا قد عمى وهو ممّن تنصّر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع
من ابن اخيك فاخبره صلّى الله عليه وسلّم ما رأى فقال هذا النّاموس الّذى

انزل الله على موسى ياليتنى فيها اى ملتك جذعا اى شابا لا بالغ فى نصرتك اى اذ
يخرجك قومك قال او مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى
وان يدركنى يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى
فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى رؤس شواهق الجبال ليرمى
نفسه فيبرز له جبرئيل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا اى لا لطلب
النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب الله اعلم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جوارى
هبطت فنوديت فنظرت فلم ار شيئا فرفعت راسى فرأيت شيئا لم اثبت له
فاتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر الاية
وهذا بعد نزول اقرأ او بعد فترة الوحى اذ اول ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب عن
الشعبى انه قال نزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة
فقرن بنبوته اسرافيل ثلث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن
على لسانه فلما مضت ثلث سنين قرن بنبوته جبرئيل فنزل عليه القرآن على لسانه
عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذى وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد
تهييجه الى الاشتياق للعود وروى اصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر
خديجة الخبر قالت له اتستطيع ان تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم
فلما جاءه جبرئيل اخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت اتراه

قال

قال نعم قالت فعلى الايمن ففعل قالت اتراه قال نعم قالت فاجلس فى حجرى ففعل
قالت اتراه قال نعم فالقت خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله
انه لملك ما هذا شيطانا **ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللهِ وَفِي الْكُفْرِ جَدُّهُ وَآبَاؤُهُ**
ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر بادر صلى الله عليه
الى امتثال ذلك **قام النبى** اى جد واجتهد فى حال كونه **يدعو الى** عبادة **الله**
والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك
لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض
الله من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل ثم نسخه بما فى اخرها ثم نسخه بايجاب
الصلوة الخمس ليلة الاسراء بمكة قاله النووى وقال فى فتح البارى كان صلى الله
عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض
قبل الخمس صلوة ام لا فقيل ان الفرض صلوة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لقوله
تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وروى ان جبرئيل بدا له فى
احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك
انت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض
فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبرئيل ثم امره ان يتوضأ وقام جبرئيل
يصلى وامره ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله
عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله

حتى الى خديجة فاخبرها فغشى عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما
صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث و هى الحال فى اهل الكفر
نجدة اى قوة تامة وتحزب عليه واباء اى امتناع عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والايمان به أُمَمًا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ فَدَاءُ الضَّلَالِ
فِيهِمْ عَيَاءُ أُمَمًا مفعول يدعو اى جماعات هم امة الدعوة أُشْرِبَتْ بالبناء
للمفعول قلوبهم الكفر اى اختلطت به بنفوذ بحبسه وتمكن فيها حبه حتى
صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار
لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وح فداء الضلال الذى استقر فيهم اى
مرضه او الاضافة بيانية اى فالداء الذى استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى
برئه عياء بمهملة مفتوحة فتحتية هى داء عضال اعى الاطباء مداواته
وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل فى الاسلام
رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة ثم من
الرجال ابو بكر رضى الله عنه ومن الصبيان على عليه السلام وصح اسلامه مع صباه
لان الاحكام اذ ذاك منوطة بالتمييز ومن الموالى زيد ومن الارقاء بلال وروى
ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا يجمع الاقوال المتباينة
فى اول من اسلم ثم دخل الناس فى الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم
مختفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهار امره بقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر قالوا

وكان

وكان ذلك بعد النبوة بثلث سنين ولم يبعد عنه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب
الهتهم سنة اربع من النبوة فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله تعالى بالاسلام او
صدق المحبة كابى طالب فانه صرف عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب
القوم وتامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله تعالى رسوله منهم
بعمه ابى طالب وبنى هاشم غير ابى لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف
على الناس فى منازلهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه
يحذر منه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب
ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابى معيط على عنقه وهو ساجد على باب
الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته
حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم حمزة عمه رضى الله عنه سنة
ست من النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يملكوه عليهم
ويبذلوا من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فابى وقال اصبر لامر الله حتى يحكم الله
بينى وبينكم وفى سنة خمس اذن الله لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان
رضى الله عنه مع زوجته رقية رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلم عمر بعد حمزة رضى الله عنهما بثلثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجمعت
قريش على قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بنى هاشم والمطلب
فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا ؛ وَإِذَا

الحق جاء زال المراء ورأينا معترضة الاجابة اى ابصر الصحابة وعلم من بعدهم
بطريق التواتر والشهرة ويصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح والبصر فى الكل وهو فيمن بعد
الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على ايات لا تحصى اياته اى معجزاته صلى الله
عليه وسلم وخلقه وخلقه من بديع صفاته فاهتدينا اى وصلنا الى المطلوب
منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد
رأينا الحق عيانا لامرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا الحق جاء زهق الباطل وبين
بجاء ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجملة الفعلية على الراجح زال المراء
اى الضلال والجدال فيه وفى هذا ابلغ فى التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله
عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة
على صدقه يا رب ان الهدى هديك واياتك نور تهدى بها من تشاء
رب ان الهدى اى اتباع الهدى الحق ليس الا هديك اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك
كما قلت فى كتابك فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء من يهدى الله فلا مضل له ومن
يضلل الله فلا هادى له وان اياتك التى اتيتها ادلة على صدق انبيائك وصح رفعه
فعلى الاول كل من الجملتين مؤكد لما قبلها وعلى الثانى هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه
اعراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام نور كما قلت قد جاءكم من الله نور
تهدى بها من تشاء هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس

من

٦

من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه وايماء الى ان الايات لا تنفع مع سبق
الشقاوة ولما تقرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء وانه يضل
من يشاء وان الايات وحدها لا تجدى شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه
وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم رأينا ما ليس يعقل قد
الهم ما ليس يلهم العقلاء كم خبرية اى مرارا كثيرة فهى خبرية ويجوز
حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز
بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية
رأينا اى علمنا وابصرنا نظير ما مر واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى
حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم
المجاز ما اى شخصا ليس يعقل اصلا كالحيوان والجماد قد الهم من المصالح
وهذه فى موضع ثان مفعولى رأى ما اى كثيرا ليس يلهم العقلاء ٥
اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجى والذكاء اذ ظرف
او علة لرأى ابى اى امتنع الفيل المذكور فى الاية من ان يفعل ما اتى اى
عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعاء وهو دخول الحرم لهدم
الكعبة وبين ابى واتى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ولم ينفع الحجى اى العقل الوافر والذكاء اللذان اتصف بهما
فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان

الهداية والضلال اليا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته او خذلانه وعدم رعايته

وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بني كنيسة بصنعا

وكتب الى النجاشي قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من

بني كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك فغضب وحلف ليسيرن الى الكعبة العرب

ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل فيل واحد يسمى محمودا

وقيل اكثر فخرج عليه ملوك فقهرهم واسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفة

فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت احد ان له ربا

يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها

اربعمائة ناقة فركب في قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة صلى الله

عليه وسلم على جبينه كالهلال اشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا

فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الآن يكون الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل

ابرهة رجلا ليتهددهم وهو عبد المطلب يخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما

غرضه تخريب الكعبة فان مكنتموني نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه

والبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه واجله ونزل عن

سريره وجلس معه على البساط ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد على ابلي فقال له كنت

اعجبتني ثم زهدت فيك تكلمني في ابلك دون بيت هو دينك ودين ابائك

فقال اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع فاخبرهم

فخرزوا

٦١

فحرزوا في شعب الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب

الكعبة ودعوا واستنصروا وفي رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة وراى وجه

عبد المطلب خضع وتلجلج لسانا وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه

فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان

عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما راى عبد المطلب

خر ساجدا وقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب فلما اصبح ابرهة

بالمغمس وهيأ فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بناء على الاصح انهم

لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي محسر ولذا سمي بذلك لان

فيلهم حسر اي اعيي فيه فضربوه في راسه باقي بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه

نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله

عليهم طيرا ابابيل اي خطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلثة احجار حجر في منقاره

وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتله فخرجوا هاربين

يتساقطون كل طريق واصيب ابرهة في جسده فتساقطت اناملة انملة انملة

حتى وصل صنعا وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم ومامات

حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة في سورة الفيل وافتتحها بالم تر مع

انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكر وان الخبر

متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت

هذه القصة على غاية شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانها كانت ارهاصا وتأسيسا

لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تأسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين

بل جاء ان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشيء الا

سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله تعالى لهم ولذا دانت

العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله

نصرتهم عليه دل ذلك على عظم اعتناء الله بهم ولفقد معنى الارهاص بعد مجيء

النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية امهل الحجاج قبحه الله تعالى حتى خرب الكعبة ولم يعاقب

بشيء ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد

فقال وَالْجَمَادَاتُ اَفْصَحَتْ بِالَّذِي اُخْرِسَ عَنْهُ لِاَحْمَدَ الْفُصَحَاءُ

وَالْجَمَادَاتُ وهي ما لا روح فيه افصحت اي اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح

لا تلعثم فيه قيل يخلقه الله عز وجل فيها من غير حيوة وان من شيء الا يسبح

بحمده وقيل بل يخلق فيها حيوة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به

ويدل لهذا ما يأتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى

خلق فيه الحيوة والعقل والشوق حتى حن وان ولا يعارضه ان مذهب

الاشعري ان خلق الصوت في محل لا يستلزم خلق الحيوة والعقل فيه لانا لم

نأخذ الحيوة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وان ومذهب

الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحيوة استلزام العلم لها

ولذا

ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله بالشهادة

بالانباء والارسال الَّذِي اُخْرِسَ عَنْهُ لِاَحْمَدَ متعلق بافصحت الْفُصَحَاءُ نائب

فاعل اخرس وفيه الطباق اي ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة

وفرسان البلاغة امتنعت السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان

والشهادة له بالرسالة البهم وشهد له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ

بيان فمن ذلك تسبيح الحصا في يده ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهما يسمع

تسبيحها كل من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن

ابن مسعود وكنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع

تسبيح الطعام وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا

بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني اعرفه الان قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق

المرفق لانه كان يمره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة

سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم

بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فما استقبلنا شجرا ولا حجرا الا قال السلام عليك يا رسول الله

وروى البزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر وشجر الا قال

السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم غطى

العباس وبنيه بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم

على النار كستري اياهم بملائتي هذه فقال اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين

اصبن وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على
حرا فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى وصديق وشهيد وصح
انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان به فقال له هل من شاهد قال هذه
الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهى على شاطى الوادى فاقبلت تخد الارض خدا
اى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى
منبتها وفى رواية قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها
ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر
عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت
فقال الاعرابى ائذن لى اسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بما اعرف انك رسول الله قال بان
ادعو هذه العذق من هذه النخلة يشهد بانى رسول الله فدعاه فسقط اليه
ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابى **تنبيه** علم من كلام الناظم على مولده صلى الله
عليه وسلم وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد من كتب الله من نعته صلى الله
عليه وسلم وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدى مولده ومبعثه من العجائب
المبطلة لسلطان الكفر المنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود
نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة باوصافه صلى الله عليه

وسلم وانكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل
مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجائب التى ظهرت ايام رضاعه
وبعده الى بعثته واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها
الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة فى الحمية لها بالمقاتلة وشن
الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم النظر فى عاقبة
الامور ولا خوف لائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم
حتى اتفقت الاراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم
وهجروا اوطانهم واهاليهم فى محبته وبذلوا مهجتهم لنصرته ونصبوا وجوههم
لوقع السيف فى اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم فى العاجل ولا غرة فى الآجل
اطمعهم فى نيله يتحرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى
فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلى
او تدبير فكرى لا والذى بعثه بالحق انما ذلك امر الهى وتأييد سماوى
يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين وبهذا الذى ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله **وَيْحَ قَوْمٍ
جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ :: أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ** ويح منصوب
بفعل محذوف او بحرف النداء اى يا ويح على حد يا حسرة على العباد اى احضرى
هذا وقتك كذا قيل والذى صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من

اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه
كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردًا ومضافا قولهم ويح فلان وويحاله قال ابن طاهر
متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدء لا خبر له ومتى افردته
جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوى لانه مصدر لا فعل له بخلاف حمدًا
وشكرًا ومن ثمه غلب على ويح الرفع بل قال ابن ابى الربيع يجب رفعه دون ويل
نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع للمازنى عطف ويح على تب لتنافض
معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل دعاء
كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف
وجوبًا وانه لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم يقال لمن
وقع فى مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى وعلى الاول يستشكل اتيان
الناظم بها فى هذا المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك
الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما ال اليه
حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا فى هلاك اصلا
فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التى بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبته وجلدته والترحم لهم من هذه
الحيثية لا محظور فيه قوم جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم ما لم
يبلغه نبى اى ابغضوه واذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر انفا مبسوطا

بارض

بارض الفتة ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقى
فى احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزنى لا يصح اسنادا ولا متنا وهو
ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بين يديه وقال لا اومن
بك حتى يومن هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى
فى السماء عرشه وكلمات اخر قال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابى
الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفى
معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا والظباء جمع ظبى روى حديثه
من طرق البيهقى وابو نعيم والطبرانى وساق الحافظ المنذرى حديثه كما فى
الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا اصل له ومن نسبه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه فى الجملة فى عدة احاديث يتقوى
بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكى وهو
وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره او لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى صحراء اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلث مرات فالتفت
فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك قال صادنى
هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس ان لم اعد فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال

يارسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء

فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله

ولم يرد الناظم الحصر في هذين فقد صح ان الذئب الفه واخبر بنبوته صلى الله

عليه وسلم ايضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلها انه اخذ بشاة

فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فتعجب الراعي

من كلامه فقال الا اخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما

قد سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فاتى الراعي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادي الصلوة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم

وفي رواية عن سعيد بن منصور في سننه ان الذئب جاء الى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال هذا وافد الذئب جاء يسالكم ان تجعلوا له شيئا من اموالكم قالوا والله

لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله

عليه وسلم الذئب وما الذئب وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ما ورد

في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما في عدة طرق

بعضها سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا الى

النبي صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال

صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله

انه صار كالكلب الكلب فقال ليس علي منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر

ساجدا

ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل الحديث وفي

رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فراه جمل فحن اليه وذرفت عيناه

فمسح قريب راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها

فانه شكى انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه وجاء بسند ضعيف ان غنما سجدت له

صلى الله عليه وسلم وسلوه والجذع حن اليه ﴿ وقلوه وودّه الغرباء

وسلوه اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته

ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وغيرها

يفيد مجموعها التواتر المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر

المعنوي يحمل قول التاج السبكي والصحيح عندي ان حديثه متواتر وسبقه لذلك

القاضي عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب

مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلث

درجات وضعه موضعه الان بمسجده ثم تخطى الجذوع يوم الجمعة ليخطب على

المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد وفي رواية انه خار كخوار الثور

حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يان

انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله عليه

وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل به الامرين

وفي اخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم

لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار الشافعي رضى الله عنه الى انه ابلغ
من احياء عيسى عليه السلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف
هذا وفى رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه
فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة تأكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار
البقاء على دار الفناء وامر به فدفن ومر فى شرح قوله والجمادات اه ماله تعلق
بذلك وقلوه اى ابغضوه والحال انه قد وده اى احبه وبين السلو والجفو والقلى
والود الطباق كما هو بين الاخراج والايواء الاتيين الغرباء الذين ليسوا من عشيرته
ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار والاوس
والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم الذى لقيهم فيه يعرض
نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى بعض الخزرج عند العقبة فقال
من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم
القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم
ان نبينا يبعث الان نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود عليه واسلم
منهم ستة نفر فقال تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالة ربى فقالوا ندعو قومنا الى
ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما
وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى عليه وسلم فلقيه فى العام

القابل اثنى عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين فمن
الاوس وهذه هى العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترط عليهم ثم رجعوا ٥
فاظهر الله تعالى الاسلام فيهم فكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن
اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم
على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم
باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحد فيوم
احد ولم يكن فيهم اعنى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم فى العام القابل
فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون
منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث صلى الله
عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمنى وغيرها يقول من
ينصرنى حتى ابلغ رسالة ربى وله الجنة حتى بعث الله تعالى له من يثرب وذكر
الحديث وفيه وعلى ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه
انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضى الله تعالى عنه هذه المبايعة
فاكد عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم من
بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظرون الاذن له فى الهجرة ٥
فاستأذنه ابو بكر رضى الله عنه فقال لا تفعل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر
رضى الله عنه ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من

معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر امره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه
او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جميل واظهر لهم انه يريد نصحهم
وامرهم ان يعرضوا عليه ارائهم فيختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم
فقيل نخرجه فقال يأتيكم بالاطاقة لكم فيه فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا من كل قبيلة
غلاما قويا ثم نعطيهم سيفا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله
على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فاجمعوا عليه
فاتاه جبرئيل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل ببابه يرصدونه لينام
فيثبوا عليه فامر صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام بان ينام مكانه ثم خرج
عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا
كان في يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما اصاب احدا منهم ترابا الا قتل
كافرا ثم اعلموا بخبثهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه في الهجرة كما قال اخرجوه
منها واواه غار ؛ وحمته حمامة ورقاء اخرجوه بدل من جفوه
منها اى كانوا السبب في خروجه من تلك الارض التى هي مولده ومرباه ووطنه ووطن
ابائه واحب ارض الله تعالى الى الله ورسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال
ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت وبقولي كانوا السبب انه اندفع ما يقال
هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في

خروجه بما بالغتهم في ايذائه وايذاء اصحابه لاسيما ضعفائهم هو الحامل على انتظاره
الاذن له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب للاستيذان ولوقوع الاذن فاسناد
الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا
للثاني ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلثة اشهر يوم الاثنين
هلال ربيع الاول او الخميس الذى يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر
وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا
عليه السلام ليؤدى ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت ابي بكر رضي الله
عنه وقت الظهيرة فقال انه قد اذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم
قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن اى لتتمحض هجرته لله تعالى ولا يكون لاحد فيها
منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا كما قال واواه غار ولما فقدته قريش
طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة في كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور
اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه
وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله تعالى
على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين
وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال وحمته منهم حمامة فيه جناس سبق
نظيره ورقاء وهي ما لونها بياض يخالطه سواده قيل وحمام الحرم من نسلهما ومعنى
حمايتها له ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا باسلاحهم جعل بعضهم ينظر

في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما رأى قال رأيت
حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين
امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند
البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم وَكَفَتْهُ
بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ ⁂ مَا كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْدَاءُ وكفته بنسجها عنكبوت
يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى ما اي الاعداء الذين كفته اياهم الحمامة
الحصداء اخذه من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة الورق فاستعاره للحمامة
لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو
الوصف بمتضادين او متماثلين وروي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب
ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت قال
الائمة وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون
يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج
عليه وفيه احد لما جرت العادة انهما متوحشان مهما احسا بالانسان فرا
منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن يشاء من عباده
وان وقاية الله عبده بما اراده يغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة
وصح ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه

لرآنا قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم وَاخْتَفَى مِنْهُمُ عَلَى قُرْبِ
مَرْآهُ ⁂ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الخَفَاءُ واختفى صلى الله عليه وسلم اي
استتر والاحسن عطفه على آواه غار منهم على اي مع قرب مرآه اي محل
رؤيته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة وحكمة استتاره
منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه كما تقرر ان من جملة
شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له الخفاء عنهم الذي حصل
له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعماله الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته
بالخفاء توهم انه اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو ان
يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطؤ او الحقيقة والمجاز احدهما بعيد
فيقصد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من اول وهلة وهو هنا ضد
الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشري لا ترى بابا ادق ولا الطف من
التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى
ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد من الاستواء معناه البعيد
الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو الاستقرار في المكان لاستحالته
على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شيء من لوازم
المورى به ولا المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافآ
ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفاء اذ المتبادر

انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء فان ذكر فيه لازم احدهما سميت مرشحة نحو
والسماء بنيناها بايد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البناء
ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم في حد التورية مع صحة
كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في اية الاستواء والبناء ولعله
اراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي هو ضد الخفاء
هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئي من العين يوجب عدم ادراكها له فكذلك
هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق
للعادة وكالتورية في كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها
ولهم في حده عبارتان اشهرهما ان يؤتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به احد
معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به المعنى الاخر وروي ان ابا بكر رضي الله عنه نظر
الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكى وانه
دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي
تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تنحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله
عليه وسلم وجعل رأسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر رضي الله عنه في رجله فلم
يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال
لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروي ان ابا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه
وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله

عليه

عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه
اي ابي بكر رضي الله عنه لانه الذي انزعج وهي امنة تسكن عندها القلوب وايده
اي رسول الله بجنود لم تروها اي ملائكة يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول
نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا وقول موسى عليه السلام كلا ان معي ربي
سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا صلى الله عليه
وسلم فامد ابا بكر رضي الله عنه بشهوده المعية ايضا وقصرها موسى على نفسه
وايضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله
عليه وسلم مكث في الغار ثلث ليال وكان عبد الله بن ابي بكر مع صغر سنه
يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر
بن فهيرة مولى ابي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجر عبد الله
بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه
غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر
وَنَحَى الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ فَاشْتَاقَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْحَاءُ ونحى اي قصد
المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم المدينة المسماة بطيبة لان الله
تعالى طيبها بهجرته اليها ووقعت في طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على ام
معبد الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من يمر بها وكانت في سنة مجدبة فطلبوا منها
لبنا ولحما ولم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد من الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت

هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها
ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم
حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فتعجب منه فذكرت
له القصة واوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته
لاتبعته واخرج ابو سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا
ونهارا الى زمن عمر رضي الله عنه ثم تعرض لهم بقديد سراقة كما يأتي وروى
البيهقي انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها
صلى الله عليه وسلم بعد ان دعى وسقى ابابكر رضي الله عنه ثم الراعي ثم شرب
وهذا محمول على علمه بسيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربي غير صحيح
لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل
قتالهم لان الواجب مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما
سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب
الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودي على موضع عال فرآه فصاح
فهذا جدكم اي حظكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم
فنزل بقبا فقام ابو بكر للناس وجلس صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون
ان ابابكر رضي الله عنه رسول الله لانه اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا
منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك

يوم

يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك وادركه علي كرم الله
وجهه بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلثة ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ
فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع عشرة ليلا كما في مسلم واسس مسجدها
وهو اول مسجد بني في الاسلام ولذا كان الاصح انه الذي اسس على التقوى
من اول يوم ثم ركب من قبا يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم
ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها
اي ناقته فانها مأمورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت موضع باب المسجد
ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب ابي ايوب رئيس بني
النجار اخوال عبد المطلب ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول ثم صوتت
فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى فاشتاقت من
الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع في
قبل الجمادات له حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شيء
الا يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية وتسبيح الحصا وتأمين اسكفة الباب
وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع
حمله على حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه
وسلم ارسل الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم

وارسلت الى الخلق كافة اليه من مكة اى التى هى مولده صلى الله عليه وسلم
وام القرى وافضلهن عند اكثر العلماء الانحاء اى الجهات والنواحى لانها
كانت معمورة بانفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحت
والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة اى
مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والنداء
الابيات وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الجِنُّ حَتَّى ❊ أَطْرَبَ النَّاسَ مِنْهُ
ذَاكَ الغِنَاءُ وتغنت بمدحه اى اظهرت اوصافه الجميلة فى صورة
الغناء التى تولع به النفس ولا يصير فيها متسع لغيره الجن المؤمنون
ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن امر معلوم
من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما اجمع عليه الامة حتى اطرب الناس
المؤمنين بل وغيرهم منه اى الجن ذاك الغناء الذى سمعوه والطرب
خفة تعترى الانسان عند شدة حزن او سرور ذكر اهل السير عن اسماء
بنت ابى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك قلت والله
لا ادرى فلطم لطمة خرج منها قرطى ولما لم ندر اين توجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وانشد
هذه الابيات شعر جزى الله رب الناس خير جزائه ۵ رفيقين

حلا

حلا خيمتى ام معبد ۵ هما نزلا بالبر ثم ترحلا ۵ فافلح من امسى رفيق محمد ۵ 71
فيا لقصى ما زوى الله عنكم ۵ به من فعال لا تجازى وسودد ۵ ليهن بنى
كعب مكان فتاتهم ۵ ومقعدها للمؤمنين بمرصد ۵ سلوا اختكم عن شاتها
وانائها ۵ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد ۵ دعاها بشاة حائل فتحلبت ۵
له بصريح ضرة الشاة مزبد ۵ والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله
واخره الخالص بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة شعر فغادرها رهنا
لديها لحالب ۵ يدر بها فى مصدر ثم مورد ۵ اى خلف الشاة عندها مرتهنة
بان تدر قالت اسماء فلما سمعنا قول الجنى هذا علمنا اين توجه النبى صلى الله
عليه وسلم وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةُ فَاسْتَهْوَتْهُ فِى الأَرْضِ
صَافِنُ جَرْدَاءُ ولما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد
محل قريب رابغ اقتفى اى تبع اثره سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى
قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ديتين فركبت
مستخفيا فلما دنوت منهما عثرت بى فرسى فخررت ثم قمت وركبته حتى
اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت
فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستهوته فى الارض صافن اى طلبت ان تهوى به فيها
هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل الس[illegible] لمجرد التاكيد لان الذى فى القصة

انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاضت قوائم فرسه في الارض
حتى بلغ الركبتين فخر منها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها فلما استوت
قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء كالدخان والصافن من الخيل الذي
يقوم على ثلثة قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر جرداء اي دقيقة الشعر
قصيرتها وهذه صفة مدح في الخيل واصله للشجر التي قلم ورقها فاستعير للفرس
ثم ناداه بعدما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء
ثم ناداه اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعدما وصل اليه صلى الله عليه
وسلم وقال الامان يا محمد بعدما مصدرية سيمت الفرس الخسف
بفتح اوله وضمه قال الشارح في موضع اي اولبته ذلا وقال في اخر اي بعد اسامة
الخسف للفرس اي بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكان الحامل له على هذا
ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان
قوائمها غاضت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم
بسيمت الخسف بالنظر الى كلها اي سيمت ان يخسف بها كلها وح لا يحتاج الى
ما قاله الشارح فتامله ثم رأيت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سيمته
خسفا اي اولبته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد بعدما قاربت ان
يخسف بها و من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه
قد ينجد الغريق النداء اي الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع

يونس

ليونس عليه السلام قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه اي نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لاباتهم
عليه فنادى في الظلمات الاية والنداء رفع صوت لطلب تخليصه لانه
قد لا يعلم او لا يعبأ به احد فاذا نادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما
طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا
اضركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما
لقيت انه سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد
بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني اي لم يأخذا مني شيئا
وقالا اخف عنا فسالته كتابا امن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لي في رق
من ادم اخرجتها له يوم حنين فنفذها وامنه ومن يلوذ به تنبيه
ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع
وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الوقائع ان يذكر هذه كلها
قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشأن
الهجرة فقدمها لتنبه النفس الى الحكمة ذلك وهي انه انقطع بها عنه صلى الله
عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليه الظفر بهم
حتى استأصل ساداتهم وقطع جاورتهم فطوى الارض سائرا والسموات
العلى فوقها له اسراء فطوى الارض في حال كونه سائرا عليها

وهذا كما طويت له قبل ذلك السموات العلى لما كان فوقها له اسراء ليلة
الاسراء الى ان جاوزها جميعها فى اسرع وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية الاف
سنة فى اسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل
سماء وما بين كل سمائين هذا بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها وبين ما وصل
اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله فبالهما من مسيرين
مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله تعالى عليه فيهما عظيم قدره فى مسيره
واسرائه وافضلية تقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه قال بعض الائمة
والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع
الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش
والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله
عليه وسلم فى سنى الهجرة العشر ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة
ولهذا ختمت بوفاته التى فيها لقاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى
المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس
فى صفة الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء فى صف ايها الناظر
فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما اكرمه الله تعالى به تلك الليلة
وهى ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووى
فى الروضة او الحجة او ثالث عشر ربيع الاخر وجرى عليه النووى فى فتاويه او

الربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى
او بعشر او باحدى عشرة او ثنتى عشرة اقوال رجح كلا قوم التى وقع ذلك الاسراء
فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السماء ثم الى حيث ما شاء الله تعالى وما
رأى من ايات ربه الكبرى اى اذكر صفاته الجليلة بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها
وان تأتى بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات
واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق الانباء واعظم الايات ومن ثمه
قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم
لانه اوتى فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم فى اليقظة من خصائص
نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف فى كونه بالجسم وكونه باليقظة من لا يعتد بخلافه
وزعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا لا يمكن الجمع بينهما
الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود والاصح انه اسراء واحد
بالجسم والروح فى اليقظة وان من خالف الجادة من الروايات ان امكن تأويله
تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع
على انه بعدها على انها اولت وكان للمختار صلى الله عليه وسلم فيها عجائب
منها انه جاءه جبريل وفى رواية وميكائيل وفى اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل
نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابى طالب او بيته او بيت ام هانى
بعد ان انفرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات فى بيت ام هانى وبيتها

عند شعب ابي طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى
المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق
فاستمرت يقظة وفي رواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر
وفي رواية فلما استيقظت اي من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يات من
باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذي هو فيه
فلم يعرج على غيره مبالغة في المناجاة المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد لاظهار
انه مراد ووقع في موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج
سقف البيت والتيامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه لا بأس
عليه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة رضي الله
عنها ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه **على البراق** فكان له عليه **استواء** اي
استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون وهو كما صح
به الخبر دابة اي تشبهها وهو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه
عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك من البرق لسرعة سيره او من
البريق او من قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ
معناه انه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره قال ابن المنير اي يقطع ما انتهى اليه بصره
في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر
الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وهذا انما يأتي

على رواية فحملت عليه اي البراق حتى انطلق بي جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها
انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم
نصب له المعراج كما يأتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له
خد كخد الانسان وعرفه كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر
وكان صدره ياقوتة حمراء وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب
عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم على الله منه فارفض
عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه وكانت تسخر للانبياء قبله
ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم ففي ركوب غيره صلى الله عليه وسلم
له فاستصعابه لبس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهده به او ليظهر جبريل له مرتبة
صلى الله عليه وسلم فانها علت على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس
اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب وخوف والى وقوع المعجزة بوقوع هذا
الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا
له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول
بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافي كونه في خدمته
وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل ويصلي وبمدين فامره بذلك وبيت لحم الذي
ولد فيه عيسى فامره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصلا الى بيت المقدس

فنزلا وربطه اى جبرئيل كما مر فى رواية لكن فى اخرى النبى صلى الله عليه وسلم
ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث
له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح فى رواية انى بارواح الانبياء او مع اجسادهم
لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن
فاقيمت الصلوة فقمنا صفوفا ننظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبرئيل فقدمنى فصليت
بهم وفى رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية
جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى بهم فى بيت
المقدس من بعد العروج ايضا وتلك الصلوة قيل الصبح اى بناء على انه صلى فيه بعد
العروج وقيل العشاء اى بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من اما منهم نصب له المعراج
كما فى رواية ابن هشام والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من
ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبرئيل حتى
انتهيا الى باب السماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى فى
السماء الاولى ادم وعن يمينه ارواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره
ارواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى
هى مستقر ارواحهم والنيل والفرات اى انتهائهما والا فابتدائهما من سدرة المنتهى
وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى حديث البيهقى وغيره فاذا انا
برجل اى يوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر

الكواكب

الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذى ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين
قولا مشهورا اعتمده النووى فى موضع واعتمده اخرون ايضا ان المتكلم لا يدخل فى عموم
كلامه ومن ثمه قال بعض المحققين المراد على شطر الحسن الذى اوتيه نبينا صلى الله
عليه وسلم وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى
وفى السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية لم يضبط منازلهم وعلى رواية ادريس
فى الثانية وهارون فى الرابعة وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة لان
سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهرى فالاولى التى فيها انه
ضبطها اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك بانه رأهم فى الصعود
على كيفيات وفى الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى فقال ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى
وبكاءه ليس من حسد حاشاه الله تعالى من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته
من مضاعفة اجور نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصاحبهم الى ما
لا نهاية له او رحمة لامته لما وقع لهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام
لانه اصغر منه سنا ولان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص
هولاء باللقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة
من مكة ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له اوائل الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا

قتله يحيى وقتلوه وكمعاداة اهله له وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هارون
الى محبته وكمعاجنة لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه
بها كما وقع لابراهيم ومن ثمه رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى بحيال الكعبة
ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم سبعون الف ملك فلا يعودون
اليه واخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات واختلفوا فى رؤيته لهولاء الانبياء
عليهم السلام فقيل الى روحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلف
فانكوا هذا فى الذين صلوا معه فى البيت المقدس فقيل الارواح وقيل بل الاجساد
وقيل خرق الله له الحجب حتى رأى كلا فى قبره من المحل الذى اخبر به وقيل رفعوا من
قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم بعد ان جاوز السما
السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من امر الله تعالى ما غشي
حتى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل
والفرات وسيحان وجيحان يخرج من اصلها وروايه انها من الجنة لا تعارضها
ذلك لان ذلك الذى تنبع منه تلك الانهار فى الجنة فلا ينافى ما قيل اصلها فى
السما السادسة وعليه يحمل روايه ان ادناها فيها واعلاها فى السابعة وعليه يحمل
ما تر انها فيه وسميت بذلك لانه ينتهى اليها علم الخلق ولا يتجاوزها احد الا نبينا
صلى الله عليه وسلم قاله النووى ويتعين حمله على انه لا يتجاوزها من الملائكة
الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال الا بأتى انه صلى الله عليه وسلم

جاوزها

جاوزها الى مستو يسمع فيه صريف اقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج
به صلى الله عليه وسلم كما فى روايه البخارى حتى ظهر بمستوى محل عال يسمع فيه صريف اقلام
الملائكة اى تصويت اقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفى روايه لم تثبت
كساير روايات الحجب ثم زج بى فى النور زجا فخرق بى سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة
خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف اخضر ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب
بفرض صحتها انما هى بالنسبة للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن انس
عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بى جبرئيل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار اى بقربه
المعنوى كما ارشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين او
ادنى كما قال الناظم وَتَرَقّى بِهِ اِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ وَتِلْكَ السَّعَادَةُ القَعْسَاءُ
وترقى اى صعد البراق به الى قاب قوسين وقاب القوس ما بين مقبضه
واخر وتره ولكل قوس قابان ومن ثمه قيل فى الايه قلب اى قابى قوس
ويرد انه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من
ربه بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رايت بعضهم قال
قاب قوسين اى مقدار قوسين وقاب قوس اى قدر طولها وقيل قدر الوتر
منها قال الجوهرى يقول بينهما قاب قوس اى قدر قوس تنبيه ما افهمه كلام
الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت
عليه روايه البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبرئيل حتى اتى السماء

الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بى حتى اتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت
الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى
فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لا غير ولهذا
التنافى ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس
ومرة من مكة الى السماء لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافى وان
الذى ذكره غاية ما فيه من مكة الى السماء الدنيا اختصر ذكر بيت المقدس وفيه
نظر لان رواية البخارى السابقة صريحة فى انه لا معراج وانه استمر راكب البراق
الى السماء الدنيا ثم التى بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم كما علمت فالاولى الجواب
جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم
وعليه فيكون لما وصل فى المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات
وما فوقها وبهذا اعنى رواية البخارى الظاهرة فيما فى النظم والجمع بينها وبين الرواية
الاخرى المشهورة التى عليها العمل يظهر عذر الناظم فى ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله
لكن فى جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر
راكب البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جئ له به ثانيا على الرواية الثانية
ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شئ تعظيما للسموات اذ هى افضل من الارضين عند
الاكثرين وعلى مقابله المنصور لان الانبياء خلقوا من الارض وهى مدفنهم ومستقرهم
وهم افضل من الملائكة فتعظيما لمن فيه ان ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة

لا يقال

لا يقال السماء لا يعص الله تعالى فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون
فى المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوى وابليس وادعاء انهم
لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية فى محل دون محل
يقتضى افضلية الثانى لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل عليه
له وانما قلنا فالاولى الجواب اه ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات
فى هذا الامر الجزئى لا يقتضيه على ان ما وقع فى تلك الليلة من فرض الصلوة
وغيره ذكر فى كل من رواية الى السماء وبرواية الى بيت المقدس وهذا صريح
فى اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا
التدلى والدنو المذكور فى حديث انس وغيره من احاديث المعراج غير الدنو
والتدلى فى اول سورة النجم فان هذا فى حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم
وصح انه لم يره فى صورته التى خلق عليها الا فى هذه المرة المذكورة فى الاية ومرة
اخرى عند اوائل البعثة كما مر وتلك الرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج هى السعادة القعساء اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها نقص
وتغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل
اليه مخلوق فرض الله تعالى عليه وعلى امته كل يوم وليلة خمسين صلوة
فرجع فمر على موسى فساله عما فرض الله تعالى عليه وعلى امته فاخبره فامره ان
يرجع الى ربه ويساله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع فسال فحط

عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمس فامره
بالرجوع فقال له ان بنى اسرائيل فرض عليهم صلوتان فما قاموا بهما فقال استحييت
من ربى وفى رواية علمت انها عزمة من ربى فلا ارجعه فقال تعالى هن خمس
اى الفرضية وهن خمسون فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها فى هذه
الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام
ومديم الركوع ومديم السجود واعطاه الله تعالى ذلك كله فى ركعة يصليها الواحد بشروطها
وادابها واختص موسى عليه السلام بامره بتلك المراجعة لامته لانه اطلع من صفات
هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم امتى فقال الله عز وجل تلك امة احمد
فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتنى بالقوم من
هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية
كان اشدهم على حين مررت به وخيرهم لى حين رجعت فائدة اختلف العلماء
قديما وحديثا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه فى هذا المقام الذى وصل
اليه دون غيره من الخلق بعين راسه او بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن
عباس فى رواية انه راه بعين بصره وفى اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف لانه صح
عنه كما رواه الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه
راه مرتين مرة واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك
البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه

عنه

78

عنه لم يره بعينه لم يصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفى وجاء عن انس باسناد
قوى راى محمد ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى
يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة وسائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب
الاحبار والزهرى ومعمر واخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه وانكرت عائشة
وابن مسعود الرؤية قال النووى لكن خالفهما غيرهما من الصحابة والصحابى اذا خولف
لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما فى مسلم عنها ان مسروقا قال لها الم انكرت
الرؤية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سالت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه فقلت يا رسول الله هل رايت
ربك قال لا انما رايت جبريل وذلك لانها سالت عما فى الاية فاجابها بانه لم
يره اى فى قصة الاية وقد مر انها غير قصة المعراج وان التدلى والدنو الذى فى
قصة المعراج غيرهما فى الاية ولا حجة لها فى لا تدركه الابصار لان المراد لا تحيط
بحقيقة ذاته العلية بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت فى الاخرة جازت فى الدنيا
لتساويهما بالنسبة الى المرئى وسؤال موسى اياها فى الدنيا اظهر دليل على ذلك اذ
لا يجوز على نبى ان يسال محالا وانكار المعتزلة فتحهم الله تعالى لها فى الاخرة من
بدعهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها فى الدنيا لم تقع الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم وصح فى مسلم واعلموا انكم لم تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر
مسلم عن ابى ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال

نوراني اراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف يراه مع ذلك وقدم
انه رآه مرة ببصره ومرة بقلبه فسبب هذا حصول ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى
وسئل احمد رضي الله عنه عن قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم
على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي قول النبي
صلى الله عليه وسلم اكثر واذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء
من الكرامات التي تميز بها على سائر الخلق علمت انها رتب تسقط الاماني حسرى
دونها ما وراءهن وراء رتب جليلة تسقط الاماني جمع امنية
حسرى جمع حسير من حسر اعيا دونها ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتب
وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم وامالهم عن نيل هذه
الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التاهل لها ولم لا وهي
ما وراءهن وراء اي ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها
مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم وافى يحدث الناس شكرا اذ
اتته من ربه النعماء ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر
بعير لقريش يحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى
صلى الله عليه وسلم العير نفرت عنه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم
فقال بعضهم هذا صوت محمد وراى بعيرا ضل وجمعه واحد منهم ثم وافى مكة
قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله

تعالى واما بنعمة ربك فحدث شكرا اي من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكر ربه او
حال كونه شاكرا لا لغيره اذ اي لاجل او وقت اتته من ربه النعماء في تلك الليلة
وح ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون لابي بكر وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى
بيت المقدس وجاء في ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال اني لاصدقه فيما هو
ابعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة ولذلك سمي الصديق رضي الله
عنه وكرم وجهه رواه الحاكم في مستدركه وزاد ابن اسحق ان ابا بكر جاءه فقال
يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لي فاني جئته فوصفه
له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر وهو يصفه وابو بكر يصدقه وقوله له صفه انما هو
ليرد به على من تشكك في ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخاري وكذلك مسلم
وزاد انهم سئلوا عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له
اما بحمل مثاله ووضعه قريبا منه وعليه تحمل رواية فجيء بالمسجد اي بمثاله واما بحمل
المسجد نفسه اليه وهذا اظهر لما مر في واشتاقت اليه من مكة الانجم ونظيره
مجيء عرش بلقيس الى سليمان عليه السلام في طرفة عين واما بازالة الحجب
بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس ثم العروج الى
السماء لما تقرر ان فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم
بانه لم يذهب اليه قط اوضح بينة وآية على صدقه في جميع ما اخبر به من امر
السماء وبما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم اني مررت بعيركم

في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا
ويأتونكم يوم كذا مقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك
اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريبا من نصف النهار اقبلت
العير كما وصف وفي رواية وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء
فقي يومه كادت شمسه ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس
حتى قدموا كما وصف وعطف على وافي قوله **وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ**
أَوْ يَبْقَى مَعَ السَّيْلِ الغُثَاءُ وتحدى صلى الله عليه وسلم كفار
مكة وغيرهم بما وقع ليلة الاسراء وما تقدم من المعجزات كانشقاق القمر
اي طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته بابداع نظيره والا كانوا
كاذبين مدحوضين **فارتاب** اي شك وخرس **كل مريب** فانقطع عن
المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم من معارضته
ايضاح امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثمه قال منكرا على من بقي
عنده من ذلك شك أ يتضح ذلك الامر **ويبقى** معه ريب لا بل اتضح
ولا يبقى معه شك اصلا وكيف يبقى **مع السيل** حال من قوله **الغثاء** وهو
بضم المعجمة والمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما ان هذا الغثاء
لا يبقى معه السيل بل يذهب به ويهلكه في اسرع وقت فكذلك ما جاء به

صلى الله عليه وسلم من الايات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا
الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيل لما
اتى به صلى الله عليه وسلم لان بها الحيوة الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي
كما ان بما جاء به الحيوة المعنوية والغثاء لما يحلوه لانه امر حقير لا بقاء له كما ان
الغثاء كذلك وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية
التذييل نحو وهل يجازى الا الكفور **تنبيه** ما قدرته بعد همزة الاستفهام
هو رأي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه الجمهور
وسيبويه فيقدر في نحو اولم يسيروا في الارض امكثوا ولم يسيروا وفي افلا تعقلون
اتجهلون فلا تعقلون وفي اثم اذا ما وقع الكفرون ثم ما وقع امنتم به فالهمزة
في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة
على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تأخير ورد ابن حيان لذلك
بانه تقدير ما لا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر
بل اليه حاجة وهي ان المعنى معه اقوم واصلح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف
العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون
قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن ثمه اختصت
بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلثة اي اهذا ربي وفي وتلك نعمة
تمنها اي اوتلك وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق اخرى وهل تختص

صلى الله

بالثاني والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها وبقية

تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط نحو افان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي

وَهُوَ يَدْعُو الِى الاِلهِ وَاِنْ ٥ شَقَّ عَلَيْهِ كُفْرُ بِهِ وَازْدِرَاءُ

وَهُوَ يَدْعُو حال من فاعل تحدى اى تحدى الناس والحال انه مع انكادهم وارتيابهم

لا ينضو عما امر به من التبليغ والدعاء الى الاله اى المعبود بالحق الذى لا يعبد

غيره وهو الله تعالى وفي الله والى الجناس ناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله

اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة اعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه

في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعائه

الى الله تعالى وان شق عليه كفر به اى الاله او النبي وازدراء اى احتقار

وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل المشقة انكادهم وقبح كفرهم وازدرائهم

له ولما جابه اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في

منازلهم يقول لهم يا ايها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به

وابو لهب عمه وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين ابائكم

ورماه الوليد بن مغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش

ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل

الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد

عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه

ولحيته

ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قائلا اتقتلون رجلا ان يقول

ربي الله وصح ان عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه

وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر ودفعه عنه

وروى احمد في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه

وسلم وابو بكر وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اى عن القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر

فمنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع

الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل

وهان على قومه واخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب

مكة وهو يقول احد احد اى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين

ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربه في فرجها

فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان

يعذب في الله تعالى سبعة منهم الزنيرة اى بكسر الزاء وتشديد النون المكسورة

فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله تعالى

عليها بصرها وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللهِ بِالتَّوْحِيدِ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ

الْبَيْضَاءُ وهو مع ذلك ايضا يدل الورى اى الخلق وكان الناظم اخذ

هذا من الحديث الصحيح ارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن

في الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملائكة فعلى الاصح
عند جمع المحققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا
يشهد لذلك اذ العالم ما سوى الله تعالى واستعماله هذا في العقلاء انما هو لتغليبهم
لفضلهم وقول الرازي اجمعنا على ان المراد الانس والجن مردود واما بقية
الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققي المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم
معصومون انهم مكلفون بتعظيمه والايمان به واشاعة ذكره وللجمادات انه يركب
فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اي حقيقة
لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه على الله اي على العلم بذاته واسمائه
وصفاته وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة
نقص بل وكل ما لم يصل الى اعلى غايات الكمال وبما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم
وبما يمتنع عليه من المحالات التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله بالتوحيد
اي يطلب منهم توحيده تعالى بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد
له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه
وظاهر المتن ان الباء في بالتوحيد باء الآلة ككتبت بالقلم ويوجه بان
العلم بالتوحيد كما ذكر يتضمن العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمائه
وصفاته وافعاله كما تقرر وهو اي العلم بكل ذلك والدليل عليه المحجة
اي الطريقة الى رضى الله تعالى التي امر بها ويثيب عليها البيضاء اي النيرة المضيئة

الواضحة

الواضحة التي لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس
من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها
كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل
له منهم مما اشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه اه اطاع الله له اكثرهم حتى
صاروا من اكابر اتباعه كما قال فبما رحمة من الله لانت ه صخرة
من اباتهم صماء فما هي زائدة رحمة واصلة اليه من الله
وهي في الاصل ميل وعطف نفساني غايته التفضل والانعام او ارادتهما والمراد
هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في
القرآن او السنة مستحيلة واستحال معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة الله تعالى لهم وعطفه عليهم
ببركة لين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم الذي لعله اقتبس الناظم منه هذا ايقظ الله قلوبهم وازال ما فيها من كبر وحمية لانت صخرة
هي الحجر العظيم من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة الصخرة مع كون من بيانية يبعد اباتهم
اي امتناعهم صماء اي صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل
بين لانت وصما وهو الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين
في الجملة بتضاد او نفي واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اي زال امتناعهم من طاعته فيما امرهم به
فاطاعوه واتبعوه فعلم ان استعارة الصخرة التي في غاية الصلابة تدل بانهم كانوا الا انكانوا في
غاية النفرة عنه والبغض ولا يزالون كذلك ثم زوال صلابتها الا اتباعهم له وانقيادهم بجميع

واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضراء والغبراء

اوامره ونواهيه اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله تعالى

وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت

ولكن الله يهدي من يشاء و بعد ان لا نواله ببركة لينه لهم لم يزل اليهم يتزايد

حتى **استجابت له** اي اجابت دعوته وامتثلت اشارته **بنصر وفتح**

اي مع او بسبب ما اعطاه الله تعالى من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء

الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم واستيصال شافتهم **بعد**

ذاك اي الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحزيم

قتال الاعداء وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم

وعددهم **الخضراء** اي السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال

القاسم بن ابي برزة ليست السماء مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضراء وبين

الثوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اي خضراء كما في حديث

البزار وغيره منها خضرة السماء اي وليست في الحقيقة كذلك للحديث انهم

قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن

عباس رضي الله عنه السماء من اي شيء فقال انها من موج مكفوف ويوافقه

قول علي كرم الله وجهه ورضي عنه في حلفه والذي خلق السماء من ماء ودخان

وقال كعب السماء اشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس السماء الدنيا موج

مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامس فضة

والكلمة

والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسي لكن

بسند والسماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من

ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهب حمراء والسادسة

من ياقوتة خضراء والسابعة من نور **والغبراء** اي الارض سميت بذلك

لان جميع طبقاتها من طين كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اراد الله تعالى

ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا ارض ولا سماء خلق الريح فسلطها على

الماء حتى اضطربت امواجه واثار ركامه واخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا

فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق

من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء مامر في لانت وصماء ولكن يسمى

التذبيح لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم

استجابة اهلها ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اي اجابت

الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم

او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية

ظاهر واما تقييد استجابة اهل السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته الا بعد

وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه في القلوب والاذن له بالجهاد

والفتح عليه **واطاعت لامره العرب العرباء والجاهلية**

الجهلاء ومن جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه **اطاعت**



للامر وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه والنهي وحذفه لفهمه مما ذكر
العرب بضم فسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل على نبينا وعليه الصلوة
والسلام العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال العرب الخلص العرب
المتعربة وفي القاموس والعرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم اي بالضم والتحريك
ايضا كما ذكره في مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية
لا واحد له ويجمع على اعاريب وعرب عاربة وعرباء وعرباء صرحا
ومتعربة ومستعربة دخلاء ثم قال ويعرب بن قحطان ابو اليمن وقيل اول من تكلم
بالعربية وفي النهاية الاعراب من العرب ساكنوا البادية الذين لا يقيمون
في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام
بالبادية او المدن وفي الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون
اخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي
هو البدوي والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمي الذي
لا يفصح وان كان بدويا والعجمي المنسوب الى العجم انتهى وبين المبرد في كتاب
نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى
للنبي صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء وبينه وبين اسمعيل ثمانية
اباء وقحطان كما قال الطيبي هو الهميسع ابن نبت بن اسمعيل عليه السلام والصلوة
والجاهلية الجهلاء هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد

اللفظي

اللفظي كليل اليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة
ما لم يبلغه تصميم غيرهما وَتَوالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيَةُ الكُبْرَى عَلَيْهِمْ
وَالغَارَةُ الشَّعْوَاءُ وتوالت اي تتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم
متعلق بقوله الاية مفرد محلى بال فيكون في معنى الايات وايضا فالتوالي انما
يكون في متعدد اي العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما تقولوه وافتروه
عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان التاخير
فيه افادة ان ما توالى له انما هو اياته الخاصة به لا اية من تقدمه الكبرى
عليهم كالقران وانشقاق القمر توالت له عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم
ونفوسهم وذراريهم وهو اسم مصدر لاغار الشعواء اي الفاشية
المتفرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب التي لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا اهلكته
وَإِذَا مَا تَلَى كِتَابًا مِنَ اللَّهِ تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ
وبعد ان استجاب له اهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله افواجا
كثرت اتباعه جدا حتى صار اذا ما زائدة تلا اي قرأ كتابا انزل عليه من
الله وهو القران تلته اي تبعته لاجل القراءة معه او استماع قراءته الكتائب
مزدحمين عليه لاسيما كتيبة بالفوقية اي جيش خضراء اي يعلوها
سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره وهو من بعيد
يرى اسود وهي كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه

وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير ولما رأها
ابو سفيان رأى ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا
عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة وروى البخاري عن
عبد الله بن معقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على
ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت
كما رجع وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه

وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ

وكفاه صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء الذين
زادوا في ايذائه والعتو عليه المستهزئين به كما قال تعالى انا كفيناك
المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذائه
والسخرية به اى تولى اهلاكهم من كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه
اليها ومع توليه له تعالى اهلاك المستهزئين به سلاه فاعلمه بان هذا ليس
خاصا به بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز قائلا فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل ومن ثمه اقتبس المص من هذا كقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك الاية قوله كم مرات كثرة ساء اى احزن نبيا بينهما
الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله استهزاء اى سخرية وايذاء
ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر او مثل سائر وذكر التلميح

التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين
وشدة الاعتناء بها وفيه ايضا التذييل والمثل السائر فى الجملة الاستفهامية

وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِنَاءِ الْبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ

ورماهم اى اصابهم بدعوة عنه صلى الله عليه وسلم عليهم وصلت اليهم
فاهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه من اى بدعوة
كائنة فى فناء البيت اى حوالى الكعبة وقيل انهم شكاهم لجبرئيل فقال
امرت ان اكفيكهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا ينافى دعائه عليهم
لان دعائه كان سببا لاشارة جبرئيل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز
تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد لكن فيه رقة تشبيه وبلاغة
ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف
المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله وفيها اى تلك
الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشئ
فى غير محله فناء اى استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد وبين فنا وفناء
جناس محرف لاختلاف حركة الفاء

خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ اُصِيبُوا بِدَاءٍ وَالرَّدَى مِنْ جُنُودِهِ الْاَدْوَاءُ

خمسة بدل من المستهزئين او الظالمين
ويصح رفعه اى هم وخصهم مع ان المستهزئين ابو لهب وزوجته

وعقبة بن معيط والحكم بن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت عقوبتهم

كانهم اصيبوا بداء عظيم والردى اى الهلاك من جملة جنوده

اى المغيبة عليهم الادوء جمع داء وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته

لما قبله فانه كالتعليل له اى انما اصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا فى تحصيل

اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء

جناس ناقص كامر ثم فصل ذلك الداء الذى اهلكهم الله عز وجل به فقال

فَدَهَى الاَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ اَىُّ عَمًى مَيْتٌ بِهِ الاَحْيَاءُ

فدهى من الداهية وهى الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب بن اسد

بن عبد العزى فهو اسدى اى عمى اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره

طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الاعمى البصيرة

مَيْتٌ بِهِ اى بسبب ذلك العمى الاحياء فى حكم الاموات الذين لا ينظر

اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان يكون المراد ان عماه كان سببا الموته على خلاف

العادة مبالغة فى هلاك ذلك اللعين وانه قتل بما لا يقتل عادة لانه

حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وعبا الفرعلم ان

ميت مبتدء وما بعده سد مسد الخبر اى من شأن هذا العمى انه لو وقع

لاحياء صاروا به فى حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما افاده عمى

بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى اعتماد عدم هذا المبتدء جريا على مذهب الكوفيين

فانه

فانه قوى ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتخفيفه وقال ابن مالك

الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع بين راى البصريين والكوفيين

لكنه خلاف ما صرح به فيكون رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول

لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة فى قولهم خبير بنو

لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا لا يلزم فيه المطابقة وبين ميت

والاحياء الطباق وَدَهَى الاَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ اَنْ سَقَاهُ كَاسَ

الرَّدَى اسْتِسْقَاءُ ودهى ايضا الاسود بن عبد يغوث بن وهب

بن مناف بن زهرة فهو زهرى ويغوث فى الاصل اسم صنم ان سقاه كاس

الردى اى الموت استسقاء حصل له فى جوفه واستمر به حتى اهلكه الله

وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا التزق وهو امتلاء الامعاء بالماء

الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قرب وبين سقى

واستسقا جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالموت حتى اثبت له ما هو

من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية يتبعها الاستعارة

التخييلية وَاَصَابَ الْوَلِيدَ خَدْشَةُ سَهْمٍ قَصُرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ

الرَّقْطَاءُ واصاب الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو

مخزومى خدشة سهم اى الرجرجة باسفل رجله من شخص فى يده نبل

وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط

فاصاب رجله فتأكلت ومات قبل وقعة بدر وكان سم ذلك الجرح اسرع الى
هلاكه واشنع من سم الافاعى فلذلك قصرت عنها اى عن تلك الخدشة
الحية الرقطاء اى التى تخالط سوادها نقط بيض وهى اعظم الحيات اذى
ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من لسعها
بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه
المقبولة ثم رأيت بعضهم وقال وانما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية
انما تهلك بواسطة اللسعة وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن
كما لا يخفى وقضت شوكة على مهجة العاصى فلله النقعة الشوكاء
وقضت شوكة دخلت فى اخمص رجل العاص على مهجة العاصى بن وائل
بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمى اى قتله قتلا عجيبا ومن ثمة عقبه
بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النقعة من قولهم الناس يتقاسمون الموت
اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اى
خشنة الملمس اى ما اعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك
الشوكة القليلة الناشرة عادة فلله درها من شوكة مخزية فى اسرع وقت
وعلى الحارث القبوح وقد سال بها رأسه وساء الوعاء
وقضت على الحارث مولى الطلاطلة بالموت المقطع القبوح جمع قيح وهو
المدة البيضاء التى لا يخالطها دم والحال انه قد سال بها رأسه وساء اى قبح

ذكر

87

ذلك الرأس الذى هو الوعاء لتلك القبوح القاتلة لصاحبه وبين سال
وساء الجناس الناقص وفى الختم بساء الوعاء التذييل هؤلاء طهرت
بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء هؤلاء الملاعين
الخمسة طهرت بقطعهم اى هلاكهم الارض اى مكة ونواحيها او
مطلقا لان ضررهم يسرى الى جميع البلاد فكف الاذى اى الذى كان يصل للناس
لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم بهم اى بسبب فقدهم او مع فقدهم
شلاء فاقدة للحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه
المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم كان انسانا يقدر على ايصال
ما يريده باى وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف
التى تتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى
بفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تاثير فقيه استعارة مكنية تبعها
استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح فديت خمسة
الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء فديت بالبناء للمفعول
بفال فداك بفتح اوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء متضمن للتعظيم
فهو فى حيز الانشاء اى لو امكن ان يكون احد فداء احد من الموت لسان
ان يكون هؤلاء فداهم او المراد اللهم اجعلهم فداهم من الموذيات وقوله
ان كان للكرام فداء الدال على انه لا فداء لهم يدل على المعنى الاول خمسة

الصحيفة الاتى بيانهم بالخمسة الملاعين السابق ذكرهم اى جعلت هولاء
جميعهم فداء لكل واحد من اولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب
ركب القوم دوابهم ان جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه كان للكرام
فداء واولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين
يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم
فى امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهى ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله
عليه وسلم بامره فى سنة خمس من النبوة بضعة عشر من اصحابه منهم عثمان
وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم
فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وبفشو الاسلام فى القبائل اجمعوا
على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فاتوا اليه بعمارة
بن الوليد اعز فتى فيهم لياخذه بدل ابن اخيه فابى وجمع بنى هاشم وبنى
المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد
قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش
ذلك اجمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى
المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا ولا يقبلوا
منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه للقتل وكتبوا ذلك فى
صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة تاكيدا

فى حفظها وبقائها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم
وبنو المطلب الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش لعنه الله
فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا حتى ان
حكيم بن حزام حمل غلامه حبا يريد به عمته خديجة رضى الله عنها فلقيه ابو جهل
اللعين فتعلق به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البخترى بن هشام بن الحارث
بن اسد وقال خل سبيله فاخذ فابى له فضربه فشجه ووطئه وطئا
شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة فى نقض تلك الصحيفة
وكان رأسهم هشام بن الحارث لقربه بعمه لامه الذى هو اخو عبد المطلب ومن
ثمه كان واصلا لبنى هاشم فكان ياتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم
الشعب فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولغيرة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن
عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح
النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى
لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا فبعث الى المطعم واستنجاه حتى قال لو وجدت
رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال وجدت زهير ابن ابى امية قال ابغنا رابعا فذهب
الى ابن البخترى واستنجاه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك قال ابغنا خامسا
فذهب الى زمعة فاستنجاه فقال هل من احد فذكر له القوم فاجتمعوا فى الحجون
واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم

وعدا زهير محله فطاف سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس
الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة
فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا
كتابتها حيث كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقر به
وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو
جهل ان هذا امر قضي بليل تشور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم
الى الصحيفة يشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط
الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبته ومحت منها الظلم
والقطيعة والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك
وقال انزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها
فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم وازدادوا واشروا وذلك لانه لا مانع انهم لما
نظروا ذلك وازدادوا اشرا قام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا
في نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم
في نقضها انتهى ويبعده ان الاخبار بذلك ح ليس له كبير جدوى فالاولى بل
المتيقن ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم فتية بيتوا على ١ فعل خير
حمد الصبح امره والمساء ١ فتية اي كرام جمع فتى وهو السخي الكريم وفيه

تصريح

تصريح بما اومى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق بيتوا اي دبروا واشتوروا بالحون
ليلا على فعل خير هو نقضها والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش في بقائها
مع كثرتهم وعتوهم حمد الصبح اي الفجر والصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل
على هذا مقابلته بالمسا الذي هو من الزوال الى الغروب امره اي شانه وغايته
والمساء واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة في وقوع
الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء
اولى واحق بذلك وبين الصبح والمسا الطباق كالشدة والرخاء والنقض
والابرام فيما ياتي وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة واباهما من الطباق
ولا ياتي على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كما مر
مبسوطا يا لامر اتاه بعد هشام ه زمعة انه الفتى
الاواء يا لامر بفتح اللام وهو نقضها وناداه على طريقة الاستغاثة تنزيلا له
منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه
كقولهم يا لله وللما اذا تعجبوا من كثرتها اتاه بعد هشام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي فهو عامري
وقدمه لما مر انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم زمعة بن الاسود بن
المطلب بن اسد انه بالكسر استئناف فيه معنى التعليل لكونه اول من كذب
ابا جهل اللعين ورد عن هشام كما مر الفتى اي الكريم في قومه الاواء صيغة

مبالغة من اي ففيه مع اناه جناس الاشتقاق كما في قديت وقلا وزهير

والمطعم بن عدي ه وابو البختري من حيث شاؤا وزهير

بن ابي امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله

عليه وسلم والمطعم بن عدي وابو البختري والي هؤلاء الخمسة النقض لا عن

غير اتفاق ومواطاة بل انما اتوه اتيانا كائنا من حيث طرف مكان حقيقة

او مجازا وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحه وجره وحاث وحوث

واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم

اضافتها بالكلية انذر فتعوض ما وتصرفها نادر بل انكره ابو حيان والغالب

كونها في محل نصب على الظرفية او خفض بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به

على خلاف فيهما وزعم الفارسي انها في الله اعلم حيث يجعل رسالته مفعول به اذ المعنى

سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا في المكان وناصبها

يعلم المدلول باعلم لا هو لان افعل التفضيل لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم

شاؤا اي من المكان الذي قصدوه لتدبير امرهم وتشاورهم عليه ولذلك

وقع فعلهم الموقع الذي قصدوه ونتج الانتاج الذي دبروه نقضوا مبرم

الصحيفة اذ ه شذت عليه من العدى الاندا نقضوا بدل من فعل

خبر من نقض العهد اي ابطاله مبرم اي محكم واصله كابرم الحبل الذي

جمع من مفتولين فتلا حبلا واحدا الصحيفة التي توافقت قريش على ابقائها

على الدوام الا الان بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم

اذ اي وقت او لاجل ان شذت اي صممت عليه اي على ذلك الامر المبرم وهو

عدم نقض تلك الصحيفة من العدى بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو العشيرة

وسند فليدع ناديه واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث والسمر سمي من فيه

باسمه اي نقضوا هذا الامر المبهم المبروم الذي قواه عشايرهم وصمموا عليه اذ كرتنا

بالهها اكل منساة سليمان الارضة الخرساء اذكرتنا بعد

تنبانا جملة استينافية لبيان ان لاكل الارضة الصحيفة نظيرا هو اكلها لعصا

سليمان عليه السلام باكلها لتلك الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي هي الفاعل

فهو عائد على متقدم رتبة وهو شائع اكل مفعول اذكر الثاني منساة اي عصاه

سليمان بن داود بن ايشا عليه السلام لما مات وهو متكئ عليها فصار

كذلك سنة والجن يعتقدون حيوته فيداومون فيما سخرهم فيه من الاعمال

الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا وعلموا ان لهم

سنة مستمرين في العمل وانهم كاذبون في ادعائهم على الغيب ولذا قال تعالى

عز قائلا فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل

منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب

المهين الارضة بفتح الراء وقد يكن كما هنا وهي دويبة تاكل حتى الخشب اكلا

ذريعا الخرساء فيه تعجب من شانها اذ ليس من شان الاخرس التذكير واثبات

الخرس لها مجازا اذ حقيقته فقد النطق عما من شأنه النطق وبها اخبر النبي
وكم ٥ اخرج خباءً له الغيوب خباء وبها اي وبالكلها للصحيفة
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا كما مر مبسوطا وكم
مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر خباءً اي شيئا مخبيا له الغيوب
خباء اي ساترة وبين خباء وخباء الجناس المحرف وفي كم الى اخره التذييل
تنبيهان احدهما يجب على كل احد ان يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم
الغيب وان ما حصل لرسله واوليائه منه فهو اما بوحي من الله تعالى او الهام
والاستثناء في قوله تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى اما منفصل كما هو الاصل
وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة اولياء اتباعه من جملة كراماته
ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي ثانيهما في بيان ما اشار
اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وحاصل شيء
من ذلك ان ما يدل على كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما
في القران مما لا يحيط به حد وخرج الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها
والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وخرج ابو داود قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا الى يوم القيمة الا حدثنا به وفي
الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر
بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان

صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان فاستشهدوا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق الى
والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فالبسها عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك
واخبر عمه العباس ببدر بما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه
احد غيرهما واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت
وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد
امير الجيش الذي ارسله لمؤتة بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن الحارثة
فجعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وبان بنته فاطمة
رضي الله عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية اشهر او سنة وبان
اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم الله وجهه بضربه في يافوخه فيبتل من
دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم كذلك فمات منها وبان معاوية رضي الله
عنه يلي امر امته وبانه لم يغلبه رواهما ابن عساكر ومن ثمة قال علي كرم الله
وجهه ورضي الله عنه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان
عثمان رضي الله عنه يقتل مظلوما وروايته تقتل وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة
من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد
عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس اهلها وابضاعهم واموالهم

وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابي وافتض فيها ألف عذراء
وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي رضي الله عنهم ولذلك قال
علي للزبير لما برز له يومئذ انشدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انك تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وبقوله في الحسن
كرم الله وجهه ورضي عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم صار
لمعاوية باربعين الفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما
حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك
ابتغاء لوجه الله تعالى كما جاء عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية يشترط عليه
شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل اليه قرطاسا ابيض وقال اشترط ما شئت
فاشترط له ونزل عن الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة حقيقة وبقتل
الحسين كرم الله وجهه بالطف واخرج بيده تربة قال فيها مضجعه وصح خبر
استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم
ام سلمة فامرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحم فقبله
صلى الله عليه وسلم فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت
اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر
فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلا وفي رواية انه قال

لها

لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما راى جبريل معه
في صورة رجل واخبر ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده
وبانه ابو الخلفاء وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك ستغلب
على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس ان يضربوا
اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك
بن انس ومن ثمة كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن
روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل
الشام والليث امام اهل مصر وابو حنيفة وصاحبان ابو يوسف ومحمد وذو
النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن ادهم وبعالم قريش وانه يملأ اطباق
الارض علما قال احمد وغيره يراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض لقرشي
صحابي او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما
قليل جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصنعاني ان
الحديث موضوع سائل يهور منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا له شواهد
تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين
خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه مثل
ثدي المرأة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه
صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية

والمرجية وبان امته ستفترق على وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا فرقة
التي هي على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم بانهم
لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اى قربه بقليل وبامارات
الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي
قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من
ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة
المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الاخرة سنة
اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها
منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى
وقع منها في يوم واحد ثمانية عشرة زلزلة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم
كان يغشى المدينة نسيم بارد وروايته من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاحد
سابع عشري رجب وقد اتسع المؤرخون في اخبارها بما يطول استقصاؤه واذا
تأملت ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت
ان ذلك من تمام عناية ربه تعالى وانه لا يعيه قط ومن ثم عقب الناظم ذلك
بقوله لَا تَخَلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمُ الْأَسْوَاءُ
ه لا تخل بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشيء خيلا ومخيلة ظننته جانب
هو في الاصل شق الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية

النبي مضاما اى مضيفا حين وفي نسخة حيث والاول اظهر وهو ظرف لمضاما
مسته صلى الله عليه وسلم منهم متعلق بقوله الاسواء اى الاذيات الكثيرة
حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على
قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه
مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلال وجانبهم
لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان قال تعالى اذا جاء نصر الله
الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم
من اذياتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذا اصابهم من اذيات اممهم مثل ذلك
واكثر منه لكن كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالشِّدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ
وَالرَّخَاءُ كل امر من الامور العظيمة ناب اى اصاب النبيين فالشدة فيه
التي يحصل لهم منه محمودة لانها ترفع درجاتهم العلية والرخاء اى السعة
فيه محمودة ايضا لانه ليكثر اتباعهم فيغيظ اعداءهم ومما يبين ذلك ويوضحه
ان من المقرر في المعقول انه لَوْ يَمَسُّ النُّضَارَ هُونٌ مِنَ النَّارِ لَمَا اخْتِيرَ
لِلنُّضَارِ الصِّلَاءُ لو يمس النضار اى الذهب هون بالضم
اى هوان من ادخاله الى النار لاختبار خلوصه من الغش والنقص
لما اختير للنضار الصلاء اى العرض على النار لعزته على النفوس وشحها
به من ادنى نقص يصيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التي تنوبهم

كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد

لا تزيد الانبياء الا رفعة وفى لا تخل الى هذا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة ما

لا يخفى عظم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبى مضاما برهن عليه

بقوله كم يد عن نبيه كفها الله وفى الخلق كثرة واجتراء

كم يد اى جارحة عن نبيه كفها الله اى منعها وخذلها فلم يصل اليها بسوء قصدته

صلى الله عليه وسلم والحال انه قد وجد فى الخلق اى المخلوقين الذين هم

اعداؤه المريدون لاهلاكه كثرة واجتراء اى شجاعة وتهور واقدام على

فعل ما خطر بالنفس من غير من غير نظر فى عاقبته اذ دعا وحده العباد

وامست منه فى كل مقلة اقذاء اذ ظرف لكف اى وقت ان دعا

اى طلب حال كونه وحده العباد كلهم الى عبادة الله وترك ما هم عليه من

الجهالات والاباطيل والضلالات و الى امست اى حصلت اذ امسى تستعمل

كثيرا فى ذلك منه فى كل الازمنة فى كل مقلة منهم وهى شحمة العين

التى تجمع البياض والسواد اقذاء جمع قذى وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها

لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره مع وحدته وقلة

عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى انديتهم

بتسفيه احلامهم وسب الهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيبالغون حتى

اقرب اقاربه كعمه ابى لهب فى ايذائه والتجرى عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع

ذلك

ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلائته محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير

ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه

واعوانه يكثرون ويتفوقون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنه الله تعالى

من نواصى اعدائه فاذاق ما بقى منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم

لعزته مأمن البقاء والامان ومما يتمسك بعظيم اذيتهم له ونصره عليهم ما ذكره اهل

السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر ما رأيت قريشا اصابوا من رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعله بهم

من سبهم وسب الهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف

فلما مر بهم انتقصوه فعرف ذلك ثم مر بهم فاساؤه ثم مر بهم فاساؤه فوقف ثم

قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذتهم

كلمته واد تعدت منها قوائمهم فالانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم

فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا

عليه وثبة رجل واحد يقولون انت تسب الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام

اليه ابو بكر وحال بينهم وبينه كما مر تنبيه قرينة سياق النظم مصرحة

بان القذى فى العين مستعار لما حصل لهم فى عيون بصائرهم من اذاه له

صلى الله عليه وسلم بما مر انفا واما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على

اعينهم من الغشاوة المانعة من النظر فى امره الحاجبة لهم عن اتباعه

او يريد ما على قلوبهم من الران والصداء الحاجب عن الايمان فيكون عبّر
بالمقلة عن عين البصيرة عمّا يعلوها من الران والصداء انتهى فهو غفلة عن
سياق المتن وعدم تامله بالكلية لانه انما حكم بانّه صلى الله عليه وسلم اسكن
القذى لكل مقلة منهم وح فلا يصح تفسير القذى بشيء مما ذكره وانما يصح تفسيره
بما ذكرته فتامله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه هم قوم بقتله فابى
السيف وفاءً وفاءت الصفواء هم قوم يدخل فيهم النسا تبعا
بقتله بالسيف فابى السيف اى منع من الوصول اليه والتاثير فيه وفاء
اى لاجل وفائه بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير مرة فقد جاء انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يظله فبينما هو تحتها اذ جاء
اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت يده
وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث
بن الحارث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده
في يده صلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده فاخذه صلى الله عليه
وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال
جئتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله عليه وقع له نظير ذلك في غزوة بدر
مع منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع له نظير ذلك مع رجل يسند لقومه

بشجاعته وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعلمت
انه ملك واسلمت وفاءت اى رجعت على راميها وبينه وبين وفاء الجناس
اللاحق الصفواء اى رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت في يد راميها الذي
قد قصد بقتله وابوجهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء
وهو ابوجهل بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان اشد الاعداء
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله
عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه اجدادهم وسب الهتهم فاظهروا له شدة
الاباء والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابوجهل يا معشر قريش ان
محمدا قد ابى الا ما ترون واني اعاهد الله لاجلس غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد
في صلوته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد
مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشيء ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما
سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه
حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه قد يبست يداه على حجره حتى قذفه فقاموا
اليه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت
منه عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رايت مثل هامته ولا مثل صورته ولا انيابه
لفحل قط فهمّ بي ان ياكلني وذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا مني

لاخذه اذ ظرف لهم المقدر قبل ابوجهل لانه معطوف على قوم بقتله اى وهم ابوجهل بقتله
بالحجر الذى حمله وقت ان راى عنق بسكون النون وضمها الفحل وقد برز اليه
كانه العنقاء اى الداهية العظيمة او الطائر المعروف العظيم وبين عنق وعنقاء
جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكر من ان ابوجهل معطوف على قوم وان اذ ظرف
لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك
غير واقع بل حصل له ح من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على
الصفوا اى رجعت الصفوا عن الوصول اليه ورجع ابوجهل عن الرمى بها وقت
رؤية الفحل فاذ ح ظرف لفاءت معنى فاعلها وما عطف عليه واقتضاه النبى
دين الاراشى ٥ وقد ساء بيعه والشراء واقتضاه معطوف على هم قال
الشارح وكانه على نزع الخافض اى اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا
طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اى طلب النبى
صلى الله عليه وسلم من ابى جهل اللعين ان يؤدى دين كهلة بن عصام بن كهلة
بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث الاراشى بكسر الهمزة لكونه لما قدم
مكة بابل له يبيعها اشتراها منه ابوجهل اللعين ثم مطله باثمانها فوقف الاراشى على نادى
قريش فقال هل من رجل يخلصنى من ابى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى
على حقى قالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل اى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك
استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبنى على حقى

وقد سألت اولئك القوم فاشاروا اليك فخلصنى منه يرحمك الله فقام صلى الله
عليه وسلم معه ليخلصه منه كيف وقد ساء بيعه ذكر مع ان الكلام ليس الا
فى الشراء لانه نظير له فهو من مراعاة النظير والشراء اى وشراؤه مع هذا الرجل
وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله
عليه وسلم بابه فقال من ذا قال محمد اخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط
هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى تاخذه فدخل فخرج فاخرجه اليه فجاء الى
اولئك واخبرهم بما وقع فجاء ابوجهل فقالوا له ويلك والله ما راينا مثل
هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى فسمعت صوته
فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسى لفحلا من الابل ما رايت مثلها منه
ولا صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلنى ورأى المصطفى اتاه بما
لم ينج منه دون الوفا النجاء ومن ثمه راى ابوجهل اللعين
محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بما اى بفحل ابل لم ينج بفتح
ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز هنا لاجل الوزن تشديدها من
نجا ينجو وانجى ينجى فهو ناج ومنج منه دون الوفاء لذلك الدين الذى
للاراشى النجاء بوزن الضراب مبالغة فى ناج فالوفا مقصور ويجوز
تخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفى القاموس نجا نجوا ونجا نجاة ونجاية
خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفاء مقصور وعلى كل هو فاعل

بخ ونظره في المصدر قول الجاجرمي. ملأ الوجد فوادي وبرح التبريح اي وذلك
الفحل الابخي اولا ينجو منه النجاء بالمبالغة اي من تكررت نجاته من الامور
الصعبة الآن وفي ذلك الدين اولا ينجو منه النجا بالتخفيف اي النجاة الابعد
ذلك الوفاء هو ما قد راه من قبل لكن ه ما على مثله يعد
الخطاء هو اي الفحل المرئي في هذه الواقعة ما اي الفحل الذي قد راه من قبل
اي في الواقعة السابقة في قوله وفاء شاه لكن لا استغراب في ذلك لان هذا
اللعين ما على مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين
لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات الحكم عليه ببينة على حد مثلك لا يبخل
يعد الخطاء لان خطاءه لا ينحصر فلا يعد وضد الخطأ لغة شهرة تنبيه
قد يسأل عن الحكمة في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين من ان ينال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بموذ مطلقا اشد المنع ولم يمنع من القاء سلا الجزور على ظهره
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه صلى الله عليه
وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته
والقائهم في القليب على اخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل
هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه
ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة

وجمع

وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقدم
على جزور آل فلان فيعمل الى دمها وفرثها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد
وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت
صلى الله عليه وسلم ساجدًا اي لانه لم يعلم بخصوص ما وضع وانما لم ينفتل لانه اعادم
لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن
فرض من الصلوة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلوة الليل فلما راوا ذلك
ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهو جويرية رضي الله
تعالى عنها فاقبلت تسعى وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه
واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك
بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم
واشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد
قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال
صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه قال ذلك
عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد
انه انما قال ذلك عند القائهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم
صرعى القليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على اشر قتلة

فانه تعرض لزوجة النجاشي فامر ساحرا فنفخ في احليله من سحره عقوبة له فتوحش
فصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وايضا عقبة بن ابي معيط
انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وامية بن خلف وان قتل بيدر لم يطرح في القليب
واعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كانها الورقاء
واعدت عطف على هيأت اي هيأت ام جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب
لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارضاء لزوجها لعنهما الله الفهر اي الحجر الذي يملأ الكف لما انزل الله فيها وفي زوجها
تبت يدا ابي لهب السورة و الحال انها قد جاءت اليه و هو في المسجد وابو بكر عنده
بذلك الحجر لترميه به وهي في غاية السرعة والعجلة كانها الحمامة الورقاء اي
الشديدة الاسراع اي حال كونها شبيهة بها في ذلك فهي حال متداخلة يوم
جاءت غضبى تقول أفي مثلي من احمد يقال الهجاء يوم ظرف
لاعدت جاءت في حال كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها
في تلك السورة وفي نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة في طي الفؤاد
يوججها طرأ السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شيء في المغضوب عليه سمي
غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب او اشده او سورته او اوله وحال كونها
تقول أفي مثلي وانا بنت سيد بني مخزوم متعلق بيقال من احمد حال من
الهجاء يقال الهجاء اي السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو
الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير الهتهم فمن ابتدائية ثم فيهم فرقة يعتقدون
الا له وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هولاء فمن تعليلية اي يقول
الهه ذلك لاجله وتولت وما رأته ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء
وتولت عطف على اعدت و الحال انها ما رأته وكيف تراه
وهو للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعني تلك المرأة في غاية من
عمى البصيرة وفساد السريرة ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء اي عين عمياء
ولما رآها ابو بكر قال يا رسول الله انها امرأة بذية تأتي بالفحش من القول فلو قمت
قال انها ان تراني فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف يهجوني
فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني شاعرة وذكرت هجوا قبيحا
فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندي لصدوق والصرفت فقلت
يا رسول الله لم تريك فقال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله
ببصرها عني فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني من
اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قد
قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى فحين القى الشيطان في امنيته او تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وفي رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق اه فعند سجوده اخر السورة
سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير

قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية ففشا ذلك في الناس واظهره الشيطان حتى
بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى
اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الما شبهت الاصنام
لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى بطيور الما لكونها تعلو في السماء وترتفع **تنبيه**
كثر كلام العلما في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز لاحد
القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي وابدوا بان البخاري
وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوز على نبي تعظيم وثن
فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد
اخرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبراني وابن المنذر وابن مردويه والبزار
وابن اسحق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على ذلك
كله الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلثة رجالها رجال الصحيح وباقيها
اما ضعيف واما منقطع وبعضها منفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور فزعم
ابن العربي وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله اذ لا يتمشى على القواعد
فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا
بان لها ثلثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل

وكذا

وكذا من يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وح يتعين تاويل ما ذكر فيها مما يستنكر
كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق اه فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله
عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القرآن عمدا او سهوا واختلفوا في تاويله فاخرج
الطبري عن قتادة انه اصابته سنة تجري على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه
واحكم ربه اياته واعترض بانه لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب بان هذا
لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غايته الاعراض الشيطان لما راه اصابته تلك
السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله
بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رايت من اجاب بما يؤيد
ما ذكرته وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد
الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث سمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله فاشاعها واستحسن هذا
الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايدوه بما جاء عن ابن
عباس من تفسير تمنى بتلا فتمنى في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك اخبار منه
تعالى بان رسله اذا قالوا قولا زاد فيه الشيطان من قبل نفسه محاكيا له ثم بين الله
تعالى بطلانه فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم
لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة
قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب

بان الشيطان الجأه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بان الشيطان لو قدر
على ذلك لم يمكن احداً من طاعة الله او بانه على تحفظ ما كان يسمعه منهم من
مدح الهتهم فجرى على لسانه سهواً فهو افسد مما قبله او بانه قاله توبيخا للكفار
فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلانى فقال هذا جائز مع قرينة تدل على
المراد لاسيما والكلام فى الصلوة اذ ذاك كان جائزا وبانه لما وصل الى قوله الثالثة
الاخرى خشوا ان يأتى بذم الهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله
عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب للشيطان
لانه الحامل لهم عليه ففيه نوع بعد او بان المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من
يعبدهم زاعمين انهم بنات الله فرد ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر
وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ تلك الكلمة واحكم اياته
فهو ابعد مما قبله ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّاةَ وَكَمْ سَامَ الشِّقْوَةَ
الْاَشْقِيَاءُ ثم بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له كرامة
اخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه سمت له زينب بنت
الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة اى جعلت فيها سما
قاتلا لوقته لانها شاورت اليهود فى سموم فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت
به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله يحب
الذراع وكم مرات كثيرة سام من السوم الذى هو مقدمة الشراء او الذى

هو الرعى وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة اى تابر
عليها وتحلى بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم
تلك المرأة وبينها تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا
لنا اهل وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الى من هنا
من اليهود فجمعوا له فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم
فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم
تخلفونا فيها فقال اخسأوا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم فى هذه
الشاة سما قالوا نعم قال ومن حملكم عليه قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او
نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله
عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا
ايديكم فارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال
اخبرتنى هذه الذراع ومن ثم قال فَاَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ
بِنُطْقٍ اِخْفَائُهُ اِبْدَاءُ فاذاع اى اظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع
ما فيه من شر اى سم بنطق بدرك اخفائه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك
انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع اخفائه
عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم اى هو وان خفى عليهم ظهر له
صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال لها ذلك صدقته ثم قالت قلت

ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل منها وفى رواية غير ابى داود انها جعلت تسأل اى الشاة احب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى فذبحتها وصلبتها ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته فسمتها به واكثرت منه فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما اخر فازدرد لقمته واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرنى بانها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطى ورواية انه قتلها يعارضها رواية البيهقى عن ابى هريرة وجابر انه لم يعاقبها ومن ثمة قال **وبحلو من النبى كريم لم تقاصص بجرحها العجماء** وبحلو من النبى كريم بل الاكرم منه قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح **لم تقاصص بجرحها** بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر **العجماء** اى المرأة يقال ايضا للبهيمة وقال الزهرى اسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الان انك صادق وانى اشهدك ومن حضر لى على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وجمع البيهقى بانه

يحتمل

يحتمل انه تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلى وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم احدا روى عن الصحابة انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء فى رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسها ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودى الذى رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص كما صرح به كلام ائمتنا المقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص منها ولم ير احد من ائمتنا ولا من غيرهم جواز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذى نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريقا وصلبت قلت الذمى اذا نقض العهد فهو ملحق بقاطع الطريق فى احكام لا يبعد ان هذا منها على ان ذلك صادر من حربى واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم لان المماثلة اه انما يأتى على القول بتعينها فى القود اما المخير بينها وبين السيف

فيما ليس بمحرم والمخير بينها وبين السيف في القتل بسموم فلا ينافي عليه ذلك البحث
قلت بل ينافي على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض
العهد والملائم انما هو ان قتلها بالسيف لا بد ان يكون على خصوص كونه قودا وتأخر قتلها الى موت
بشر لا بد ان يكون على القود ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما في هذه القصة
من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول ائمتنا من اضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما
فاكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه الى اكله وذلك
لانه لم يثبت انه قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظم حيث
نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات المخالفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان
نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل عدمه قلت هذا
يحصل منه مدعانا ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد فلا
دلالة فيه للخصم بوجه ويخلو من النبي كريم **مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ**
اِذْ كَانَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رَبَائِبُ من فهو معطوف بحذف حرف العطف
على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استيناف اي انعم نعمة عظيمة **فضلا**
مفعول مطلق كرجعت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله
تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء عن تخلية سبيلهم بعد ان ملكهم
المكنى به اي رفع الرق عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض
وعلى هذا تغني هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذ ان منه معلل بشيئين

عموم

عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه قبل ذلك فيهم وعليه فحرف العطف
مقدر الثبوت ويصح ان يكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير
مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن او
بفضلا اكتفاء بقرينة السياق **على هوازن** قبيلة حليمة السعدية رضي الله عنها
وهم اهل حنين المذكور في القران وهو واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور
من اسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلث ليال
غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف
على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان في اثني عشر الفا
عشرة جاء بهم والفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد
الطائف وامر ان يجعل سبي هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتي اليهم وكان السبي
وهو النساء والذراري ستة الاف رأس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم فوق
اربعين الفا واربعة الاف اوقية فضة فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف
انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنائم فجاءوا
مسلمين فقالوا يا رسول الله ان لنا اهلا وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف
عليك فامنن علينا من الله عليك وقام رجل من سعد حليمة فقال يا رسول الله
انما في الحظائر عماتك وخالاتك اي من الرضاع لانهن قرابات حليمة وحاضناتك
اللاتي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا

بمثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم صلى الله عليه
وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابنائكم ونسائكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا
ابناؤنا ونساؤنا فقال اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر
بالمسلمين فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين
وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند
ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد
المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس
من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبى يصيبه بما طابت به
نفوسهم فردوا من بقى عندهم ومن صلى الله عليه وسلم عليها كذلك اى
لاجل انه صلى الله عليه وسلم كان له قبل ذلك اى وهو طفل فيهم رباء
بفتح الراء والذاى تربيته من ربوت من بنى فلان وربيت فيهم اذا نشأت
بينهم اوطولا باعتبار ما وصل اليه من لبن حليمة وتربيتها تنبيه جعل الناظم
اذ تعليلية خلافا عليه الجمهور قالوا ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية لان
التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هى حرف بمنزلة لام العلة او ظرف بمعنى وقت
والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب على سيبويه الاول
وعلى الثانى فى الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضى

وهو

وهو الغالب ثم قال الجمهور لا يكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث
اخبارها وقال الاكثرون تكون مفعولا بها نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة
اوائل القصص كلها بتقدير اذكروا بدلا منه بدل اشتمال او كل من كل ورده الجمهور
بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشرى انها تكون فى محل المبتدأ
مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم
لاستقبال تعلمون لفظا ومعنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة
الواقع وَاَتَى النَّبِىُّ فِيهِ اُخْتُ رِضَاعٍ ه وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا
وَالسِّبَاءُ وَاَتَى ذلك السبى واصله الاسر والمراد هنا المسبى اى المأسورون
الى الجعرانة بامره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبى
فيه اخت النبى صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيماء كما مر ولما
شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى اخت صاحبكم فاتوا بها اليه صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة ذلك قال عضة منك
فى ظهرى فعرفها لكن وضع اى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع
قدرها السباء اى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب ذلة هذين ما فيها من
اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى ابى طالب من العمومة
والتربية ومنع الاعداء بكل طريق امكنه ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته
صلى الله عليه وسلم لها فحباها بِرًّا تَوَهَّمَتِ النَّا سُ بِهِ اِنَّمَا النِّسَاءُ

هداء فحباها اى اعطيها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها برًّا
اى لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول الثانى
ويؤيده انه ابدل منه قوله بسطاه كما يأتى ولما بسط لها رداءه واجلسها عليه
وخيرها وقال ان احببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان امتعك وترجعى
الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها كما هو شأنه
وردها الى قومها واعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل فيهم
من نسلها بقية توهمت الناس الذى رأوا ذلك البر اى وقع فى وهمهم اى
ذهنهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شأنه به اى بسبب ذلك البر الذى
وصل اليها منه انما بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها النساء اللواتى معها وبينه
وبين الناس الجناس المقلوب هداء بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها اى
مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الثانى اى توهموا ان النسوة
اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظيم ما قابلهن به من الاكرام وانما جئن لاهداء
عروس وجلائها اليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام
انما يفعل مثله لنساء يهدين عروسا لا لنساء مسبيات تنبيه استعمال الناظم
لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه
قوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فقالا انها لقصر الحكم على شئ او لقصر
الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الاية لان انما

يوحى

يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة
اجتماعهما الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله
بالوحدانية وقول ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحدانية مردود بانه
حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط المصطفى لها
من رداء اى فضل حواه ذاك الرداء بسط فهو بدل من برا كما مر
ويصح كونه بدلا من حبا المصطفى صلى الله عليه وسلم لها من الظاهر انها زائدة
على مذهب الاخفش وجماعة رداء كان عليه اى نشره وجعله لها فراشا
تجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه
تجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام وكيف هو رداء
اى فضل اى شرف عظيم لا غاية له حواه اى جمعه ذاك الرداء بمماسته لجسده
الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير من ان اى فضل اه جملة نعت
لرداء ومن زائدة او بعضية وهو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اى مفعول البسط
وان فضل بمعنى فضلة فمن تبعيضية او انه على حاله فمن تعليلية داخلة على
مضاف اى نشرها من اجل فرشه رداءه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اى
تميزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفى الرداء رد العجز على الصدر فغدت
فيه وهى سيدة النسوة والسيدات فيه اماء فغدت اى
صارت مندرجة فيه اى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة اولئك النسوة

اللواتي معها من سبي هوازن لما حصل لها من التميز الباهر عليهن وان اولئك
النسوة اللواتي هن سيدات قبل اسرهن فيه اى ذلك الفضل اماء اى
صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات
والاماء طباق وهذه جملة موكدة للجملة الاولى التي هي حال من فاعل غدت
كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقي
الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات ينقطع اعناق الاطماع
عن ان تمتد اليها وخصال لم يعول امال الكمل الا عليها طلب من كل سامع فانه
مشاهدة رؤيته ان ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال فتنزه
في ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء فتنزه قال الشارح
هو من قولهم خرجنا نتنزه في الرياض انتهى وكانه جرى في ذلك على العرف
اذ التنزه كما في القاموس التباعد ثم قال وارض نزيهة بعيدة عن الريف
اى الخصب والزرع وعفن المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهوى
ثم قال واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين والخضر والرياح غلط قبيح في اوصاف
ذاته مر الكلام عليها في تلك ذات العلوم ومعانيه اى صفاته الخارجة عن
اوصاف ذاته استماعا اى من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته وجميل صفاته
الابتة في هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع
والاجتلاء الاتي ان عز اى فقد منها متعلق بقوله الاجتلاء من جلو

العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة
اى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ
سمعك لكل ما يتلى عليك من اوصاف ذاته وعلى صفاته وبه يظهر ان من
زائدة في الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من
نبأ المرسلين يحلون فيها من اساور من جبال فيها من برد يغضوا من
ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتامله واملاء السمع من
محاسن يمليها عليك الانشاد والانشاء ولا تقتصر على سماعك القليل من
ذلك بل املاء السمع بان تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شيء
محسوس وان سمعك اناء واسع لملاءه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها
صلى الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا يبلغ كامل غبارها وهو جمع على غير
قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا عليها من املت الكتاب
ويجوز املته عليك من هذه القصيدة وغيرها الانشاد لها من يشجي
الصوت قائم الاعراب فقد قالوا من اقوى الاسباب الباعثة على محبته
صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية
المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وطربا
وذلك يحصل عندها لسببين احدهما انها في نفسها توجب لذة قوية
ينغمر فيها العقل الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك

الحركة والشوق وتخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته من القلب
واستيلائها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان
وكثرة الاشجان فيحصل للروح ماهو اعجب من سكر الشراب واقوى فى اللذة من
اعناق الشواب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى يقول لداود فى الجنة
مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول كيف وقد
اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل
الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب
جل جلاله وخطابه لهم سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة
ذلك تغنى عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والالتذاذ
من ناظمها واسناد الامتلاء اليها مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك فى ذلك التنزه
وامتلاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته
وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأْتُ بِهِ ٥
اِسْتَوْعَبَ اَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ كُلُّ وصف له من صفاته
الذاتية والمعنوية ابتدأت انت او انا به فى الذكر او ابتدأت بذكره لتحيط
بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم اى جميع اخبار الفضائل والكمال
منه متعلق بقوله ابتداء اى كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم
وتأملت ما اشتمل عليه حرفيا وايمائيا جمع ذلك الوصف المبتدء جميع انواع الفضل

وغايات

وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم اخذ
بحجر بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان
كمل فى بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته
صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما
كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذى تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله
عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف ولم يرد ذلك بكثير على
من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدى ابى العباس المرسى ووارث
ابى الحسن الشاذلى قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته فى شرح هذا البيت
يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا يعتقد فيه خلافا للشارح وانه
يجب عليك ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان
بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده فى آدمى
مثله وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق
وجلائل الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التى لم يصل اليها غيره
فى كل من ذينك ومن ثمه قال الناظم فى بردة المديح فهو الذى تم معناه وصورته
البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه
وبين غيره لانه الذى تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن
قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين

ابتدائك وابتدأ جناس الاشتقاق **تنبيه** شرح الناظم ببيان تمام معناه
بما مر ولم يشرح تمام حسنه ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤيته وجهه اه
ضحكه التبسم اه وبتقبيل راحته اه فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول
اما وجهه الشريف فصح عن البراء كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن
ابي هريرة ما رأيت شيئا احسن منه كان الشمس تجري في وجهه وعن البراء
انه قيل كان وجه رسول الله كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف في الطول
ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن
كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فتنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق
والملاحة والاستدارة وجاء عن علي لم يكن بالمكلثم اي شديد استدارة الوجه
بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان اسيل
الخدين اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة وتشبيه غير واحد لوجهه
بشقة القمر اي عند التفاته وقيل احترازا عما في القمر من السواد ويرده تشبيه
ابي بكر له بدارة القمر وفي النهاية انه كان اذا سر صار وجهه كالمرآة فترى خيال
الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر
تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده ينظره كال النظر ويتأنس به ولا
يتأذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر
ومن ثمه قال الخارجون لملاقاته مرجعه من تبوك طلع البدر علينا من ثنيات

الوداع

الوداع ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا محدث يعادل صفاته الخلقية
كالخلقية واما بصره فيكفيك ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس كان يرى
بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء وصح انه كان في الصلوة يرى من خلفه
كما يرى من امامه اي رؤية ادراك كهي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة
لا يتوقف على شعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له
عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه
والاصل عدمه كزعم ان صورهم كانت تنطبع في قلبه او انها رؤية قلب
او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وحديث اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف
له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده فهذا
غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي
او الهام ومن ثم لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب
قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا
حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وبفرض التعارض فما مر في حالة الصلوة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت
التفت جميعا اي لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش
الخفيف وان جل نظره النظر بالملاحظة وهو جانب العين الذي يلي الصدغ في بياض
العين وانه عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة وروى

مليح اشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة
في سوادها وفي رواية ادعج العينين اى شديد سوادهما اهدب الاشفار
اى طويلها واما سمعه فحسبك فيه خبر الترمذي اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون واطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية الا جبهته او جاثم واما شعره فصح انه كان
بين شعرين لا رجلا اى بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا سبطا ولا جعد قطط
كان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط والجعد ولا تخالف لان
فيه رجولة قليلة فالاولى لنفي كثرتها وانه الى شحمة اذنيه وانه الى اسفلها وانه الى
الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما تركه فيقصره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان
الفرق بنفسه والا تركه معقوصا ولعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه كان يسدله
اى يرسله ثم فرق ثم رايت ان العلماء قالوا ان الفرق سنة لانه الذي رجع اليه
صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته وصدغيه شعرات بيض دون العشرين
والغالب يكثر معنى انه نور لرواية ما شانه الله بالشيب اى لان الناس يكرهونه غالبا
ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيئا كفر واختلف الروايات في تغيره صلى الله
عليه وسلم الشيب بنحو الحناء ولا تخالف لانه فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثمة كان سنة
عندنا وصح انه كث شعر اللحية وجاء انه يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وكان
اشعر الذراعين والمنكبين واعلى الصدر ولم يرد انه حلق راسه في غير حج او عمرة

ورواية

ورواية انه كان ياخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحا
ومن ثمة اخذ بها ائمتنا وورد انه كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وانه كانت
له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم واما جبينه وحاجباه وانفه
وراسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اى شعرهما متصل وانه غير
متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كثيري الشعر كما في رواية سابغين
كما في اخرى دقيقين فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العين ودقة في
طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة
كذلك وصح انه ضخم الراس ضخم الكراديس اى رؤس العظام وجاء انه اقنى الانف
اى طويله مع دقة ارنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بانه سايل مرتفع
وسطه وانه دقيق العرنين اى اعلى الانف وان من لم يتامله يحسبه اشم اى
طويل قصبة الانف واما فمه فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه اشنب اى لاسنانه
غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم روى كالنور يخرج من ثناياه وانه مفلج
الاسنان اى متفرقها وفي رواية مفلج الثنيتين اى اكثر من البقية واما
ريقه فقد صح انه واسعه يوم خيبر تفل في عين علي كرم الله وجهه وكان
به رمد فبرئ منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه مج
في بئر ففاح منها رائحة المسك وانه بزق في اخرى فلم يكن في المدينة

ماء اطيب منها وانه كان يوم عاشوراء يبصق في فم رضعائه ورضعاء فاطمة
وينهى عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس
نسوة فمضغتها كل منهن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة لسانه
وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فاظهر من ان يذكر واشهر من ان ينشر
كيف وقد ارتقى في كل ذلك الغاية التي لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه
معجزة كالقرآن واما صوته فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه
حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه
حسن الصوت والبيهقي خطبنا صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في
خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا
فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب
بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم في منازلهم واما ضحكه صلى الله عليه وسلم
فهو انه سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء
سيد للعالمين الاولين والاخرين كما تقرر مبسوطا اول الكتاب ضحكه
اى الذي يظهر به سروره هو التبسم كما رواه البخاري عن عائشة ما رأيته
مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر
البخاري ايضا في الواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهي بالجيم
والذال المعجمة الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عائشة

انما

١٢٦

انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث
ان اكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك من
غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان
فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاؤه فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق
ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره ازيز اى غليان اى يبكي
رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن واحيانا في
صلوة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاؤب بل جاء ان كل نبي كذلك واما
يده فقد وصفه غير واحد كما في عدة طرق بانه شثن الكفين اى غليظ اصابعهما وبانه
عبل الذراعين رحب الكفين ووصف ايضا بان يده الين من الحرير والديباج وابرد من
الثلج واطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر انفا لانه جمع مع لين الجلد غلظ
العظام وقوتها وتفسير الاصمعي الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه
انه قيل له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم ان لا يفسر
شيئا في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصل له خشونة في كفيه
من جهاد او عمل في مهنة اهله وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما
جاء انه كان سائل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغليظ من غير خشونة ولا قصر وروى
الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الدم عن صدره ووجهه من جرح في
وجهه فكان اثر يده غرة سائلة كغرة الفرس وصح انه مسح رأس ولحية ابي زيد

الانصار ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة ما في لحيته بياض ولا في وجهه
انقباض وروى احمد وغيره انه مسح راس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان
يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين كما جاء
عن عدة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لكن يعارضه الرواية الصحيحة
كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض
في الاول على البياض الغير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت
بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خيط الشعر الذي بين
الصدر والسرة بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب
ليس على صدره ولا بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه مفاض البطن اي
واسعه وقيل مستوي الظهر مع الصدر وان بطنه كالقراطيس المثنى بعضها
على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر واما قلبه فهو اول قلب
اودع فيه الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانها اول الخلق كما مر وصورته
اخر صور الانبياء عليهم السلام فهو اولهم واخرهم في حيازة على الكمالات الخلقية
والخلقية ومما ينبئك بان قلبه اودع ما لم يودعه غيره تكرر شقه وملئه ايمانا
وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في مبحث رضاعه صلى الله
عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك
لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه واما جماعه فقد صح عن انس كنا

تحدث

نتحدث انه اعطي قوة ثلثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي قوة اربعين زاد
ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل في الجنة يعطى قوة مائة كما
صححه الترمذي وقال غريب واربعون في مائة باربعة الاف ومع ذلك كان على غاية
من تقليل الغذاء ليخرق الله له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه
من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة يصبح صائما جنبا من جماع غير الاحتلام
انه يحتلم ويبتليه فالاول محمول على ما اذا كان من رؤية وقاع لان هذا هو الذي
من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم واما قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء
من غير واحد انه شثن القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول
من بقية اصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت
خنصرهما متظاهرة وكانا اخمصين لهما اي ليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله
فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون
تكسر وتشقق بهما واما طوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب
كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده
او مع قصير والا طال على من ماشاه وهو ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان
طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة واما مشيه فقد صح عن علي كرم الله وجهه
انه كان اذا مشى تكفى تكفيا كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى
تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب اراد انه يستعمل التثبت ولا يتبين

في هذه الحالة استعجال ومبادرة في المشي وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي
الكائن منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو وكل اناس
سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل وقد مدح تعالى من يمشون
كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك
رواية الترمذي عن ابي هريرة ما رأيت اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس
لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في
مشيه كما يدل عليه قوله كان الارض تطوى له فهو مع هون مشيه لا يلحق وفي
معنى رواية ذريع المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى
تقلع التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي
العزم والهمة وهو اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من الناس يمشي
قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج
وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه
وسلم اذا مشى معه اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان اذا
مشى في قمر او شمس لا يظهر له ظل وسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم
واجعلني نورا واما لونه فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من
طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض وقوله

نعم قد بينا فيه رواية ابيض شديد البياض الا ان يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط
وما عداه شديد البياض كما يدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة
وعلى الوجه يحمل رواية البيهقي اي احمر ليس بابيض وقول عياض انها وهم غير صحيح وكذا
رواية ليس بالابيض ولا بالآدم اي وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بان
المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق
على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية ويوافقها رواية ابيض بياضه الى السمرة
ورواية احمر الى البياض او المراد انه كان تحصل له السمرة اذا سافر لتأثره من الشمس
وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقض وجهه وذهب بعض المالكية
الى ان من زعم انه كان اسود يقتل اي لان السواد يشعر بالنقص واما طيب ريحه
وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس
وغيره وروى ابو يعلى والطبراني ان رجلا استعان به في تجهيز بنته فاستدعى
بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت
شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق
فمر الناس منه وجدوا ريحه وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد
من عرقه او من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب
ان ما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وابده الحافظ عبد الغني
بان احدا من الصحابة لم يذكر انه رآه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه

ومن ثمة اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته واما نومه فهو
الاغفاء اي اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب
وغفلته المتولدين عن التشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان
تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض
وضوئه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن
ثمة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه
صلى الله عليه وسلم بالوادي عن صلوة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من
وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي
نائمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل لانه قبل الفجر الى ان حميت
الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه
على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك الواقعة
كسهوه بالصلوة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان ح وردوه
بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كما قال بعضهم قوله لا ينام قلبي مما يخرج عن ظاهره
بغير دليل واذا قد انتهى الكلام على شيء من محاسن ذاته التي لم يخلق الله تعالى ذاتا
اشرف منها فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله اشرف
منها ايضا فنقول ما سوى خلقه النسيم ولاه غير محياه الروضة
الغناء ما سوى اي ليس غير خلقه النسيم اي الريح التي في غاية اللطافة واللين

والطيب يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن
عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
ثم قال فلرسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه
افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه
قلت هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول
لنكتة كما في كما صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار
ما فيها مما يفيت الروح ويحيي القلوب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا
قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت يعني لا يشبهها الخ لا يبين ان هذا المراد من
العبارة لا نفي هي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها
الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه في الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم
للنفي بغير وعبارته غير يقال على اوجه الاول ان يكون للنفي المجرد من غير اثبات معنى
به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتي في شرح قوله وما
سواي هو الكامل ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب
وهو والمفتوح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخاري
ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزي وتمامه

مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة

قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله جبلني على خلقين يحبهما

فترديده السؤال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزي

وبعضه مكتسب ويدل ايضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وما

صح انه كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها

الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه او كماله

امر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة

يسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال

الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد وما لا يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه

في كتابه الكريم فقال عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد في المدحة

باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى عليها

فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه

يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما

كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل

فيه الانعام والانتقام ولم يكن له همة سوى الله تعالى يعاشر الخلق بخلقه ويباينهم

بقلبه ومن ثمه ورد بسند ضعيف ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن

الافعال والاعمال وفي رواية الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد

اندرج تحت خلقه ومن ثمه قالت عايشة كان خلقه القرآن قال السهروردي في

عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت

الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه

القرآن استحياء من سبحات الجلال وستر الحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها

وكمال ادبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع

العالمين وعلم من كلام عايشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معاني القرآن

لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى من كريم الاخلاق

لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد

الرحماني الذي لم يزل يشرق انواره في قلبه الى ان وصل لاعظم غاية واتم نهاية

واعلم ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل لانه الذي به يقتبس الفضائل ويجتنب

الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصر

وفي القاموس بعد الاشارة الى الخلاف في تعريفه والحق انه نور روحاني به تدرك

النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال

ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور اول ما خلق الله العقل قال له

اقبل اه موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال الى غاية لم يصل اليها

ذو عقل ومن ثمه روى ابو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد في احد

وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من

العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا الحبة رملة بين رمال جميع الدنيا
ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش
الشاردة وصبره على طباعه المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه اهاليهم وهجروا
في رضاه اوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العلماء
المتقدمين وفي هذا ما الذي قبله مما مر انفا ولا غير محياه اي وجهه الروضة
الغناء اي الكثيرة النبات والازهار والثمار اي ليست الروضة الغناء الا وجهه
لانه احسن الخلق وجها كما مر مبسوطا هو رحمة كله وحزم وعزم
ووقار وعصمة وحياء رحمة وهي عطف وميل نفساني غايتها
التفضل والانعام اي عينها مبالغة او ذوها وهو خبر مقدم واخبر بهذه وما بعدها
بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كانها
هو وكانه هي اي مركب منها وطبع عليها وخلق منها كله كما قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل ومفعولا لاجله او على
حذف مضاف اي ذا رحمة والعالمون هنا قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل
والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل له ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل
الرازي وغيره الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود بل اخذ بعض متاخري ائمتنا
بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية
للمنافق وبالامان من القتل وللكافر بتاخير العذاب ولسائر الحيوانات لان يوجهه

بنى في الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وقال
ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله
عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى يوم القيمة واما من صدقه فله الرحمة
في الدنيا والاخرة ومنه فعلم ان ذاته رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم زينه
ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال اخر الانبياء
خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين
الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر
ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم
وفي الشفاء وحكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شيء فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم
احد قالوا له لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي اغفر لهم هذا الشيء المخصوص لا مطلقا
والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بان الله
يملأ بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلوة الوسطى فكان الدعاء لله لا لحظ نفسه
وحزم كله اي جميع احواله التي تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة
والشدة الباطنة والظاهرة لان منشاء ذلك العقل الكامل وقد مر انه الاكمل من

من عقله بل لا مساوي له من نبي ولا ملك وعزم كله من عزم على الشيء قطع به
اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه
ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا اثبته ادامه كما وقع
له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها ثم واستمر
يصليها ركعتين بعد العصر طول اوقاته ووقار كله لان الله تعالى القى عليه من المهابة
ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري كان اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا
فضولا ولا تقصيرا وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير
وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال
له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني اوحي
الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا
عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة في المسجد قاعدا القرفصاء فارعدت من
الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صحبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو

وقيل لي صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من اجلاء الصحابة كذلك فما
بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع
ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر واحد منهم ان يجالسه
ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم
بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاشار جبريل يستشيره فاشار اليه ان
ان تواضع فاختار العبودية وعصمة كله اي حفظ المتخيل شرعا وقوع خلافه
من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في
سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه
ورضاه وغضبه والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد اجمع
الصحابة رضوان الله عليهم على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل
وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون
على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوالهم معه استحى من الله
كما قاله الامام المجتهد التقي السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في كل ما ذكرناه
وكذلك الانبياء كلهم معصومون منه كما ذكر وحكي في عصمتهم قبل النبوة خلاف
ومحله في غير الجهل بالله وصفاته اما هو فهم معصومون منه اجماعا بل لم ينشأوا
الا على اكمل الاحوال من الايمان به ومعرفته كما ينبغي وحكي في عصمتهم من الصغائر
بعد النبوة خلاف ايضا وهو في غاية الضعف بل الزم قائلوه بخرق الاجماع وما

لا يقول به مسلم ومحله في غير صغاير الخسة كسرقة لقمة ونحو غير ما يتعلق بطرق التبليغ

اما هذان فهم معصومون منها اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين

فيه اقوال كثيرة احسنها ما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما واخرين

صحابة وتابعين ان معناه وجدك ضالا عما اتاك من معالم النبوة فهداك اليها

ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القران ولا الايمان

اي الدعا اليه اي ولا الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله

ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جاء مرفوعا

اي وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه او هو

من ضل الماء في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك

عليهم واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون

فيه على اقوال كثيرة بها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق انفا ومن حسنها

ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوة التي اثقلت حقوقها والقيام بموجباتها

ظهرك خوفا عاقبتها حتى امنك الله ذلك في العاجل بقوله عز وجل وما كان الله

ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة فيهم في الاجل واما قوله ليغفر لك الله

ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما فيه ايضا

قول ابن العباس رضي الله عنهما انك مغفور غير مواخذ بذنب ان لو كان او

المراد بالذنوب ذنوب امته على وزان ما مر او ترك الاولى والاحرى كما قبل حسنات

حتى كاد يكون له نقض اي
صوت والمراد عصمناك
من الوزر الذي لو تحملته
صوت ظهرك من ثقله
فسمي العصمة وضعا مجازا
او رفعنا عنك اوزار
امتك التي اثقلت ظهرك صح

الابرار

الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم اي محا عنك ما

ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين في بعض هذه الايات ما لا ينبغي

من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظه صلى الله عليه وسلم من اعدائه الحريصين

على قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج راسه

صلى الله عليه وسلم من القبة وقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي وتواعد

جماعة على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم ثم تواعدوا مرة اخرى

فلما راوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وواعد ابو سفيان قريشا ان

راه ليطأن على عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل فقال لقد دنوت منه

اشرفت على خندق مملو نارا فكدت ان اهوى فيه وابصرت هولا عظيما وخفق

اجنحة قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا

ووفد عليه عامر بن الطفيل وزيد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد زيد

قتله فلم ير الا عامرا وحياؤه كله كما يصرح به خبر البخاري عن ابي سعيد رضي الله

عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها

قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء في خدرها اشد حياء منها اكثر مما تكون

خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما

اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحيا بالمد لغة تغير

يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح

ويمنع من التقصير في حق ذي الحق من الحيوة وكذا الحياء المقصور وهو الفطر وقوته وضعفه
بقوة حيوة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم
كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول
لهم انصرفوا ومن ثمة كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن احد شيء قال ما
بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة ما رأيت منه ولا رأى مني ومنها حياء
المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه لتهيجه اليه ومنها حياء العبودية
وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده
فيستحي منه لا محالة ومنها حياء المرء في نفسه ان رضيت بالنقص او قنعت بالدون
حتى كان له نفسين يستحي باحدهما عن الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحياء وهو حياء
النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي
الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخاري وجعل من الايمان مع انه غريزة لان
استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي
جعل الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة
منه فانها معينة على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم
جمع الله له النوعين فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها
وفي المكتسب في الذروة العليا التي لا يصل اليها احد
وان عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه
الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع كمال قدرته

وصبره على ما يكره لا سيما في الشدائد حتى انه لا تحل البأساء منه عرى
الصبر ولا تتخفه السراء لا تحل البأساء اي الشدة وان افرطت
لا سيما في الحروب وقد اسعرت نيرانها واصطلت شجعانها منه متعلق بما بعده
من المضاف والمضاف اليه او بتحل عرى الصبر وهو حبس النفس على ما تكره
اي اسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة للتنبيه في اشتمالها على ما قامت به
حتى منعته من وقوع نادرة منه عند ثوران الغضب بحبال ربطت على شيء
واحكمت في عرى فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرى
استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة
استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح وحسبك حلمه على من حاربوه يوم احد
في اشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه
الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجلي فانهم
لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من انواع العذاب واصناف
العقاب وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند
اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه

وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلوة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا كان لان
الحق لله وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب ان انتهكت
حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة
لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة
ونون مفتوحتين وهو اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات
النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه
الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما
فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته
الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه
وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم
يا بني عبد المطلب لمطل وقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله
ينظر الى عمر في سكون وتؤدة فتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر
فامرني بحسن الاداء وامره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه
وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر علامات النبوة
قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنين فذكر له ما مر

وقد

وقد عرفتهما فاشهدك اني قد اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله
عليه وسلم فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احملني
على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم
لا واستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي
يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروى البخاري ان اعرابيا جذبه
حتى اثرت حاشية البرد في عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من
مال الله الذي عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم امر له بعطاء وروى الترمذي عن
عائشة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى
البخاري ان رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة
فلما جلس الان له القول وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة عما قال وعما فعل
فقال متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألف له لانه رأس
قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين
او الدنيا او هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه
وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يداهنه فكان قوله فيه حقا وفعله
معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصين الفزاري
وقد كانت منه امور في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته بدل على ضعف

ايمانه بل ارتد في زمن صديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر فقال فيه صلى الله عليه
وسلم من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه امره بقتل عقبة بن ابي
معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا
مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فايس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان
المنافقين امهلهم مدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من علم بعدم
ايمانه للمصلحة العامة كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وصح عن انس كان صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس وان اهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا
فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا سيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم لن
تراعوا ما رأينا من بأس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم
لا يصرعون فصرعهم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم عن رسول الله
يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا
لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث
اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وثباته في نهاية
الشجاعة كيف وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف في
نحو الوف مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه

باسمه

باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو وقتل خلفه متحصنين به ولما قال اللعين
ابي بن خلف يوم حنين ابن محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة
من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان ارادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه
في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة اللعينة **ولا تستخفه** اي لا تخرجه
عن ثباته وتواضعه ووقاره **السراء** الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح التي
منحها في اواخر حياته بل هو معها كهو قبلها ولم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن
ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة التي لما رآها ابو سفيان
قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها
نبوة قال نعم وهو على ناقته القصوى في كتيبته الخضراء بين ابي بكر واسيد بن حضير
جاء انه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله لما رأى ما اكرمه الله به من الفتح
حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ احل له بلده ولم يحل لاحد
قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه

كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء

كرمت **نفسه** لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من انوار
الصمدية في حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه
كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته

وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وابوه ادم بين الروح والجسد بل
ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر ممدا لها في عالمها المتقدم
على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات
والناس فهو وان تأخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه
اذ هو خزانة السر الصمداني وممد بقوة الامداد الروحاني فبسبب كرامة نفسه
وتنزيهها عن كل رذائله ونقيصته ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء
كيف وقلبه قد طهره الله بشق الملائكة له المرات المتعددة عند تنقله في
الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما
يقتضي ذلك ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المان به عليه
وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذي
جاوز حده لان المقام مقام اطناب واذا تأملت ما اتاه الله بنبيه مما مر من
تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه عظمت نعمة الاله عليه
فاستقلت لذكره العظماء عظمت نعمة الاله عليه عظمة
قطعت سائر الخلق عن ان يصل احد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها
فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره اي عنده او وقت ذكر
ما انعم الله به عليه ونظره اثم الصلوة لذكري العظماء اي جميع ما انعمه به عليهم
لانه اولي غاية الكمالات الباهرة التي لا يدرك شاؤها مخلوق ولو عرض معها على ذوي

العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها
دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده اعظم واجل وافخم واعلان ضمر ذكره وحملت
العظماء على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم
النعمة وحذرا من اني لو لم افعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه
عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لانها
وقد استعمله الناظم فيه بعد تبيين حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع ذلك
الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء عده قليلا حتى في العرف ولا شك
ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير فان قلت
يلزم على التسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ما ذكرت لان اضافة
الاستقلال الى النعم يوهم احتقارها وهو محذور ايضا قلت مم لان النعم الواصلة
للتعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة اخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيهما
احتقارا اصلا بخلاف الذوات فانها وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها
اذ لا يستعمل الاستقلال الا فيها بهذا المعنى غالبا نعم قرينة المقام لا سيما مع مراعاة
وصفهم بالعظمة يدفع ذلك الايهام كما هو جلي وبين عظمة والعظماء تجنيس الاشتقاق
وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط
الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثمه جهلت
قومه عليه فاغضى واخ الحلم دأبه الاغضاء جهلت

قومه في قريش وغيرهم عليه اي آذوه اذى لا يطاق عليه فضربوه وخنقوه

واغروا به سفهائهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه

فسال منهما الدم على العقبة وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة

والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم

سنين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفي البخاري ومسلم من حديث

عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد

من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة

وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهائهم وصبيانهم فضربوه ورجموه

فاغضى عنهم حلماً وكرماً لا سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذائهم له ملك الجبال

كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق آنفاً فانه قال بعد ان ذكر

ما اذاه به ثقيف لما اخرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم الى الله ويستنصر

بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب

اي ميقات اهل الحجاز فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها

جبرئيل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث

اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد قد سمع

الله قول قومك وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق

عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من

يعبد

يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم واخ

الحلم اي التأني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اي

الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطاً بلحمه ودمه دأبه اي شأنه وعادته

المستمر هو عليها الاغضاء اي التغافل عن ان يلتفت الى اذية او ذي فضلا عن

ان ينتقم ممن آذاه وفي كلامه للمقابلة لما قرنه ان المراد بالجهل لازمه من

ايذائه بما لا يطاق ومن ثمة لما آذوه يوم احد فشج وجهه وكسرت رباعيته

قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي علماً ينتفعون

به اما لجهلهم اي اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك

فكانوا يعتقدون حل ايذائه ومقاتلته عملوا النقيت قلوبهم

اليه ادنى التفات من معجزاته لعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما العنادهم وهم

الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اي فتنزل علمهم

منزلة الجهل بل هو اضر منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان في تعبير الناظم بالجهل

تضمينا الجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وكذا

بين الامساك والاعطاء والتخفو والظن الاثبات وفيه ايضا جناس الاشتقاق

بين اغضى والاغضاء والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضاء اطباق

العين من رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما

واذا كان اخ الحلم دأبه ذلك فكيف نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي

وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذي تولى تأديبه بنفسه
وافاض عليه من حقايق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالمعروف
واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله
فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك وكل من شرفه حلم او ترك حلم واحتمال عرفت له زلة وهفوة تنافي الحلم
الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين
وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عائشة ما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط
الا ان يكون حرمة من محارم الله اى المتعلقة به كما مر ذلك مستوفى في شرح قوله لا أنحل
الباس منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابي الذي جذبه بردائه حتى اثر في عنقه
الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله
عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك لا
تكافئ بالسيئة السيئة فضحك وامر له بحمل بعير به ومر في قصة اليهودي
الذي اسلم ان من علامات نبوته ان حلمه يسبق غضبه وانه لا يزيده
شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد اجلسوا
في المسجد الحرام واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون
اني فاعل بكم قالوا اخ واخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
اذهبوا فانتم الطلقاء وسع العالمين علما وحلما ٥ فهو بحر لم يعيه

الاعباء وسع بالكسر العالمين جمع عالم وللمحققين فيه في الاية كلام منتشر
لا بأس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم
اسم لما يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما
لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد
وهو العالم ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا بيان له افادة
ان له اجناسا مختلفة كالانس والجن والملائكة والافلاك والدواب والجماد
وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض
افراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام متباين هذا احسنه
وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان
الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في
جنب عظمة الله وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة
والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به
الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما
فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار
لما في الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول

تراجعه فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم

الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ بطرف

كل عالم منهما والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه وعقله

وارادته وللثالث الادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن

علما تمييزا اى وسع علمه علوم الانس والملائكة والجن لان الله تعالى اطلعه على

العالم فعلم علم الاولين والاخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك في ذلك القرآن

الذي اوتيه ومثله معه كما صح عنه وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء

ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها الذي اوتيه

ايضا انه احاط بعلوم الاولين والاخرين وان علومهم مندرجة ومنغمرة في

علومه صلى الله عليه وسلم وحلما بينه وبين ما قبله الجناس المضارع اى

وسع حلمه حلم العالمين باثرهم كما علم مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له

زلة وهفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة

الايذاء له او الجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهو بسبب جمعه لتلك المعاني

التي لم تجتمع لغيره بحر اى واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية

وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ او استعارة على قول من رده اى كالبحر الذي هو

خلاف البر والنهر سمي بحرا لاتساعه وعمقه لم يعيه من اعيى فلان في

مشيه اى تعب او وقف الاعياء جمع عيىء بكسر اوله وبالموحدة والهمز

وهو الحمل والثقل من اى شيء كان اى لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا

جهالة فاستعار الاعياء لكدورة المشرب الاعياء المشبه والجهالات واذا تأملت

ما تقدم من اوصاف كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي

انه حيث البحار كلها في عينه والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة

كرمه وحلمه علمت انه لعصمته عن النقص لما سوى الله تعالى مستقل دنيا

ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء مستقل اى محتقر

دنياك اى الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السماء والارض

ان ينسب الامساك منها اليه و ان ينسب اليه ايضا الاعطاء منها

لانها لفنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم

الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لم يحقها احتقار شأنها وتعليما للامة عدم

الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض خبر الترمذي

انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب

ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك فاذا شبعت شكرتك

وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة

وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل

على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق

ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته

فقال صلى الله عليه وسلم امر الله القيمة ان تقوم قال لا ولكن اسرافيل ينزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح
خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك ان اردت ان اسير معك جبال
تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت
نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته
العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها
لم ينفقها الا في طاعة ربه لكنه اختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة
رفيعة ما اسناها ونفس زكية كريمة ما اعلاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في
بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاث ومعنى البيت الثالث
كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها خلقت
لاجله كما صرح به الخبر السابق **تنبيه** قوله هنا مستقل احسن من قوله
ثمه واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء انكر وصفه صلى الله عليه وسلم
بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال ما قدر الدنيا
حتى يزهد فيها فاذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب اولى وفي السيف
المسلول التقي السبكي عن الشفاء وافتى الاندلس افتوا باراقة دم من وصفه
صلى الله عليه وسلم في اثناء مناظرته باليتم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر
على الطيبات لاكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين انه يقول لم

يكن

يكن صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا علي حاله فقيرا بل كان اغنى الناس
بالله قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول صلى الله عليه وسلم اللهم احيني
مسكينا ان المراد في قوله استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما وقع موقعا من كفايته
وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى واما خبر الفقر فخري وبه افتخر
فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من
فتنة الغنى **فائدة** اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الاخرة بل هذا هو المقصد بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله
لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه
لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه
لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج ما
كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن ابي حاطب الذي انزل الله فيه
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة الكر
اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله عز وجل
من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله

وما والاه وعالم او متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل
فبكى حتى بكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأيته صلى الله عليه وسلم يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله
ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت
فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور
فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من
قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم **تنبيهات** اولها المراد
بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ او شهوة من غير
ان يعين على عمل اخروي ولا يفصل به ثانيها معارضة الاحاديث في ذم المال ومدحه
لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سماه خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح
وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكوة والحج ونحوها فهو
ثناء على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا
وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم
بطلانه غلط صريح خبر اللهم من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق
من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي
ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره

عمره وطرقه كثيرة مختلف فيها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان ابا ذر اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اني احبكم اهل البيت فقال له صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال
فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من اعلى الاكمة الى اسفلها
مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان
ووجه الجمع ان المدعو به في الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما لان الغالب
فيهما الفتن كما هو واضح من الايات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما المراد به كثرة
فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه
وانما هو كالسيف في يد القاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا الحربي او كحية في يد انسان فيها
سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس واذهب واذا تاملت ايضا ما
تقرر من كمالاته العلية علمت انه **شمس فضل تحقق الظن فيه** انه الشمس
رفعة والضياء شمس العلوم والكمالات باسرها كيف وكل **فضل** تحلى به كامل
فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك **تحقق** من حق بمعنى
ثبت **الظن** بمعنى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع **فيه** اي في ذاته وصفاته **انه**
بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم **الشمس** المشرفة على هذا العالم
البائنة عنه **رفعة** فلا يصل اليها احد منهم **و** انه **الضياء** المفيض عليهم
اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء تجنيس مراعاة
النظر وفيها التشبيه البليغ او الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي مر رده

ومن اوائل الكتاب ما للبلغاء في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه
به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في صلوة التشهد كما صليت على
ابراهيم على احد الاجوبة وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك حيث
بين انه صلى الله عليه وسلم اعلى شانا في الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء
السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه نبه لها فاذا ما ضحا محا نوره الظل
وقد اثبت الظلال الضحاء فتبين ان المشبه قد يكون اعلى من المشبه به كان
شانه صلى الله عليه وسلم اذا ما لم يتكلم الجمال ابن هشام على هذه في المغني مع انها
في القرآن في غير موضع وتكلم على اذ ما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي
في عروس الافراح في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية اولا
قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيه قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف وقول المبرد وغيره
انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها ابعد عن التركيب
بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان
الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري فيه احكام اذا غير
الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل
الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس
الفجائية وجوابها اما فعلية كما هنا او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية
نحو اذا هم يستبشرون او فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السابق

المقام

او المقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على ان ما في جوابها
من فعل او شبهه ولا تخرج من الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى
اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت الواقعة بناء على نصب
خافضة رافعة ان اذ الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا
ليس ومعمولاها نعم قد تخرج عن الاستقبال فترده للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضي
نحو واذا رأوا تجارة الاية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية
نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لهم المبتدا وزعم انه جوابها بتقدير
فهم غفلة على ان حذف الفاء ضرورة وان هم تاكيد لواو يغفرون الذي هو
جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل للاستمرار
الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق دون موضوع
اذا ويفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع
كما هنا في اذا ما وان للمشكوك او الموهوم النادر ولا يرد نحو ولئن متم لان
الموت لكثرة الغفلة عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس
الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لا بد ان يمسهم شيء من العذاب
ضحا اي مشى عقب طلوع الشمس وهذا التقييد لجري به اذ محو نوره الظل
يكون في هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت اظهر لقوة ضياء الشمس

وضحو نور هاج محا نوره وبين هذا والضحا التجنيس اللاحق وهذا والضحاء التجنيس
الاشتقاق الظل مفعول الى ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان
نوره صلى الله عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل والمراد بالظل
كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة
والعلوم والاداب لكن المراد بمحا على هذا مطلق ظهوره في هذا الكون باوصافه
الكاملة و الحال انه قد اثبت اظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس او بنسخها هو
واخص منه الفيء لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس وقبل ما تنسخه
فهو فيء وظل وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا فيء الضحاء اى ارتفاع الشمس ومدة
لظهوره فنبينا صلى الله عليه وسلم اكمل من الشمس رفعة وضوء لان نورها
يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصائصه صلى الله
عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله
تعالى استجاب له دعائه المشهور ان يجعله كله نورا فكان بدنه في غاية الاضائة
التي لا تحجب ما يقابلها او قيل مد الضحا لضرورة النظم انتهى وفيه نظر بل الذي في القاموس
ان الممدود ما قرب من انتصاف الشمس النهار بل كما مر ثم ذكر ان المقصور الشمس وح
ان اريد بالضحاء الشمس كان مده ضرورة او قرب انتصاف النهار كان مده
صحيحا لا ضرورة فيه لك ان تستشكل التركيب قوله شمس فضل آه
بان حكمه عليه بان شمس الفضل يغني عن قوله تحقق الظن فيه اه لانه

اذا ثبت اولا انه شمس الفضل الذي هو اسم لكل كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه الضياء
فقوله تحقق الظن اه لا حاجة اليه وجوابه ما اشرت اليه في حله من ان جملة
تحقق الظن فيه اه حال مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد اليه صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوفان على مجرد بحذف حرف العاطف او مقدر
لكل مبتدأ استينافا فالتعداد شمائله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل
كامل في ذاته لتضمنه لبقيته كما مر في شرح قوله كل وصف له ابتدأت الخ ولما ورد
على ظاهر ما قرره نظرا للاحتمال الثاني من ان نوره يمحو كل ظل ما سبق له صلى الله
عليه وسلم ان الغمامة كانت تظلله بان يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة ظللته
فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه الضياء الاعظم من ضياء الشمس
فلا يؤثر فيه اشار الجواب ذلك لكن بما قد يقصر عنه ببادي الرأي فقال
فكان الغمامة استودعته من اظلت من ظلاله الدفاء
فبسبب محو نوره الظل الحسي على ما مر صار رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الظل المعنوي الاعظم على جميع اتباعه حتى كان الغمامة لما اظلته قبل
النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته بانها استودعته
الامة باسرها لكن اصحابه بلا واسطة وهم الدفاء ومن بعدهم بواسطة
استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم
من اى الذين اظلت هم من بعض ظله الاعظم الدفاء جمع داف كعلماء

جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه
لدفعه واستيصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة كان
لحكمتين احديهما الارهاص كما تقرر وثانيتهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول
اليه امره من ان الله سيجعل له امة اكثر الامم وانهم قرون منفا ونون وان كل
قرن منهم من القرن الذي قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله فسائر
القرون مستمدون من الصحابة واصحابه مستمدون وممدون من ظله وح فلا
تنافي بين محو ظله لنوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له لان المحو
هو الاصل المستمر والبقاء على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احديهما الارهاص
والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي على الامة من اولهم الى اخرهم فتامل
ذلك فانه مهم بل التعلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت
في بعض النسخ وانه غير مفهوم المعنى وسبب انغلاقه عليه جعله الضمير للمفعول
في استودعته الظل لا ابقاء بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا
الدفقاء الطيور ويكون في البيت التلميح الى قصة هي ان الطيور كانت تظل الانبياء
قبله كداود وسليمان بل بني اسرائيل وظللنا عليهم الغمام وح فكانه يقول الغمامة
لما اظلته استودعت الظل للانبياء الذين ظللتهم الطيور من ظله لانا نقول
هذا المعنى لا يطابق اللفظ ولئن سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فورن
دفقاء فعلاء وهو انما يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط

اخر

اخرى ولما دل على سجية حمد او ذم بشروط اخرى كشجاع وشجعاء وصليح وصلحاء وشاعر
وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم انه لا يصح حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا
لصفة عاقل مذكر او سجية حمد او ذم بشرطهما على ان الذي سمع في الطيور
دفوف في العقاب وفعلا لا يجمع عليه اصلا ودافي فيما يطير بجناحيه ولا يصف
وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم
انه وصف له هو غير عاقل فان قلت المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استودعت
الظل الطيور التي اظلت الانبياء من ظله فهلا يحمل النظم عليه قلت يعارضه
ما تقرر في قاعدة جمع فعلاء وبتسليمه بجواز في الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى
بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة انه احتاج لتظليل
الغمامة لتقيه حر الشمس فينافي ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين قلت
ما افهم كلامه ثم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو
كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم
عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت لعله هذا من ضرورة الجبلة
البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا
فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الى ان السنة للمحرم ان
يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى انه لا يسن البروز للشمس هنالك اذكره
وعليه فلا اشكال اصلا ومرت قصة تظليل الغمام ورواياتها في شرح قوله

فاناها ان الغمامة والسرح اظلته منها افياء واذا نفوران كل فضل مستمد من
فضله وان نوره يمحو الظل على ما سبق في معناه علم انه قد خفيت عنده
الفضائل والعجائب به عن عقولنا الاهواء ٢ خفيت عنده اى في
جنب ما اوتيه الفضائل التى اوتيها غيره من الانس والملائكة والجن وانه
قد العجائب اى الكشف به اى بسبب ما اوتيه فينا من علومه وادابه
واخلاقه عن عقولنا معترامة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا
غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل اشار
اليه في القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء حسنها وقبحها وكمالها
ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون
التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات يستتب
بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه والحق انه
نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجودها
عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهت الاهواء اى
الضلالات والنقائص فلم تقع في ورطة شيء منها كما وقع فيها من اعرض عن
الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفا وكشف الهوى على افاده الاستفهام
الانكاري فقال على طريق اللف والنشر المرتب امع الصبح للنجوم تجل ام ٥
مع الشمس للظلام بقاء ١ ايوجد مع الصبح للنجوم تجل ام يوجد مع الشمس

للظلام

للظلام بقاء اى انما خفيت عنده الفضائل لانه الفجر الصادق وغيره من الكمل
كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا
الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى
مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل
بينها وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والظلام والشمس تجنيس
التقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما انفرد بما تعلق بقوله شمس فضل على ما بعده الى هنا
لانه مناسب له عطف بحذف حرفه واستانف نظرا ما مر فقال معجز القول والفعال
كريم ٥ الخلق والخلق مقسط معطاء ٣ معجز القول لان الله تعالى امتن عليه
بجوامع الكلم التى اوتيها دون الغير ومن ثمة قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن
وكان الناظم اعتمد هذا القول حيث جرى على ما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق
مذهب الاكثرين ان كلامه غير معجز ومعجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا
مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذى اوجد فيه ذلك
الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى رتبة وارث الحضرة الالهية التى لا يدخل اليها
احد الا باذنه كريم الخلق كما يعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله فتنزه في ذاته الخ
وكريم الخلق بضم اوله كما مر مبسوطا في شرح قوله وما سوى خلقه النسيم وبين
القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف في الثاني مقسط
اى عادل في احكامه واقواله وافعاله فلا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل باطنا

وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم احواله حتى اعدائه ومناويه الا ترى ان قريشا لما بنوا
الكعبة والنبي معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه في
محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا
الامين فحكموه فامر بوضعه في ثوب وامر رئيس كل قبيلة ان يمسك بطرف الثوب ثم
يرفعوه ففعلوا الى ان بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في محله
وصح ان رجلا قال وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة
من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يواخذ احدا بقول احد
ولا يصدق احدا في احد معطاء اي كثير العطاء الذي يعجز عن ادناه الملوك فقد صح
عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس ونص
على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها امهات
الاخلاق اذ في كل انسان ثلث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها
الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح انه ابضا ما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال وا اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان
بن امية يوم حنين حتى اسلم مائة غنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل
صلى الله عليه وسلم من شيء قط فقال لا اي لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسؤل

وساغ

وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت كما في حديث
مرسل فخ لا ينافي الحديث الاية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو لا يقولها منعا
للعطاء بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفي حديث الترمذي
انه حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال السائل
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاء شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر
فكره منه ذلك فقال الانصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وقوم
ما اعطاه يوم حنين وكان خمسمائة الف الف قبل هذا غاية الجود الذي ما سمع لاحد
مثله وصح انه اتي بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله
عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان مائة الف فخرج للصلوة فلم يلتفت اليه ثم بعدها
جلس اليه ففرقه ومع هذا الجود الواسع الذائع كان صلى الله عليه وسلم يعيش
عيش الفقراء ويأتي عليه الشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه
الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة في خادم يكفيها مؤنة بيتها
فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والحمد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة
تطوي بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف
الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب
على كل من عرف ذلك ان يقول الحق لم يعرفه حق معرفته لا تقس بالنبي

في الفضل خلقا ه فهو البحر والانام اضاء لا تقس من قست
الشيء بغيره قدرته على مثاله اي لا اشبه بالنبي الموصوف بما ذكر وهو نبينا
صلى الله عليه وسلم في الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها
على حدته لان كل وصف من اوصافه وصل فيه الى الغاية لم يلحقه مخلوق فيها خلقا
نبيا او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف
كماله لما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك اه فهو لا غيره البحر الجامع
لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية فيه والانام هو كما في القاموس كسحاب
والانام والابيم كامير الخلق او الجن والانس او جميع ما في وجه الارض انتهى والمراد
هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين اضاء بالكسر والمد جمع اضاة كقضاة وهي
الغدير وجمع ابضا على اضا كقنا وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير
وكيف لا وكل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء
كل فضل وجد في العالمين للانس والملائكة والجن فهو كائن من
فضل ذلك النبي الاكرم عاريته من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق استعاره حال من
ضمير الظرف المستقر الفضلاء لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة الالهية والممد
منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منه الا بواسطة فلا يصل منها لكامل شيء
الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه



الشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها انما هي مستمدة من نور الشمس فاذا
غابت ظهرت انوارها فهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا مظهرين فضله
وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع الا ترى ان ظهور خلافة ادم واحاطته
بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت
الخلائف الى زمن بروز جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى
تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبياء فلم يعط احد منهم كرامة وفضيلة
الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها كما سبره الائمة وحرروه ومنه ان ادم لما اعطي
خلق الله بيده اعطي نبينا انه شق صدره وملاءه ذلك الخلق النبوي فتولى من
ادم الخلق الجسمي ومن نبينا الخلق النبوي الذي كان هو المقصود من خلق ادم
ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا للنور محمد الذي في جبهة ادم كما قاله الفخر الرازي
وادريس لما اعطي المكان العلي اعطي نبينا المعراج الافخم الاعظم ونوح لما نجي هو
وقومه اعطي نبينا ان الله لم يهلك امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي
انه اعطي مكان السفينة انه دعا حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه
وشهد له بالرسالة وابراهيم لما نجي من النار نجي نبينا من نار الحرب قال الله تعالى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروى النسائي انه احرق جلد طفل كله فمسحه
صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطي مقام الخلة اعطي نبينا ذلك وزاد مقام
المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسأل في الشفاعة

العظمى انما كنت خليلاً من وراء وراء ولما اعطى بناء الكعبة اعطى نبينا وضع الحجر الذى هو روحها فى محله لما بنته قريش ولما اعطى موسى قلب العصا حية اعطى نبينا حنين الجذع الذى هو ابهر واغرب وذكر الرازى وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فرأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التى بياضها يغشى البصر اعطى نبينا انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير بليلة فخرجا وبيد كل عصا فاضاءت لهما عصى احدهما فمشيا فى ضوئها فلما افترقا اضاءت عصا الاخر صححه الحاكم واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فاضاءت اصابع حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى تنير وانفلاق البحر اعطى نبينا انشقاق القمر الذى هو ابهر لانه تصرف فى العالم العلوى على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف وبحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلاقه لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجر الماء من الحجر اعطى نبينا تفجره من بين اصابعه وهو ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء والكلام اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان بين جبل الطور الذى نوجى موسى عليه السلام وما فوق العرش الذى نوجى نبينا عليه وهارون الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها واظهر على انها فى العبرانية والعربية افصح منها ومن ثمة لم يكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة

نبينا

نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتمل عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحد به الا نبينا صلى الله عليه وسلم ولقد قال له بعض اصحابه ما رأينا الذى هو افصح منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى بلسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن وتأويل الرؤيا اعطى نبينا الحسن كله كما فى الحديث وعبر عن المرائى فوقعت كما عبر مما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف انما كان فى ثلث مرائى كما فى سورته وداود تليين الحديد اعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة ام معبد درت ببركة يديه ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح فى كفه الحصا وكلمه ذراع الشاة والظبى وشكا اليه البعير والريح التى غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف تحمله من الفرش الى العرش فى لحظة واحدة واقل مسافة ذلك سبعة الاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح سخرت لسليمان تحمله الى نواحى الارض وبينا ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اى جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من تسع الى الارض ومن تسع له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه فى صلوته فاراد ان يربطه بسارية وسخر له الجن حتى اسلموا ولم يسخروا لسليمان الا فى العمل وعد الطير من جنوده اعجب منها ومنه حمامة الغار وعنكبوته

بل هذا اعجب لان فيه لحمايته عن العدو والكثير بالشيء القليل وعيسى ابراء الاكمه
والابرص واحياء الموتى اعطي نبينا رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت
احسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم مسح ابرص فشفيت والبيهقي ان
رجلا قال لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصى
وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس من يتكلم وبالجملة فقد اوتي
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه المد لهم دائما
وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعارة لوصفهم بالفضل اي هم مع كونهم
فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه
الاصالة والاستقلال بل على وجه الاستعارة المتحققة الرد اذا اراده المعير ولم لا يكون
كذلك وقد **شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط**
جزا شق عن صدره وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لان شق
صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة
في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه
وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه
نفيس **وشق له** اي لاجله **القمر** [البدر خ] اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين
لما كذب به كفار مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه اية يريها اياهم تدل على صدقه
وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسأله ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن

وتواترت

١٢٣

وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون
واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما
يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من
امهات معجزاته لا يكاد يعدل بها شيء من ايات الانبياء لظهوره في ملكوت السموات
خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطباع فلم يطمع احد في الوصول
اليه بحيلة وفي روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم
حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من ائمة الحديث لم يجزم بذلك وبان
قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات او فلقتين كما في الاخرى وفي روايات ان
فرقة كانت فوق جبل حراء واخرى كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكة المراد منها
ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم
كان بمكة ليلتئذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة
على هذا الجبل وفي روايات انه قال اللهم اشهد وقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان
يسألوا السفار فجاءوا من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع
محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة
ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم
ونقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به واما قول بعض
الملاحدة لو وقع هذا النقل لتواتر واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص

بها اهل مكة لو توفر الدواعي على نقل العجائب فهو من تهوره لان ما قاله انما
يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس
الا الفذ قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره يوجه على ان الاجماع
الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا
الملحد لم يسمع بما هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون اهل
قطر اخر وما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل
لا اصل له تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر
ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق
القمر وسمي بذلك لانه (كانه ظ) يبادر الشمس بالطلوع كانه (وظ) يعجلها المغيب قبل التمامه (تمامه ظ)
ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة
لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر علي بالصهبا قريب خيبر حين غابت
ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله
فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طعن
في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق وقول اسما
في الرواية الصحيحة فرايت الشمس طلعت بعدما غربت حتى وقعت على الجبال
وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها انما وقفت

ولم

ولم ترد ولزعم ان حركتها انما بطئت فقط وفي رواية سندها حسن امر صلى الله
عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة من نهار ومر انها ردت عليه بعد الاسراء
لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا
ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان
تغيب قبل ان يفرغ منهم فيدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه
الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على الاصح بناء على ان كثيرين او الاكثرين
من الاصوليين على ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروي حبسها يوم الخندق
حين شغل عن صلوة العصر وذكر البغوي في تفسيره ردها على انها حبست
لسليمان عليه السلام ورد بان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين
شق وشق الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله
تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في
الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة والاخر
مجازا بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة
الواحدة فاطلاق الساعة على القيمة مجاز وعلى الاخر حقيقة وذلك يخرج الكلام
عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا تعني بليدا انتهى فان قلت
هذا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما
حقيقة وفي الاخر مجاز قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام

الجمادية غير شق الاجرام الجيوانية من حيث الصورة والالة وايضا فشق القمر شق
جرمه كله وشق الصدر ازالة غشاية لا غير وكفى بهذا الاختلاف فاتم المبادر من كل منهما
انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القران من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك
عليه شيخ الاسلام ابن حجر باية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فانه استعمل
الابصار اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال الابصار
في البصائر مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية
وعلى كل فاقول في القران اية اخرى اظهر من تلك وهي يلوون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور في
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التورية والانجيل والخامس الجنس
الشامل لكتب الله كلها اي ما هو من شيء من كتب الله فان قلت هذا اعم من
الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا حقيقة كما مر جوابه
وعلى التنزل ان هذا التغاير لا يكفي هنا فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين
فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم يعدوا منه ان النفس بالنفس الخ
قلت كانه يكون هنا مميز يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة على المقابلة
فتامله فان قلت لم اكتفي في التورية بكون احدهما مجازا الا هنا قلت لوضوح
الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك
الجناس التام فلم يكف فيه كون احدهما مجازا ومن ثم اقر بعض المحققين

شرط

شرط كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال الابدان يكون كل حقيقة في الشرع
او العرف او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا
لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويؤيده
اطباقهم على ان الاية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا
شيء واحد وانما الاختلاف من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيمة
حقيقة شرعية وهذا الثاني اقرب ومما يؤيد اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من
لفظ غالبا او دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم
وجود التام التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولنا ان ناخذ من
قولهم ليس في القران جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس
الذين قال لهم الناس ان الناس الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام
ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على تغاير معنى اللفظ المتحد وهو متجه
لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية
على السامع ما امكن نظير التورية ولم ار لاحد من اهل البديع في هذا المبحث
ما يشفي فتامله فان قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق
الشقين دون موضوعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم
الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذ انما قصدت
صورتهما و انما شق له الصدر لانه شق عن صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر واخرج

على ذلك اذ من شرط كل شرط وقع في البدن لغرض مقصد ان يكون له جزاء

من برء من مرض او غيره فكذا هنا لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة

وبما حصل له من الخوف والتألم جوزي على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة هو

شق القمر الذي هو اظهر معجزاته وابهرها بعد القرآن وفي كلامه الجناس التام بين شرط

وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقتان ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثاني

حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح

كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيه

التورية او حقيقة ايضا لكنه ابعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية

ومر الكلام فيهما مستوفى اذ الشرط المراد به في الاول ما علق بحصوله حصول شيء اخر

يسمى جزاء وفي الثاني شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية ايضا اذ هو يطلق على الجزاء النحوي

والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته بما صنع جزاء

ومجازاة ورمى بالحصى فاقصد جيشا ما العصى عنده وما

الالقاء ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين

رمى اعداءه بالحصى فاقصد اي اصاب فاهلك ففي القاموس اقصد السهم

اصاب فقتل مكانه جيشا عظيما كانوا البوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون

احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه

وسلم كفا من الحصى فرمى في وجوههم وقال شاهت الوجوه اي قبحت فانهزمت

١٢٦

فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا

فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم قال عبد

الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال

هذا يوم بدر اخذ ثلث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة

القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولذلك روى غير واحد انها

نزلت في رميه يوم بدر وان كان رمى في غيره ولاهل الجبر في هذه الاية غلط لا ينبغي

بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه واضافته

الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا الا لزمهم

ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما في الاية ان تلك الرمية من البشر لما لم يبلغ المبلغ

كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته

وهو الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذي

هو نهايته ونظير هذا في الاية بعينها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبرهم الله

تعالى انه المتفرد بالتأثير وان غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس قبل ورماهم

بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت

القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم

الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح فرمتهم بالحصا وسفت

عليهم التراب واقلعت اوتاد خيامهم فسقطت عليهم وكفأت قدورهم

وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا خائبين ومن
ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى الجمعان
يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله في السواد والكثرة فحملوا
حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس
قليلون من اهل بيته العباس وابي سفيان بن الحارث وعلي والفضل واصحابه
ابي بكر وعمر واخرين وامر صلى الله عليه وسلم ان ينادى في الناس ليرجعوا
فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل حنت على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك
فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور
يخبز فيه اي اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم
حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله
منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب
والجمع انه يحتمل انه رمى بكل مرة وانها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي رواية
عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله
ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت (عيناه وفمه بدل) اعينهم ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود
فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب
وجوههم فامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم

كانها

كانها الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه
وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم ان لك ان تقول
لمن قال لك ان القاء موسى عصاه والسحرة حبالهم وعصيهم يعادل الرمي بالحصى
لا تقل ذلك **ما** استفهام انكاري **العصا** التي القاها موسى على حبال سحرة فرعون
وعصيهم حتى ابتلعت ذلك **عنده** اي الحصى المرمي **وما الالقاء** لتلك العصا
على تلك الحبال والعصي الذي فعله سحرة فرعون اي لا ينقاس معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم في القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه السلام في القاء عصاه على ما ذكر لان
معجزة نبينا اظهر وابهر اذ القاء موسى لعصاه حاكى بالقاء السحرة لحبالهم وعصيهم
ومعجزة نبينا لم يحاك قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذي
هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصا
ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انهم مع ذلك لم يقهر العدو ولا شتت
شملهم بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى وقومه وجانس بين الحصا
والعصا وتفنن بين رمى والالقاء **تنبيه** اكثر معجزات بني اسرائيل
كانت حسية لبلادتهم وعمى بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط
ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات
الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو الابصار كما قال
صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري ما من الانبياء نبي الا اعطي ما مثله

امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا وفي معناه قولان غرضنا فيهن اذ يرجع حاصلها الى ان المراد ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر
الى يوم القيمة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شيء اخبرنا بانه سيكون فكان من يتبعه
لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول وَدَعَى لِلْأَنَامِ إِذْ
دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ ومن معجزاته ايضا انه دعى
للانام مر تفسيره لكن المراد به هنا غيره ثمة اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم
اذ اي وقت او لاجل ان دهمتهم اي غشيتهم سنة من اجل محولها
متعلق بما بعده اي شدة جدبها وقحطها شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر والسنة
زمن الجدب والمحل والمطلق الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد وعلى الثاني
تاسيس وسبب دعائه ما في الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده
صلى الله عليه وسلم فقام اعرابي وهو يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلك
المال وضاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس في السماء قطعة سحاب فما وضعها
حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام
ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه
فقال اللهم حوالينا ولا علينا ففعل وخرجوا يمشون في الشمس وسال وادي قناة شهرا

ولم يجيء احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير
فَاسْتَهَلَّتْ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ
فبسبب دعائه استهلت بالغيث اي صبت المطر بشدة سبعة ايام
كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى فالغى الكسر عليهم
سحابة فاعل استهلت وطفاء اي مسترخية الجوانب لكثرة مائها
حال كونها تتحرى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توهى
السقاء تتحرى اي تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز نظير ما يأتي
في جدار يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعي اي الكلا
الذي يرعى و موضع السقي التي يجمع فيها الماء لتشرب منه البهائم وفي
الرعي والسقي مراعاة النظير والسقي والسقاء تجنيس شبه الاشتقاق و تتحرى ايضا
حيث العطاش اي مواضعهم التي توهى بالبناء للمفعول اي تخرق السقاء
منهم فيها اي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة
المعطشة التي تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها
وهذا اظهر واولى مما سلكه الشارح كما يعرف من تأملها لا اهمال مواضع السقي تشمل
مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن السقي بالرعي
تصرفه الى سقي البهائم فاحتاج في افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش
ايضا قال الشارح ايضا وفي قوله حيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم

خل ببيل من وهي سقاؤه ومن هريق في الفلاة ماؤه يضرب لمن لا يستقيم امره

فضرب به المثل هنا في المحل والجدب انتهى ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن

فيه الا ان يتكلف طالتقرير ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم

ذلك الغيث لجميع الاماكن وانى الناس يشكون اذاها ه ورخاء يوذى

الانام غلاء ولما استمرت عليهم وكادت ان تهلكهم انى الناس اليه صلى الله

عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سألوه ان يدعو ابها يشكون اذاها اى تلك السحابة

اى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع

ان الشاكى واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال فلذا اسنده الى كلهم

ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد

كما هنا ورخاء اى سعة من المطر يوذى الانام غلاء اى شدة عظيمة واصله

ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء

جناس التضاد فدعى فانجلى الغمام فقل فى وصف غيث اقلاعه

استسقاء فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقصد منه حيوة النفس انتقل الى ضده وهو

الهلاك بها دعى صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشف عنهم فانجلى الغمام اى السحاب

عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه

الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب فى وصف غيث اقلاعه اى

انكشافه استسقاء اى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما

يكون

يكون لطلب وجوده لا الطلب رفعه وبهذا يندفع قول الشارح الاحسن ان الاستسقاء

بمعنى السقى لانه يلزم فوات هذه النكتة التى هى سبب التعجب ثم اثرى الثرى فقرت

عيون بقراها واحييت احياء ثم بعد ذلك الغيث الواسع

النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اثرى الثرى اى كثر المطر الواقع عليه حتى

كثرت فوائد التراب لكثرته انبائه الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال من اثرى

الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة قرت اى فرحت واطمأنت من اقر الله

عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه عيون لاهل المدينة بسبب

ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة قراها اى

العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها واحييت بعد ما حصل

لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من احياه الله فحيى بالفك وحى بالادغام

وهو الاكثر احياء جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها وفيه

تجنيس الاشتقاق فى اثرى الثرى وقرت قراها واحييت احياء فترى

الارض غبة كسماء ه اشرقت من نجومها الظلماء فترى

انت لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبة اى عقب ذلك الغيث المتولد

عنه ما يدهش الابصار من النبات والزهور كسماء حال ان جعلت رأى

بصرية وهو الظاهر او مفعول ثان ان جعلت علمية اشرقت اى زالت عنها من

اجل نجومها الظلماء ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما

حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السماء
والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء والاشراق والظلمة الطباق وتراها ايضا
يخجل الدر واليواقيت من نور رباها البيضاء والحمراء
يخجل اى يخبرون وتدهش الدر اللؤلؤ واليواقيت وهى فارسى معرب واسناد
الخجل اليها مجازا او على حذف مضاف اى اهلها يعنى ان من بايديهم تلك الجواهر لشاهدونها
ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤيته تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة
من نور بفتح النون اى زهر وهو بيان لفاعل يخجل الاتى رباها بضم الراء المحال المرتفعة
منها وخصت لان ما بها انضر وابهر من بقيتها البيضاء راجع للدر والحمراء
راجع لليواقيت اى يخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف
والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى
التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد القصة المذكورة التى كانت
بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الاظهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة على
ما ورد ان قريشا لما ابطأوا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم بالقحط
فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جاءه ابو سفيان فقال
يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث
واطبق عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسال الله رفعه ولما ذكر من صفاته
صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم

تمنى

تمنى ذلك فقال ليته خصنى برؤية وجهه زال عن كل من راه
الشقاء ليته هو للتمنى ما لا طمع فى حصوله او ما فيه عسر خصنى برؤيته وجه
اى ليتنى ادركت زمنه لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع من جاء بعدهم
عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من
هو افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل امتى
مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم
لمثلكم او خير ثلاثا وفى حديث ابى داود والترمذى يأتى ايام للعامل فيهن اجر خمسين
قيل منهم او منا قال منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية الصحابة
فلما علمها صرح بها بقوله لو انفق احدكم ملء الارض ذهبا لم يبلغ مد احدهم ولا
نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان او فيه يحتمل ذلك ايضا
وعن الثالث بانهم رجحوا ان مجرد زيادة الثواب لا تقتضى الافضلية على
ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثمة لما سئل ابن المبارك عن عمر بن
عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما ايهما افضل قال الغبار الذى دخل فى انف
فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل ابن عبد العزيز
واشار بعضهم الى ان الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من زاد
على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع فيه او ليتنى اراه فى الموقف وعلى الحوض وفى
الجنة شافعا نافعا او ليتنى اراه فى النوم لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث

الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه به وبان
من رآه فقد رآه في اليقظة اي كان رآه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به فهو
وان امكن من التصور باي صورة اراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه
وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤي بصورته التي كان عليها وقال بعضهم ان رؤي بصفته
التي قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس ما
يفهمه وفي حديث ضعيف اني ارى في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى حقيقة
ولو على غير صفته قال ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا
او بصورة كاملة حسنة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من
رآني فيراني في اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته على صفة موجبة لرؤيته في الآخرة
على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي
في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما في
رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور وغيره او ينبني اراه في يقظتي
بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي حمزة والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة
من التابعين ومن بعدهم انهم رآه في المنام فرآه بعد ذلك في اليقظة وسألوه
عن اشياء غيبية فاخبرهم بها فكانت كما اخبر قال ابن ابي حمزة وهذا من جملة كرامات
الاولياء فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان ارباب
القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا

يقتبسون

يقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسن الاهدلي وقوعها للاولياء تواترت باجناسها
الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه اخبارهم لم يبق فيه
شبهة ثم اخذ يبطل ذلك ويفسده ويعظم النكير على مجوزه بما لا حجة فيه ومما يبطل جميع
ما تمسك به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه
لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من اكرم برؤيته ان يكرم
بازالة الحجب بينه وبينه فهو مع كونه صلى الله عليه وسلم في قبره يراه الاولياء في اليقظة
في قبره ويجاذبونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم
من وقوع ذلك لهم على جهة الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته
صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهو الامر كذلك
بالاولى فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة انتهى
ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو الذي
حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث
القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه
وسلم يقظة بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين
ما عددت نفسي مسلما والقطب علي ابن القطب محمد بن ابي الوفا وهما من جملة
المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة
الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لا سيما عند

قبره والدعاء بالضراعة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظم منسوبا لهؤلاء الواقعة
لهم الرؤية يقظة يقرب انه سأل في وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ
والدي الشمس محمد بن ابي الحمائل يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع
له انه يسأل في الشيء فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل رأسه
في جيب قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما اخبر لا
يتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الموحي **تنبيه** ما ذكرته
من المعنى الاول والثاني بعيد اذ لا يناسبه لفظ خصني بل ولا معناه لان الذي
تمناه رؤيته في منامه ليكون اصحابه او في الموقف والجنة وكل مسلم يتمنى ذلك
فالمتمنى امر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث قريب يناسبه لفظ خصني
ومعناه اي ليته خصني فيما مضى برؤيتي له في النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه
صحيح وكذا الخصوصية لان مرأى الناس له في النوم متعددة الانواع والدلالات
فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية مختصة به دون غيره باعتبار ما تدل عليه من
اللحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفعولا بالنسبة لاكثر الاولياء والعلماء
لان ذلك لا يمنع ان يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد ولحظ ما لم يحصل
لغيره ومن المعنى الرابع قريب ايضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ فيتجه ان احسن
هذه الاحتمالات الذي لا نزاع فيه هو الثالث **تنبيه** اخر من المقرر عند
المحققين ان الباء للاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور وكقصره

عليه

عليه فهي هنا داخلة على الاول على كل من الثالث والرابع واما على الاولين فخصني فيهما
بمعنى اعطاني والماضي قد يستعمل مرادا به الاستقبال ايضا **تنبيه** اخر ما تقرر من ان
خص وما اخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد في نحو خصه بكذا قصره عليه فصر قلب
نادره وافرادا اخرى هو المشهور ايضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفي
القاموس خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيصى ويمد
وخصيته وتخصيته فضله وخصه بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم
ولا يتوهم منه ان الاختصاص غير الحصر لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده
قوله التخصيص ضد التعميم المصرح في ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل
ذلك كله فانه نفيس مهم **زال** اي تحول فزال هنا تامة لا ناقصة **عن كل من
رآه** مومنا في حيوته او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك لا يقع الا للاكابر الاولياء
او في النوم على صفته التي كان عليها المأمر ان ذلك يدل على الجزم رؤيته الخصوصة في
الاخرة **الشقاء** اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول كما يشهد
له الكتاب والسنة نحو اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما
يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتشمل من وصمته وجاه بجعله
من احبته ببركة طول نظره لنبيه صلى الله عليهم وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم
وزوال الشقاء عن كل من رآه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات له ذاكرا مع كل ما
يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال **مسفر يلتقي الكتيبة بسام ما اذا**

اسهم الوجوه اللقاء مسفر ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه اى
مشرق نوره الذي يكاد يخطف بالابصار يلتقي ذلك الوجه ايضا الكتيبة
اى الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتب بنو فلان اذا اجتمعوا حال كونه بساما
اى متبسما يفتر عن مثل سنا البرق او عن مثل حب الغمام اذا اسهم اى غير
من سهم نفخ عينه او ضمها وجهه اذا احمر وتغير الوجوه اللقاء للعدو فهو في
الحالات التي فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة والثبات
والتبسم لعظم ما اتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الى ادناها وقد صح كما مر عن انس
انه كان اشجع الناس وان صياحا وقع بالمدينة فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد
فلم ير شيئا فلما رجع راى الناس خارجين يخرجون فقال لن تراعوا اى روعا عن حقيقة
ما رأينا من شيء وصح انه صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شانك
لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة
لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه في غزوة حنين
لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح
للكر ولا للفر وهو مع ذلك يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه
قائلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثمة قال
الصحابة رضي الله عنهم كنا اذا احمر الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
اى جعلناه امامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية الى ان من

قال

قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقصه اذ
لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه
بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة انتهى
وقياس مذهبنا خلافا لمن غلط فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كان كفرا والا فلا
واذا قلنا بكفره فذهب بعض ائمتنا الى انه لا يقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد
قبولها منه جعلت مسجدا له الارض فاهتز به للصلوة فيها حراء
جعلت مسجدا له اى لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له الارض
كلها كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل الحديث والمراد بقوله
مسجدا موضع سجود اى ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون
مجازا عن المكان المبني للصلوة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلوة في جميعها
كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا
لا طهورا لان عيسى عليه السلام كان يسيح فيها ولا يصلي حيث ادركته الصلوة وقيل
المراد ان الصلوة لم تبح الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت
لها في الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا في
اماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع لخبر المصرح بذلك وكان من قبلي انما

يصلون في كنائسهم ويوافقه رواية لم يكن أحد من الانبياء يصلون حتى يبلغ محرابه
وبهذين يرد الاحتجاج بقضية عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها الدلالة لهذين على خلافه
وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا وامته بخلاف عيسى فبسبب
هذا الجعل اهتز اي تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم للصلوة اي لاجلها
فيها اي الارض حراء بالكسر والمد وهو الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم
يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حرا
هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن
حرا فانما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر
عليا اخرجها مسلم واخرجه الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة
وقال اثبت حرا وفي رواية اهدأ حرا ورواه البخاري في احد بلفظ ان كان معه
ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت
احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي والترمذي في ثبير
وهو جبل مقابل الحرا انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فتحرك حتى ساقطت حجارته بالحضيض اي التي في قراره واسفله فركضه صلى الله
عليه وسلم برجله فقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وما
اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب
نقله الشارح البخاري ابن التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف

اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل
بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص
صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت
به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم
بمن فوقه وقوله اثبت الخ يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث
الصحيحة التي منها احد يحبنا ونحبه ان احدا اودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة
له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه
صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة
كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه
اولا هزة الطرب واخرا سكون الحياء والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة
لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما
عليه من المقامات الثلاثة السابقة يقتضي هزة الجمال واللقاء المنبئين عن غاية
الفرح والسرور قال الطيبي وغيره واختلاف الروايات محمول على انها قصص تكررت
وهو واضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني
بعد ما توقف فيه بان الذي معه بحرا ازيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه
التعليل في قول الناظم للصلوة فيها قلت كانه يشير الى ان الله تعالى لما قطع بينه الارض
وجعلها كلها مسجدا له وشرفها بصلوته فيها دخل في ذلك جبالها فاذا صعد بعضها

تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلوة اللذين حصل بهما التجبيل كيفية الارض غاية الترفـ
فى تحركها اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت بعضهم جعل
ضميرفيها للجبل وجعل المراد بالصلوة صلوته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى فيه
قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان
الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه مظهر شجة
الجبين على البرء كما اظهر الهلال البراء مظهر ذلك الوجه الكريم
شجة الجبين اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفى التعبير به مسامحة
وتجوز لما يأتى ان الذى شج جبهته وفى رواية وجنته والجبين غيرها فالتعبير بالجبين
من مجاز المجاورة على البرء اى فيه او معه من برئ المريض بالكسر برء بالضم
وبرء يبرء بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابى سعيد
الخدرى ان عتبة بن ابى وقاص اخا سعد ابن ابى وقاص وسعد بن ابى وقاص
اول من رمى بسهم فى سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم احد
ويقول له ارم فداك ابى وامى قال فلم يجمع ابويه لغيره وكان يفتخر به ويقول هذا سعد
خالى اى لانه زهرى فليرنى امرء خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان
عبد الله بن هشام الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت
حلقتان من المغفرة فيها ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة وفى رواية وهشموا البيضة

على راسه ورموه بالحجارة حتى رموه الشقة فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله
بن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا
ابن قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اقماك الله فسلط
الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذى والنسائى
عن انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على
وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفى
مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة
وقاه الله شركلها كما مصدرية اظهر الهلال البراء بفتح الموحدة وهو اول الليلة من الشهر
اى ان وجهه المكرم اظهر اثار تلك الشجة مع برؤها ظهورا واضحا ليس فيه ادنى
شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوى عنهم
ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظم البصر عليها حتى يقتدى به فى ذلك
وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها
صارت بعد البراء كالهلال فى وجهه بل احسن من الهلال كما قال ستر الحسن
منه بالحسن فاعجب لجماله الجمال وقاء ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى
منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال اصلى له الجمال العارض وفى هذا
كالذى قبله الجناس التام المماثل بناء على ما مر مع الكلام عليه فى شرح شئ عن

قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار
الاصلى والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من
اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدوا منه الذين قال لهم الناس ان الناس
ان النفس بالنفس الخ نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث
لا قرينة تميزه كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة تمنع التجنيس
فلو عبر الشارح بيحتمل او نحوه لسلم من الجزم بما لا مهم كالصريح في رده وفي البراعة والبراعة
الجناس المطرف وفاء وسبب ذلك ان الله تعالى اعطى بنيه غاية الجمال التي لم يعطها
لمخلوق كامر بدليله في باطنه وظاهره ويكفيك شاهدًا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعل كله
نورا ولم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره
الباطنة ما صيرها كالهلال في وجهه وصار من ظاهره متوددا بما ظهر من حسن
باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنها وقاية لظاهرها وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك
شبهه بتشابيه يوضح ذلك ويكشفه فقال فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام
والعود شق عنه اللحاء فهو اي ما ظهر بالشجة من باطن بدنه الزكي
كالزهر اي نور النبات اذا لاح اي ظهر من سجف بفتح اوله وكسره
اي ستر الاكمام هو كالاكمة جمع كم بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر
الجلد و هو ايضا مثل العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشر
الشجر من لحوته الحوه قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين

ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ان يغشي العيون سنى
منه لسر حكته فيه ذكاء كاد ما ظهر بالشجة ان يغشي
بالغين المعجمة اظهر من المهملة وهي وما بعدها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها العيون
اي يغطي عليها سنى بالقصر اي ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم وفي نسخة بسر
فيه اي في ذلك الباطن الذي ظهر فصيره كله ضياء اعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان
اصل ذلك السر الاكماله حكته اي شابهته ذكاء بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول
ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنى من مراعاة النظير وبما تقرر علم ان من اسباب تشبيهه بتلك
الشجة ما اوتيه من الحسن الذي لم يؤته غيره ومن ثم صانه الحسن والسكينة
ان ه يظهر فيه اثارها الباساء صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف
و قد انضم اليه السكينة اي الوقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه بما يمتحن
به من المؤذيات التي لا يسكن عندها غيره ان يظهر فيه اثارها موضع الفاعل
المتقدم رتبة وهو الباساء اي الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة
الا غاية الطمانينة ونهاية الجمال كما مر فعلم انه لما اودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء
في حالة السراء كهو في حالة الباساء فلا تؤثر فيه الباساء البتة وتخال الوجوه
ان قابلته ه البستها الوانها الحرباء ه وتخال اي تظن انت
الوجوه ان قابلته اي عاينته وجهه وجواب ان محذوف للادلة ما قبله عليه خجلت
من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله حتى كان تلك الوجوه

عند ذلك التلون البستها الوانها ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء المشهورة

ومن شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة

المختلفة فاذا شمت بشره ونداه ؛ ازهلتك الانوار والانواء

فبسبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال والاحسان اذا شمت بالمعجمة من شمت

البرق نظرت الى سحابه بشره اى طلاقة وجهه ونداه اى جوده اذا اطلعت

الى مخائله ببصرك منتظرا اليه ازهلتك اى انستك ما انت بصدده الانوار الباهرة

التى تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه والانواء جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار

اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهى هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه

صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه اصله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر

والانواء للندى وفيها الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف

وهو ان يختم الكلام بما يناسب ابتداؤه فى المعنى نحو لا تدركه الابصار الاية فاللطيف

يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار وما غنى رؤية الوجه

المكرم وسننبعه باوصافه العلية اخذ فى غنى يقبل راحته الكريمة ووصفها باوصافه

الباهرة فقال او يقبل راحة كان لله ؛ وبالله اخذها

والعطاء او لمنه خص يقبل راحة اى يلتمى فى اليقظة او النوم نظر ما لكفه

التى كان لله اى لاجله ابتغاء لوجهه دون غرض اخر وبالله اى بسبب شهود

اعانته وقدرته اخذها والعطاء اسم مصدر بمعناه اى واعطاؤها البرانها عن كل

عرض

عرض بما فى الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها فى شىء منذ افاض الله عليها خوارق جوده الاعم

شهود سببه كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم تنفى باسها

الملوك وتحظى بالغنى من نوالك الفقراء تنفى بفتح التاءين اى تخاف

وتحذر باسها اى شدتها فى الحرب الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الى ان

اظفرها الله بجميعهم وكانت تحظى اى تفوز بالغنى الحسى والمعنوى من بعض نوالك

اى عطائها الفقراء لانه كان اجود الناس فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش

عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته يبذل

الاموال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه

او من يسلم باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والاعطاء والملوك والفقراء وتنفى

وتحظى التقابل لا تسل سيل جودها انما يكفيك من وكف سحبها

الانداء لا تسل اصله بالهمزة ثم خفف بحذفه كما قرئ به فى سال سائل سيل

هو الماء الكثير الجارى وبينها تجنيس التحريف والتصحيف جودها بفتح الجيم وهو المطر

الغزير اى لا تسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شىء لا يقدر

احد عن البشر قدره بل انما الذى ينبغى لك ان تسأل ما يكفيك وهو ان يصل

اليك من وكف اى قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل

على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى فمن وصلت اليه بلة من قطره منه كان سببا

لغناه فى الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها درت

الشاة حين مرت عليها ه فلها ثروة بها ونماء ٢ درت
الشاة اى ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد فقد
اللبن منها بالحلبة اذ لم يطرقها فحل قط ثروة اى كثرة اللبن بها اى بسبب
تلك الراحة الكريمة ونماء اى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله
عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة
فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على ام معبد عاتكة بنت
خالد الخزاعية وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا
ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت
عن الغنم لشدة الجوع فسألها هل بها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك والله
ما ضربها من فحل قط فقال اتأذنين ان احلبها قالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها
فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع
الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة
اخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن
اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الماء اثمر النخل فى عام ٥
بها سبحت بها الحصباء ٦ نبع الماء بها اى بسببها وعدل الهاء عن نعم المناوى
ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول فقال القرطبى قصة نبع الماء
من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد

عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع
بمثل هذه المعجزة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء بين عظمه وعصبه ولحمه
ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى رضى الله عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بعزب
موسى صلى الله عليه وسلم لان الحجر يولف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن
ما فى الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا الصلوة العصر فلم يجدوا الماء فاتى صلى الله
عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضأوا
كلهم زاد البخارى كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه ومن اطراف
ابهامه وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه
فطلب فضلة ماء فاتى بها فصبها فى صحفة ثم وضع راحته فيها فتخللت بين اصابعه
فرووا هم وابلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ
من ركوة فجاؤا يشكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
كامثال العيون فتوضأوا كلهم وكانوا الفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة الف لكفانا
وفى رواية لاحمد عنه فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت العيون عيون الماء تخرج
من بين اصابعه فظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع
وهو ما صححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المتفرد
بايجاد المعدوم من غير اصل نعم فى رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ماء
لكن السند عن الشعبى بابنة ووضع يده فيها فنبعت عيون الماء واما الثانى

ففي مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحي النهار
فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي فسبق رجلان ومشاه قبل ان يأتي
فسبهما ثم اغترفوا له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة في العين فجرت العين
بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماء ههنا وبساتين
وعمرانا وفي رواية الموطا وغيره فانخرق من الماء له حس كحس الصواعق وصح على
مقال في بعض رواية ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى كادت رقابهم
قلوبهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده
فسأله ابو بكر ان يدعو لهم فقال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت
السما فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت
العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة امرهم بوضع سهم
من كنانته في محل الماء ففاض ومرة وضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين
اصابعه ومن اوصافها ايضا انه **اثمر النخل في عام** اي في سنة غرسه
بها اي بسبب تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي
رضي الله عنه التي ذكرها اصحاب السير كابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما
وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم للمدينة اتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا
فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها
حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه

بالودى

٩٦

بالودي فاعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها
في عامها وفي رواية توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم واعادها فسادت
البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاج من ذهب
من بعض المعادن فاعطاها له فقال واين تقع هذه مما علي قال خذها فان الله سيؤدي
بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية **و** من اوصافه ايضا انه **سبحت بها**
اي في راحته **الحصباء** اي الحصا كما رواه البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلى الله
عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض حصيات فسبحن في كفه حتى سمع
لهن حس كحس النحل ثم ناولهن ابا بكر فسبحن في كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك
ثم اخذها الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام والحافظ العسقلاني
ليس لحديث تسبيح الحصى الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى
نعم اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه
وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح **تنبيه** تسبيح
الجماد كالطعام والحصى معناه ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة
خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به ومن اوصافها العلية ايضا انها **احيت المرملين من**
موت جهده اي عوز القوم فيه زاد وماء **احيت المرملين** اي الذين

نقد زادهم من القحط حتى اشرفوا من الموت فتسميتهم موتى حتى وصفه بالجيوع
مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية من موت جهد
اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا
للموت اطلق عليه اسمه اعوز القوم عدل اليه من اعوزهم الذى هو الظاهر
لازالة ايهام لفظ المرسلين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب فى مثله شائعا
ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرسلين قلت الفرق
بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة
بخلاف المرسلين فافاد القوم ما لم يفده المرسلين فيه اى ذلك الجهد زاد وماء
من اعوزه الشيء اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال فى طعام المسافر اشعارا
بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة التى ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كا
كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالرى
والشبع المفهومين مما ياتى فتغذى بالصاع الف جياع ٥ وتروى
بالصاع الف ظماء بسبب اجابته لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء
القليل جدا حتى تغذى بالدال المهملة اى اكل وقت الغدو وهو ما قبل الزوال بالصاع
الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا الف جياع وتروى بالصاع
الف ظماء جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع
بين اصابعه تارة وببركة دعائه اخرى فقد مر الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع

فيه

فيه المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره على مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء
سيئة سيئة ومكروا ومكر الله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وبالالف المراد به العدد
الكثير ففى بعض المواضع كالحديبية كانوا الفا واربعمائة او خمسمائة وفى بعض المواضع كانوا
ثلثمائة وفى بعضها كانوا اقل وفى غزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغذى الالف الجياع
بالصاع فهو ما فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه رأى بالنبى صلى الله عليه وسلم
فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير
وشاة واجنا اى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب
للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان يأتى بنفر معه فصاح صلى الله عليه
وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا
يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء بصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك ثم امرها
ان تدعوا خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى
تركوه وان برمتهم وعجينهم كما هما وفيهما ايضا الا البعض زيادات ففى مسلم عن
انس فى غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة عرف جوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا
من شعير ولفتها بخمار واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على راسه مرتين
كالعمامة وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اى الموضع
الذى اعده لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم

قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فانطلقوا فانطلق بين ايديهم انس فاخبرها فقال

يا ام سليم قد جاء نا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم

فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى ابوطلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم

ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت فادمته

ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاكلوا حتى

شبعوا ثم خرجوا فقال ائذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه

وسلم واهل بيته وتركوا بقية وفي طرق هذه ما يقتضي تعددها وادخلهم عشرة عشرة

لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس نعم اما الاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك

ليتبعه النبي صلى الله عليه وسلم وحده واما لان من ارسله ذكر له انه اذا رأى

كثرة الناس دعاه وحده وفي رواية ان ابا طلحة قال انما ارسلت انس ليدعوك وحدك

ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي

رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي اخرى

ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء

وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل

فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا

في العسكر وعاء الا ملأوه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم

اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث وفيهما عن انس ايضا ان امه ارسلته

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة في تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعوا

من لقي فدعا من لقي فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده على تلك الحيسة

وتكلم بما شاء الله ودعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما ادري حين وضعت وكانت

اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غداة

الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقيل له مما كانت تمد فقال مما كانت تمد الا من

ههنا واشار الى السماء وفي قدر بيضة من نضار دين سلمان

حين حان الوفاء ومنها انه وفي قدر بيضة اي بيضة دجاج من

نضار اي ذهب دين سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي من جملة ما

كاتب عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كاملة مع صغر تلك

البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة

براحته الكريمة حين حان اي قرب الوفاء اي حلول الاجل وبين وفا ولوفاء

الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وبين دين وحين وحان الجناس اللاحق

وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا فاعتق لما انبعث من

نخله الاقناء كان يدعى قنا اي ارقا بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو

عن نفسه انه من اصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار ابوها فتركته

للنصارى فاعجبوه فذكر لابيه فقيده فقال له دينك ودين ابائك خير من

دينهم وكان سألهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جائكم احد من
الشام فاخبروني ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها فسأل عن اعلمهم فدل عليه فخدمه
الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له عند من توصي قال بفلان بالموصل
فجائه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال عند من توصي قال بفلان بنصيبين فجائه واخبره
وخدمه فلما احتضر ذكر له ذلك قال بفلان بعمورية بارض الروم فلما احتضر قال له قال
يا بني ما اعلم احدا على ما كنا عليه امركم ان تأتيه وانه اظل زمان نبي هو مبعوث
بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به علامات
لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان
تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بي نفر من كلب فقلت لهم احملوني الى ارض
العرب واعطيكم ما عندي فحملوه فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي
فباعه من ابن عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فعرفتها فبعث
صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينا انا اجني لسيدي
تمرا جائه ابن عمه فقال له قاتل الله بني قيلة وهم ام الاوس والخزرج انهم الان لمجتمعون
بقبا على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة وشدة
حتى ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدك ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني
لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيئا وذهب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم

يأكل

ولم يأكل فجمع شيئا آخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه
ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتأمله لشيء وصف له
فالقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى الله
عليه وسلم ان يكاتب فكاتب نظرا للحالة الراهنة والا فهو من جملة الاحرار الذين
هم اتباع حواري عيسى صلى الله عليه وسلم على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر
واربعين اوقية ذهب فغرس له النخيل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة
من ذهب فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم لما انبعث اى نضجت
من نخيله حال من قوله الاقناء جمع قنو وهو العذق اى العرجون ولاجل
ما ذكر عن سلمان بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة
والشدة وهو على رأس نخلة يجنيها لسيده وشاهد سيده ذلك منه ومع ذلك
الدال على نبوة محمد وانه بلغ امره وبعثه الاباعد والاقارب لما فهم ان له تلفتا الى
سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين
كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبي عربي يكونون اول من يتبعه
ويقتلونهم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به اكثرهم كما قال تعالى فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به غرض الناظم رحمه الله تعالى لوم سلمان منكرا عليهم اذ
لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا
في الطغيان بقربه افلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

ا نلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به فلا
تعذرون سلمان اى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل
على نبوته لما اى حين انغرته اى غشيته من اجل ذكره اى ذكر اليهودى لقربه
النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا العرواء اى قوة الحمى ومسها فى
اول اخذها للانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى
قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهودى ورميهم بالعناد
والبهتان اولى مما وقع للشارح فى تقريره على ما فيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرقه
والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق وازالت بلمسها كل داء ٥ اكبرته اطبة
واساة و من اوصاف تلك الراحة ايضا انها ازالت بلمسها لمن به امراض عجزت
الاطباء كل داء به اكبرته اى استعظمته وعجزت من برئه اطبة جمع طبيب وهو
العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ودفع الحاصل واساة
بكسر الهمزة اى مرضى جمع اسٍ كراعٍ ورعاة روى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا
وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقام من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى
فائدة روى البخارى ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها
صلى الله عليه وسلم ثلث نفثات فما اشتكى قط وعيون مرت بها وهى
رمد ٥ فارتها مالم تر الزرقاء و من اوصافها ايضا انه مرت بها عيون

ناظرة

ناظرة مرت بها تلك الراحة وهى رمد اى معطلة الابصار فارتها اى تلك الراحة
تلك العيون مالم ترفيه مع ان انها جناس الاشتقاق الزرقاء المشهورة بزرقاء
اليمامة التى كانت ترى مسيرة ثلاثة ايام روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم
قال اين على اى ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية اخرى قالوا يشتكى
عينيه قال ارسلوا اليه فاتى به فبصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا فبرئ حتى كان
لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الىّ صلى الله
عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره ثم
بزق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتها حتى يومى هذا فائدة
روى ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم انه صلى الله عليه
وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما وكان وقع على بيض حية
وكان يدخل الخيط فى الابرة وانه لابن ثمانين وان عينيه لمبيضتان واعادت
على قتادة عينا ٥ فهى حتى مماته النجلاء و منها ايضا انها اعادت
على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهى حتى اى الى مماته النجلاء اى
الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت
على وجنته فاتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة
احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى
موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت

لانومد اذا رمدت الاخرى وفد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فقال له
عمر من انت قال أبونا الذى سالت على الخد عينه ؞ وردت بكف المصطفى ايما ردة ؞
فعادت كما كانت لاول امرها ؞ فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد ؞ فوصله
عمر واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت عيناى يوم احد فسقطتا
على وجنتى فاتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا
تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو
ثقة واخرج الطبرانى وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها
بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه
فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما
نظرا وجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان احد الرواة
ظن ان الساقط واحدة وبعضهم على انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم
ان زيادة الثقة مقبولة وبها يترجح رواية الثنتين او بلثم التراب من قدم
لانت حياء من مشيها الصفواء ٢ او لينلى خفض فى النوم او اليقظة نظير
ما مر بلثم اى تقبيل التراب المنفصل من قدم له موصوفة باوصاف جليلة
كائن منها انها كانت اذا مشت على حجر لانت حياء اى لاجل ومن استحيائها
منها واجلالها لها من اجل مشيها اى تلك القدم الكريمة بها الصفواء ٢ اى

اى الحجارة الصلبة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعدها عليها لتقدمها رتبة ونبه
بذلك على انه ينبغى لك ايها العاقل ان تستحى من مخالفتك ما جاء من نبيك لانك
اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه ان يبقى على صلابته مع مشيه عليه فتشق عليه
صلابته فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه ان تبقى
على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه ثم هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره
ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الحافظ السيوطى فى خصائصه ومما اورده
رزين اى صاحب الصحاح فى خصائصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر
اثر فيه وذكر الحافظ السرمرى الحنبلى تلميذ ابن القيم ذلك فى خصائصه فقال واما
الانة الحديد لداود عليه السلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد الان الله تعالى
الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ ثم قال اعجب
من هذا انه اذا كان مشى على الصخر لان تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا
للعادة الجارية وقال فى اول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبى من المعجزات وما ثبت
لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وما له من الفواضل الى هنا موطئ الاخمص
الذى منه للقلب اذا مضجعى اقض وطاء ٢ موطئ بدل من تراب
الاخمص بضم الميم المراد به الجنس اى الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل
اذ الاخمص من القدم الموضع الذى لا يلصق بالارض منها عند الوطء والخمصان
المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقى عن ابى هريرة كان صلى الله عليه وسلم

اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله
عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد اخمصه معتدل الاخمص ومن ثم قال ابن
الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن
ما يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو ذم الذي نعت للمضاف والاصح كونه نعتا
للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة للمبتدإ الذي هو وطأ فقدمت عليه فصارت
حالا للقلب خبر المبتدإ وهو الفؤاد قد يعبر به عن العقل ومن المراد بالقلب والخلاف
في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير اذا مضجع اي جنبي
الذي اضطجع عليه اقض بالقاف والضاد المعجمة اي اصابه القضض وهو التراب
الذي يعلو الفراش كما في القاموس وطاء اي فراش وصف ذلك التراب الذي
هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه اصاب تراب فراشه الذي
هو من جملة ذلك التراب سرى سر ذلك التراب الاكبر الى قلبه فاناره واراحه
من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاحوال كما ان الفراش
يصون من فرش له عن ذلك وهذا اولى واظهر مما حمل به الشارح هذا البيت
فتأملها وحظي المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء ومن اوصافها
ايضا انه حظي المسجد الحرام يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في
القرآن في مواضع كثيرة بل كلما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو فول وجهك
شطر المسجد الحرام بممشاها اي بمشي تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع

ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر العلماء بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته
ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب
ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذي
يرويه مفضلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر وصرح
بان افضلية مكة هي الحق عند من الهم رشده وبرئ من التعصب ولم ينس حظه
منه ايلياء اي بيت المقدس بل شرفه بمشيه فيه ايضا وصلوته فيه بالانبياء
ليلة الاسراء كما جاء ذلك في الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه الذي انشأ
شرفها كما في الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة الحديث
فقوله حرمت المدينة نزل تحريمها على لساني ولم يتقدم بخلاف مكة فان تحريمها
من يوم خلق السموات والارض كما جاء في البخاري وغيره وحديث البخاري وغيره
ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها الا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين
ما امكن وليس الكلام في ابتداء حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبله على لسان
غيره من الانبياء لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره ح
ففضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتها قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله
ومشيه فيها وبين حظي وحظه كور مت ورمى تجنيس شبه الاشتقاق ومن
اوصافها ايضا انها ورمت اذ دمي بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء
ورمت كما في حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت

قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية لها عن عائشة قام نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى
تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى
جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرأ ثم ركع والفاء للسببية والتقدير اتترك تهجدي
فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال
ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة
وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف
بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار انتهى قال بعض المفسرين قام صلى الله
عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه
فانزل الله عليه طه اي طأ الارض بكل قدميك وسترح مما انت فيه من التعب
فانا ما انزلنا عليك القران لتشقى اذ اي وقت او لاجل انه رمى بها ظلم الليل
فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام
القدم في طاعة الله اوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمي السهم في
طاعة الله يزيل سورة عدوه وطائه فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة
بالكناية بناتها على التشبيه المكني في النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية
وبهذا التقرير البديع المبقي للباء على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن

وانه

وانه لا يصح بقائها على حالها ولما كان قيام الليل كذلك ينشاء اما من مزيد خوف
او سعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى ان قيامه صلى الله عليه وسلم
لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله افلا اكون عبدا شكورا
مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وان خوفه ورجائه اللذين وصل
فيهما الى الغاية لم يصل اليه غيره انما كانا لمحض بهما الى الله تعالى فقال الى الله خبر مقدم
خوفه منه قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخوفكم منه والرجاء
اي وسعة امله فيما عنده لا الى غرض اخر لان الله عصم عن ان ينظر او يميل الى
غيره طرفة عين بل هو دائم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتنعم بمعالي
القرب الانفس ووقع للشارح حمل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته
اولى بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رأيت القرطبي اشار الى
ما ذكرته حيث قال ظن من سأله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب
تحمله المشقة في العبادة انه صلى الله عليه وسلم انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هنا
طريقا اخر وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك
منه سمي شكورا لكنه قليل كما قاله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي الحديث
بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من
ربه قال العلماء انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله

تعالى عليهم وان ابتداءهم بها قبل اسخفافها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا
بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى وقيام الليل
كان في اول الاسلام واجبا عليه وعلى امته كما ذكره الله تعالى في اول سورة المزمل
ثم نسخ في اخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه
الشافعي رضي الله عنه ولكن اكثر اصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن
الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة زائدة في فرائضك لان الامر للوجوب وقيل
معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه
لا ذنب عليه فاثر تطوعه صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات
والقرب واما حديث اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل فهو تعليم لامته وبين الخوف
والرجاء المقابلة ومن اوصافها ايضا انها دميت في الوغاء لتكسب
طيبا ما اراقت من الدم الشهداء دميت اي خرج دمها في الوغاء
قال الشارح هو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الجلبة وكثرة اختلاط
الاصوات وهو المراد هنا انتهى لتكسب هي طيبا ما اي الذي اراقت من
الدم بيان لما الشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما
اعد الله له فيها عند طلوع روحه او مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده
عند ذلك وهو فاعل اراقت اي من حكم خروج الدم من رجله المشرفة

ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى يكون رائحة دمهم كريح
المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هذا من
اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه
فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق
انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به سفهاءهم فرموه
بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه منهم فان قلت
ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغاء قلت قد علمت ان اصل الوغاء الصوت
والجلبة وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع
انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم
يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم
زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا
مشى رجموا وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه
شجاجا وهذا حرب اي حرب لان من قام بين ظهراني العدو يواجههم بما يكرهون
من غير ان ينزجر ويزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اي محارب وبدل
لذلك ان ائمتنا عدوا من المحاربين الصفين اذا تقابلا حيث يصل سلاح كل
الى الاخر وان لم يقع قتال ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما
بالفعل فكذا هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه

غلظة عليهم وسب لهم ولالهتهم وعاقر بتة بعلم عذر الشارح في صرفه الوغاء
عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي وقال انه المراد هنا اي كما يقتضيه سياق النظم
لكن كان عليه ان يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب السير او غيرها واذا تقرر انه
صلى الله عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمت وانها دميت في الحرب ليكتب دمها
دم الشهداء طيبا فهي قطب المحراب والحرب كم دارت عليها في طاعة
احياء فهي قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليها الثبات في الصلوة والحرب
الحالة لم توجد في غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا اتقى ولا اخشى لله منه ولا اشجع
منه كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتزلزل ولا تنتقل عن مكانها فلذا
دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معها
كما قال كم اي مرات كثيرة دارت عليها في طاعة الله حال من قوله احياء
اي قبائل وهذا تذييل وقطب الرحى ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحى
الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهو نقطة
الكون المطلوف لاجله ابتداء والمنصرف فيه انتهاء وبين الحرب والمحراب تجنيس
الاشتقاق واراه لو لم يسكن بها قبل حجرا ما جنت به الدماء واراه
اي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لو هي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول
الثاني ويصح ان ما جنت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ما جنت واعلم
ان الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد اوردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر

الى معرفته فاقول هي شرط للماضي غالبا واختلف عبارات النحاة في معناها حتى قيل انهم
لم يفهموه قال سيبويه هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع
لامتناع واختلف في مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب
لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للشيء اسباب
واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها سيقت لنفي تعدد
الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام
العالم عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه تعالى انتهى وردوا
عليه واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر
للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد
الخوف ام لا فلذلك حرر جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها حرف تقتضي
امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو قام
زيد قام عمرو محكوم بانتفائه ويكون مستلزما ثبوته لثبوت قيام عمرو وهل
لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له لا يتعرض لذلك ثم ان ناسبه بان
لزم التالي الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المقدم في ترتيب التالي عليه
غيره لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم

لتعدد الالهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في شيء ولم يختلف التعدد
في ترتيب الفساد عليه فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم
كلو كان انسانا لكان حيوانا فالحيوان لازم للانسان عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان
في ترتيب الحيوان عليه كالحمار ويثبت التالي مع انتفاء الاول ان لم يناف انتفاؤه وتا
اما بالاولى كاثر عمر المترتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو
انسب للترتيب عليه ايضا في قصده والمعنى انه لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف
وهو ظ ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن ان يعصيه او المساوي كقوله صلى الله
عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي
من الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين منا وبين المصاهرة
والرضاع لو انفرد كل منهم حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت
للنسب الادون منه الرضاع لم يسكن هو بها اي بقدمه قبل بالبناء على الضم
حرا مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير لئلا يتزحف الوزن وفي غير هذا يجوز كل منها
بالاعتبارين المعروفين ماجت اي تحركت واضطربت به اي القدم
او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها الدأماء اعلم ان الشارح
تكلم على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل مفعول اراه الثاني ماجت
ولو لم يكن شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال في الدأماء هو
بالمعجمة كانه اراد بها سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافها انه لو لم يسكن

بالقدم

بالقدم المذكورة حرا لما اراد النخس فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه صلى الله
عليه وسلم كما انه لما صعد احدا تحرك به فقال اثبت احد فذلك تسكين بالقول وهذا
بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل
سرعة الحركة فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه لم يذكر
الدأماء بالمعجمة اصلا ولا الزامه بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا
وانما ذكر لازامه ما قد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في زامه
بالمعجمة كمنعه حفزه وزفه وطرده وخزاه والازام الرعب وما سمعت له زامة
كلمة انتهت وانما ذكر الدأماء بالمهملة فقال دأم الحائط كمنع دعمه وتداءم الما
الشيء غمره والفحل الناقة تخللها وتداءمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتزاحم
والدأماء البحر ثم قال وجيش صدأم كمنبر يركب على كل شيء انتهى والذي يتجه في
حله ان ماجت جواب لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة
المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه
حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به
وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وح فالمعنى والعلم
انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل اي عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حرا
الى الخرمام في شرح قوله فاهتزبه للصلوة فيها حراء لماج اي استمر اضطرابه
وتحركه الى اخر الدهر لما رأينا هزة الطرب والسرور برقيته صلى الله عليه وسلم

وكان القياس لو لم يسكن بقدمه قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر
فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدماء لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة
المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذي في حراء انه انما قال له اثبت
او نحوه ولم يضربه بقدمه واما الذي ضربه بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم
يسكن بها قبل حراء قلت كانه نظر الى ما في بعض الطرق في مسند الحارث بن اسامة
اذ فيها احد او حراء بالشك وصح في رواية حراء وفي رواية احد فاقتضى ذلك ان
الضرب بالقدم الكريمة كما في حراء كما انه في احد وكذا ان تحمل النظم على ان المراد لو لم
يسكن حراء قبل اي قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اي مشيه عليه منه وانما
فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا هو
واصحابه وح لا يرد على الناظم شيء الآن يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له
اثبت او اهدأ حراء فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان
المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي انه لا يسكن غيرها وكذا
ايضا ان تجعل الدماء الارض لتسمية المحل باسم الحال وح فالمعنى لو لم يسكن
بقدمه حراء اي يتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا
الى اخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون
غيره تنبيه اشار صلى الله عليه وسلم في احدان سبب تحركه به
محبته له فقال احد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي والمراد محبة

احد حب اهل المدينة نحو واسأل القرية وردّه البغوي وبغوه بانه لا مانع من
حمله على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء واهل الطاعة
نظير ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان
يسلم علي قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحى الله الي جعلت
لا امر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة من معجزاته
صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها آمن بها من فوره بيّن ان الكفار
الذين شاهدوها ولم يزدهم الا ضلالا احقيقون بان يقال في شانهم عجبا
للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء عجبا بدل من
اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول للكفار اي منهم
حال كونهم زادوا ضلالا بالمعجز القران وغيره الذي فيه اي في كل فرد من افراد
للعقول السليمة الخالية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومن الكلام على
العقل وما فيه من الخلاف اهتداء الى الدين الحق الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد بالقيدين المذكورين
حملا الاهتداء على ما يشمل بالقوة وبالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان
قارنها عناد او خذلان وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الاثنين
الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات
والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد

والتلبيس على الضعفاء منهم الاباء وكفرا وعنادا كما قال تعالى عنهم وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر والذى يسئلون منه كتاب منزل قد اتاهم
وارتقاء وعجبا ايضا من الذى يسئلون منه على جهة التعنت والعناد
وهو كثير منه كتاب منزل معه عليهم من السماء قد اتاهم به وهم يشاهدونه
وارتقاء منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله والملائكة
قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا لى لقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق
بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت
علينا وليبسطه لنا فى بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من
مضى من ابائنا وليكن فيهم بن قصى كلاب فانه كان شيخا صادقا فان صدقوك
صدقناك وما قررته فى هذا البيت اولى مما قرره الشارح من ان الذى مبتدء
خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه مع انه لا تعلق له بما قبله ولا بعده مع ما فيه
من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضح وكذا لما بعده كما
يدل عليه الاستفهام التعجبى الانكارى عليهم فى قوله اولم يكفهم من الله
ذكر للناس رحمة وشفاء اى يقولون ذلك كله ويتعنتون به

ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال من فاعل يكف وهو ذكر واصل التهمم
وتسميته ذكرا جاءت فى اية مرادا به الشرف كما فى وانه لذكر لك ولقومك وفى
اخرى مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن
بل والملائكة رحمة باهتداء المؤمنين وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين
ببركة كونه بين ظهورانيهم وشفاء من كل داء ظاهر او باطن حسى او معنوى
كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون
بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض اكابر ائمتنا
ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم
قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع فى
ازالة الداء من القران فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء قال تعالى وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازى وغيره ومن ليست
للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القران شفاء من الامراض
الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوة والمعاد وفى القران من
النصوص القاطعة بفساد ذلك ما يكفى ويشفى وكالاخلاق المذمومة وفيه اوضح
بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقرائته عليها
لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم
اكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله

لا يقبل الدعاء من كل قلب غافل لاه وقرائته ممن هذه حالته على اي مرض
كان برء له وان اعيى الاطباء ومن ثمه قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء
فهو اما لضعف تأثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع
ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي
حديث من لم يشتف بالقران لا شفاه الله نعم روى ابن ماجه انه صلى الله
عليه وسلم قال خير الدواء القران ومن العارف الامام الكبير ابي القاسم القشيري
ان ولده اشتد به مرض فايس عليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه
ما بولده فقال له اين انت عن ايات الشفاء وهي ست ايات مشهورة فكتبها
ومحاها بماء وسقاها له فكانما انشط من عقال ثم استطرد بذكر شيء مما اشتمل
عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والايات فمن ذلك ابهره في قمع
المعارض وادحاض الجاحد اعجز الانس اية منه والجن ه فهلا يأتي
بعضها البلغاء اعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر ان الشاهد يحصل له العلم
الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف
عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا
امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان

ذكر

ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل يدرك فرقا بديهيا بين القرآن
وغيره عند سماعهما الانس اية عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور
ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث ايات او مثلها طلب منهم
صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بمثله فعجزوا فطلب ان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا
فطلب منهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة
منه وذلك لان في دليل الجمهور شيئا اذ لا يلزم من كونه لم يطلب منهم دون
السورة انهم قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن
بعض الاية المفيدة كما يفيده قول الناظم الاتي او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها
وبعدها انواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم
عاجزون عن محاكاة اية من اياته حتى ثم نظرا وبعضها المفيد لكن مع النظر
لمناسبتها لما قبلها وبعدها واما التصريح بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث ايات فيرده
المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيئا منه منه و
اعجز الجن اية ايضا وذكرهم كالاية لان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله
عليه وسلم مبعوث عليهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما لاعجازه لانهم
ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي انهم يحسنون اللسان العربي
فادعاء خلافه يحتاج الدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم
ليس رسولا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم يحسنون في

الآية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضة اى وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن
المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين بل الثلاثة في زمنه
صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتي بمثل آية او سورة منه على نظمه البديع وتأليفه
المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث
والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا الخ **فهلا** هي في الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظره من حيث ان
لولاه بمعنى هلا فيثبت لهذه ما لتلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله الآية
فهي هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هنا هلا للتوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض
اهل الضلال والالحاد **يأتي** به اى بمثل ما ذكر من السورة او **بعضها** اى الآية
والمراد بعضها المفيد **البلغاء** جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان
الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ويوصف
بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما
يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او
ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر
بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب او استدراك وافاد الناظم بهذا ان
البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء

في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين المعاني والبديع
والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوار
عجزهم من المعارضة وعناد عقدهم عن المناقضة ومن ثمة كان عجزهم عن ذلك
اعجب في الآية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان
قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلى اربهم
ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في
اعاجيب الخطابة واساليب البراعة فقد اعجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو
لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ
محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة على السكوت من معارضة آية منه المستلزمة
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها
منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من
نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته ليعلمني باخبار الامم فأتوا بمفترى
مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه ماهر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد
من يستجيده ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد
ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء اصحابه وخطباءهم قطع بعجزهم
وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثمة قال الخطابي كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله
وقد قطع القول بانه ما اتى به من عنده وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه

فلولا انه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي
عليهم بالعجز عن معارضتهم وبالتقصير عن بلوغ الغرض فيما قصده فلم يستطع احد
منهم ان يناديه ولم يرفع رأسه الى ان يباريه بل رضيت لهم التربة وانفسهم
الابية اذ كانوا انف شيء واشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال
العلماء من اعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب
مع انهم اوتوا منهما ما لم يؤته غيره لانهم كانوا يأتون منها على البداهة بالامر الاعجب
ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون به بين
الطعن والضرب ويترسلون في اوديتها فيأتون منها بالسحر الحلال ويطوقون من
دررها اجمل من سمط الجمال فلا شك عاقل انها طوع مرادهم وسلك قيادهم فما راعهم الا
رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا في
هذا الباب مقالا واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا صارخا فيهم في كل حين
مقرعا لهم على رؤس الملا اجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فانتم المردودون الى
اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب
آلهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا نفورا عن المعارضة
لم يأتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته
ومحجمون عن مماثلته يحادثون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء

في قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو اطاقوا الاخذ
معارضته لبادروا اليها والخموا الخصم الذي كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء
اموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فابلسوا وقطعوا
فانقطعوا هذا كله والآتي اليهم به مكث بين اظهرهم اربعين سنة امياً لا يحسن
نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى
اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلوا من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقي وغيره
ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع مني
وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الرحمن الى ان بلغ السجدة
فسمع ما ابهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام الى اصحابه فقال
بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا له ما وراءك قال سمعت
قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو شعر ولا سحر ولا كهانة اطيعوني معشر
قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فقد انذرتكم

صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اسكت فمه وناشده الرحم ان يكف وقد علمتم
انه اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقي
ان الوليد بن مغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية فاستعادوا اياها فاعادها فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلوا وما يعلى
وما يقول هذا البشر وما فيكم اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه رأيا قبل حضوره وفود العرب في
الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمة ولا بسجعة قالوا
مجنون قال ما هو بخنقة ولا بوسوسة قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده
وما انتم قائلين من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقي
لما رق لقراءة القرآن عليه جاء ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا
لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم
قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح القرآن قال لا يرضى منك
قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر اي ينقله من غيره
فتامل قضاء هؤلاء الاشقياء على انفسهم بالعناد المحض والاسفاف القبيح والتقول
الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن ما
قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد

جاء على يدي اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر سورة منه فعجزوا هذا
علم وقد بما تقرر وجوه اعجازه اجمالا واما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر
مقصود اعجازه في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه احدها
ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها
الى الرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا
يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ وانسب منها وغيره ليس كذلك
ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما
سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية قال جمعت
هذه الاية ما نزل على عيسى من امر الدنيا والاخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة
بعض قصار المفصل فاتى من الهذيان بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين
يا ضفدع لم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين
ولا الشراب تمنعين وقوله محاكيا للنازعات والذاريات (الذاريات ذرا) والزارعات زرعا
والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والباردات
بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل المدر وما سبقكم اهل المدر وقال اخر الم تر
كيف فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى
وقال الاخر الفيل وما ادريك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل فان ذلك
من خلق ربنا القليل تابيها انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر

فنونه من النظم والسجع والشعر ونحوها تحيّر عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شيء منه اذ لا مثال
له يهتدى عليه ولا امام عند الاشتباه يرجع اليه ولقد رام قوم من المتاخرين نُسب
اليهم الفصاحة وفيهم شيء من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم
من فصل كلاما وجعل سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحا ما عمل ثالثها تاثيرها في النفوس والقلوب
بحيث يجد من اللذاذة والحلاوة عند سماعه ما لم يجده عند سماع غيره ومن ثم كان
قاريه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره زادت حلاوته وانتفت طلاوته ورابعها
ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء
من الاخبار بالمغيبات ما كان وما يكون نحو ولن تفعلوا ولا يتمنونه ابدا فما فعل
مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي وهذه ايضا من ابهر المعجزات وقال بعض
المحققين اعجازه من وجهين اما الذاتي من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ
تاليفه ليس على هيئة يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال فيه رسالة ولا خطابة
ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما الصرف الناس عن معارضته
والاعجاز من هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة
الا بينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلي لتوجه ولذا تجد هنا يؤثر حرفة
لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعا الله اهل الخطابة
الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القران فعجزوا عن

الاتيان

١٦٦

الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم
عن ذلك واي اعجاز ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول
بالصرفة مع انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوها بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم
لانهم حينئذ بمنزلة الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على
اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزم اضافته الى الله لا الى القرآن وح يلزم
زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول
العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم الصرفة ايضا انه لا فضيلة
للقران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين
وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها
فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا لمعارضته اصلا لقطعهم في نفوسهم
بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس
الامر لا يسمى قدرة ثم بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل
فن البلاغة لا يقطعون بسبب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتامله
لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب
من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا لقدرتهما عليه
باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول

فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه
ترتيب لو يعلمونه لوصلوا اليه به واخرين ان العجز انما وقع من الموجودين واما
من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرائهم
فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ونادى عليهم بالعجز والانقطاع
وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان مات اكثرهم واظهروا ندمه وتسكه ولاشتمال
القرآن على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير
ذلك من العجائب كان كل يوم تهدي الى سامعيه معجزات من لفظه القرآء
كل يوم اي وقت تهدي فاعله القرآء اي توصل وافاد التعبير به تشبيه المعجزات
بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية الى سامعيه
معجزات مرتبات المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم ان المراد بها الامر الغريب
وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتدأة من لفظه لعذوبته وانسجامه
وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن
جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة
اخباره الصادقة تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من
العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام بن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من اصحابنا
هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه

جزءً واحداً من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق على ان الاعجاز
وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها اي وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه
لا يزال غضاً طرياً على الالسنة وفي الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وكلاهما
متضادان اذ لا يجتمعان غالباً في كلام البشر وكونه مستدركاً على جميع الكتب قبله فهي
مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثمه كان ابهر في الاعجاز من سائر معجزات الانبياء
بل ومعادلا للكل لان سبلها واحد هو مخالفة العادة وهو سبله كثيرة كما تقرر في وجوه
اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع
الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى
جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شيء منه الا وكان
ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في قدرة البشر الاحاطة
باسرار الله من كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا في
تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كلام فاختار القاضي
المنع وانما التفاوت في ادراك التاسوله واختار ابو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن
عبد السلام ولم يأت كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم
ليتم ظهور بقاء العجز عن معارضته القرآء لان من سمع الفاظ القرآن وتدبرها
حق تدبرها علم ان كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امر معجز لا يعارض ولا يناقض
واذا بلغ القرآن في الجلالة التي مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقاً بانه

تحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء تحلى به اى لسماعه المسامع
وتحلى من التحلية بالفاظه الافواه من الحلو فهو الحلى راجع للاول والحلواء
راجع للثانى رق لفظا وراق معنى فجاءت فى حلاها وحليها الخنساء
رق اى حسن لفظا اى من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة
الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد وراق اى تصفى من شوائب النقص
فاعجب كل ناظر فيه معنى اى من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل
فى الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفى رق وراق والحلى والحلواء الجناس
كملاها وحليها وسور وصور والنظائر والنظائر الاتيات والمسامع والافواه
واللفظ والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفى والاتيان والوقوف والهمز الاتيات
وفيما بعدها اللف والنشر المرتب فبسبب كون سوره رقت وراقت جاءت
فاعله الخنساء وما قبله حال منه اى حال كونها فى حلاها اى فى صفاتها الجميلة
وحليها اى زينتها الخنساء بنت عمرو وخصها من بين كثيرات يتمين
بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما ياتى لبسط الكلام فى ترجمتها شبه سوره
القران فى صفاتها العلية وتزيينها بما اودعته من الاسرار البهية بامرءة بلغت
من الزينة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وارتنا فيه غوامض
فضل دقة من زلالها وصفاء وارتنا اى اوضحت لنا وفاعله دقة
الاتى فيه اى القران غوامض اى خفايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة

منه التى لا حد لها ولا غاية ومن ثمة جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت
ان اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت دقة كائنة من زلالها الزلال
ما فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى اجواف صور توجد فى الثلج تشبه الحيوان
وليست فى الحقيقة بحيوان كما قاله بعض اكابر ائمتنا وصفاء من ذلك الزلال
شبه القران فى محاسن اساليبه وصفاء موارده الموجبين لمن حدق فى
خفاياها حديد نظره وحقق فى غورها دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب
عن كل سوء حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف
الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بما فى غاية العذوبة
والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما من
شانه ان يخفى وبهذا الذى قررته من برد اليقين وصفاء القلب يعلم ان ذلك
انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما اشار لذلك بكلام جامع بديع عادته
فقال انما تجتلى الوجوه اذا ما جليت عن مراتها الاصداء
انما تجتلى الوجوه اى تظهر ظهورا واضحا لا اخفاء معه بوجه اذا قوبلت
بالمرآة اذا ما زائدة جليت اى ازيلت وبين هذا وتجتلى تجنيس الاشتقاق
عن مراتها بكسر الميم والمد الاصداء فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم
والمعارف من القران الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار واذابت فواها فيما
هى بصدده اناء الليل واطراف النهار سور منه اشبهت صورا منا

ومثل النظائر النظراء سور جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم
مخصوص بتوقيفي منه لبيان الجنس لان ما ياتي ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها
كلها اشبهت لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف
على ما في الاخرى ومن ثمه وقع التحدي باقصر سورة منه صورا جمع صورة وصورة
الشيء شكله منا في اشتمال كل منا على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه
غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان
الاعجاز انما هو بمجموع القرآن بكل من سوره لان ما فيه من انواع الاعجاز الثابتة له
انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها لقوله تعالى
فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة فاتلوها معز له
والابقام لهم وزن ومثل النظائر جمع نظير النظراء جمع نظير ايضا وهو المثل
والمناظر ويطلق على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا
للشارح وهذا سافه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل اي ومثل تلك السورة التي
هي النظائر كما قال عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل
والتخلي عن الرذائل والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
والاقاويل جمع قول والمراد هنا اللفظ المفيد عندهم اي الكفار ظرف للمبتدا
والخبر وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة يعني ان تقولهم في القرآن وافترائهم
عليه بما يقدح في حقيقته امر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي تخترعها

المصورون

المصورون كذلك فكما ان هؤلاء لا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم
المذكور واذا تقرر ان جميع ما قالوه في القرآن باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك الخطباء
اي فاحذر ان يوقع مزخرف الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم في ذهنك اوقف ريب
اوشك في شيء من اوصاف القرآن التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها
كم ابانت اياته من علوم عن حروف ابان عنها الهجاء كم اي مرات كثيرة ابانت
اي اوضحت اياته جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو
تقديرا ذو مبدء ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري ونكل عنهم ثم نظر في المدثر
اية اذ ليس في هذه جمل الالفاظ ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة
عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت
الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها وياتي قريبا
عد اي القرآن من زائدة في الاثبات كما هو راي جماعة علوم لا غاية لها
كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب وقال وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وفي حديث الترمذي وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله
فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور عن
ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والاخرين
قال البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب
اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم

الثلاثة الفرقان اعم زيادات لا تحصر ومن ثمه قال الشافعي رحمه الله جميع ما تقوله
الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله
عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء بالسنة فهو في الحقيقة ماخوذ
منه لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلوني مما
شئتم اخبركم عنه من كتاب الله فامتحن بدقائق فاستنبطها من القران منها لو
قتل محرم زنبورا أعليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر رضي الله عنه
امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر
والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وتبعه اعني الشافعي العلماء على ذلك
فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيئا او حكم او قضى بشيء الا وهو او اصله في
القرآن قريب او بعيد وقال اخر ما من شيء في العالم الا وهو فيه فقيل له فاين ذكر
الخانات فيه فقال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم فهي الخانات وقال اخر ما من شيء الا يمكن استخراجه من القران لمن
فهمه الله تعالى حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة استنبط من
اخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها التغابن لظهوره
بفقده صلى الله عليه وسلم وقال اخر لم يحط بالقرآن الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله
عليه وسلم فيما علا ما استأثر الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة
مع تفاوتهم بحسب تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره

كعلي

كعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه
انا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس جميع ما اتيته لكم من التفسير فانما
هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله
ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اولئك من
علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طائفة علما وفنا فتوسعوا فيه
بحسب مقدرتهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج عن
الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بما يبعد لا يحصر وقال اخر علومه
خمسون علما واربعمائة علم وسبعة الاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن
مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع وبضم لذلك اعتبار تركيب
ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به فقال نعم ام علومه ثلاثة توحيد
ووعظ وحكم ومن ثمه سميت الفاتحة امه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص
ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات
وقال اخر اشتمل القرآن على كل شيء كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء اما العلوم
فلا تجد مسألة هي اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت
السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدأ الخلق واسماء مشاهير
الانبياء والملائكة وعيون اخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم
وغزواته واخباره الى مماته ثم شأن امته من بعده وبدأ خلق الانسان الى موته

وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ انه لا يوجد
فيه شيء من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع
الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتائج الصحيحة من
المقدمات الصادقة وردوا عليه بانه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة
وتقسيم وتحديد مبني من كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله قد نطق به وقد بين
الاسلاميون من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه ان من اول سورة الحج الى قوله
وان الله يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارة
حتى لعلم الهندسة بل الاشكل ما فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله الى ظل ذي ثلاث شعب
الاية قال الائمة وانما اوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره بالاوضح الذي
يفهمه الاكثرون لا ينبغي له ان ينحط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا
ومن ثم اخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة
ما ينفعهم ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التي هي
منتهى كل ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الايات انها ابانت تلك العلوم التي لا غاية
لها حال كونها متولدة عن بينها وبين من اجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة
اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال جميع اي القرآن ستة الاف اية وستمائة
وست عشرة اية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف وثلثة وعشرون الف حرف

وستمائة حرف واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي بل مسمياتها
لحروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال ابان اي كشف عنها الهجاء اي التهجي
وهو تعديد الحروف بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت
الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغتها والمراد انه هنا تهجى بالاسماء عن
المسميات حتى تتبين موضوع كل وبيانه ان الحرف الذي هو زيد مثلا له مسمى هو زه
والخط فيه بحذف هاء السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم وهو الزاي لانه يعرب به اسما
علامات الاسم ومن ثمة قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا
اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال
انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به فحروف القرآن من الاول وحروف
التهجي من المراد من الثاني ودليل التسمية بها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فتسمية كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار مدلوله وحج فهي كالحب والنوى
اعجب الزراع منها سنابل وزكاء فهي اي حروف القرآن وان عزت معانيها
وكثرت احكامها ليستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد
منها الان لها مثلا يقربها نوع قرب كحروف اسماء الاعداد والاقلام ما بينها اذ ما بالتي
له امد معلوم يخفى عنه عن قرب وهذه ميزة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي
الازمان في هذه الدار بل وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في

الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وياتي ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال

وهو اما انها كحروف اسماء الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود

بها واما انها كالحب الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض ينشأ

من الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك

وفي هذه الحالة اعجب فاعله باني الشارح ان فيه ضمير الحب والنوى وان فاعله

سنابل سهو منه اذ كيف يتصور في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة الزارع

والغارس كما بدا عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر اي والبرود وفيه ايضا

اللف والنشر المرتب لعود الزارع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء

لهما منها اي تلك الزروع والاشجار سنابل وزكاء اي نمو يفوقون الحصر بحيث لو اجتمع

اهل الارض على استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا كما يحصل منه ما

لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هي متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى

وهذا المثل المراد التقريب لا غير كما عرفت تمام والافتان ما بين الامرين الاول ان عدم

تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو في مدة قليلة ثم تنقضي من قريب واما تلك الحروف فان

معانيها لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ وارق

ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه يعلم انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه

بمعانيها وما يفتح الله به على القارئ من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات

التي تم فيها التناهي وذلك امر لا ينتهي ابدا ومن عجيب شأن الكفار انهم مع هذه المعجزات

والآيات



والآيات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فتارة قالوا

فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء فتارة قالوا فيه التردد والريب

اي الشك عطف مرادف فقالوا كما حكاه الله عنهم في كتابه فهو تلجلج مرة انه سحر اي

تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق وقالوا مرة اخرى انه

افتراء اي كذب ومرة اساطير الاولين الى غير ذلك من افترائهم وافتراحهم ومباهتهم

وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو والله المنفصل بانزاله قرآن مجيد في لوح محفوظ

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكل ذلك ينادي

عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا رأي ولا استعداد واذا البينات

لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء ولكن ليس ذلك بكثير على من

عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة

الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان

لم تغن هم اي تفدهم شيئا من الهدى فالتماس الهدى بهن اي

طلبه منهم بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم عناء اي تعب لا يفيد شيئا

واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء واذا ضلت

عن طريق الحق العقول جمع عقل وسوق الكلام عليه يشتو في على اي مع علم منها بتلك الطريق اي

اضلها بارئها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبياء النصحاء وقولهم حق لا يفيد

شيئا والبيت الاول مقتبس من قوله تعالى وما تغن الآيات والنذر عن قوم

لا يؤمنون والثاني من قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وبما
قررت به كلامه يعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع **تنبيه**
لا يتوهم من كلام الناظم انه مخالف لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال لغيره
كتكليف ابي جهل بالايمان مثلا مع علم الله بانه لا يؤمن وذلك لان التكليف بذلك انما
هو بالنظر للحالة الراهنة المطوي عنا عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان
لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان
هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرائع
فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك وتخون ذمتك واستحضر قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون **فوائد** منها قيل حكمة تنزيه القران من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام
عذوبة ان قصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء
والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه عنه ومن ثم
قال بعض الحكماء لم يُرَ مُتَدَيِّنٌ صادق اللهجة مفلقا في شعره اغالبا وما وقع فيه
على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه
شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سئل
الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان
وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه

مختلفا

مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا بخلاف البشر لاختلاف قوالهم
واغراضهم واحوالهم ومنها ان سائر كتب الله الانبياء لا اعجاز فيها من حيث النظم
والتاليف لان السنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعها اشتراك فيه
ولكون السنتهم كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم ذكره
ابن جني وغيره ومنها ما وقع في القرآن آيات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة
الواحدة في صور وفواصل مختلفة ككلا وكلا يذبحون ويذبحون سنزيد وسنزيد وذلك
كثير وقد افرد خلائق الجواب عن ذلك بتاليف مستقلة ومن حيث ايهام التعارض
عند عدم التامل نحو ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واول من
تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس ثم تبعه الائمة حتى افرد بعضهم ذلك بالتاليف
كما الفوا في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها
من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه او علمه ايضا الراسخون في العلم وهو مبحث طويل
فلا بأس بذكر خلاصته وهي قيل القرآن كله محكم كما في آية وقيل كله متشابه كما في
آية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكامه اتقانه وتنزهه عن نقص
لفظها وبتشابهها انه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف
المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كالساعة والحروف
المقطعة اوائل السور وقيل اقوال اخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشأهما
هل الوقف على العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن

عباس وقال النووي انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق

الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا

اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن

السمعاني اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بان المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه

ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابهات ذكر ايات الصفات التي

فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور اهل السنة ومنهم اكثر السلف واهل

الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب

الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه

فقال الذي نرتضيه دينا وندين الله به اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك

التعرض لمعانيها فتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها

اختار ائمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا ائمة الحديث والفخر فقال ولحسن فيما قال

لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون

اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشرة وهو مظنون واما عقلي وهو انما

يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه يرجح مجاز على

مجاز وتاويل على تاويل وذلك انما يكون بلفظي وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو

لا يعول عليه في المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من

السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في

في تعيين التاويل انتهى وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التاويل ان قرب في لسان

العرب نحو على ما فرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له لا ان بعد كتاويل استوى

باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه امرهم شرع في الكلام مع

اهل الكتابين ليبين ما آل اليه امرهم ايضا فقال يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى

بالذي عاملتكم الحنفاء قوم وحذف حرف النداء جائز الا في الندبة والاستغاثة

ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول فيه عيسى المدعوين

بالنصارى عاملتم قوم موسى وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة الذي

عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل الحنفاء اي المسلمون

جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق القويم ثم بين ما ابهمه قوله

عاملتم بقوله صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبأس البواء صدقوا

اي قوم عيسى كتبكم وهي التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم كتبهم

وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله منزلة كتب متعددة وفي هذا التفات

لان قوم عيسى خوطبوا اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين

موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الاتيين والتصديق والتكذيب

الطباق ان ذا الذي فعلتموه معشر اليهود لبأس البواء اي الصنيع الذي

رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباءوا بغضب من الله لو جحدنا

جحودكم لاستوينا او للحق بالضلال استواء لو جحدنا من الجحد وهو الانكار

عن علم جحودكم اي مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا
نحن وانتم ا يكون ذلك منا الا بتصور ذلك كيف و ليس للحق وهو ما نحن
عليه من التصديق بجميع كتاب الله ورسوله بالضلال وهو ما انتم عليه من
التصديق بالبعض والكفر بالبعض استواء اي مساواة بل بينهما غاية
التضاد والحاصل انا لم نجحد شيئا من كتاب الله وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب
النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
اي المكذب لهم في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين
اهل الكتاب والتعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية انتهى
وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة في الاخرى ما ذكر انكار كتبهم اذ لا مانع ان
النصارى قائلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شيء باعتبار تبديلهم
وتغييرهم فصح ما في النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب في
كتبكم وكذبتموا للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك بتفسير العاملين منكم
الحنفاء وفي الباقي ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول اقرب ولما كان من
المعلوم المتقرر ان اليهود اشد الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما
اتاهم الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه في زعمهم الفاسد واستمر
حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شيء الموجب لقول النصارى

فيهم

فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا
يصدر عن سخفاء القول فضلا عن غيرهم شرع الناظم في بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال
ما لكم اخوة الكتاب اناسا ليس يرعى للحق منهم اخاء ما لكم اي اي حال حصل لكم معشر الفريقين
يا اخوة الكتاب المراد به الجنس الشامل لكتابيهم سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف
والاحكام صاروا متآخين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى اصل حال كونكم اناسا ليس شانكم
انه ليس يرعى للحق منهم اخاء بكسر الهمزة نائب الفاعل ويجوز انه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضمير
اي مواخاة اي ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التي منها تصديق
محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخاء مع اخوة رد
العجز على الصدر وبين الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الاتي ومن عدم
رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدماء يحسد كما وقع لليهود
انهم حسدوا عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما دروا ان الملقى عليه
الشبه لهم مثل فقتلوه ونجاه الله منهم ثم رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة
نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض دون نوع ما من الشبهة المجوزة
لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم وما زال كذا اي كهذه المذكورة من حسد الاول
الاخير المحدثون والقدماء من لدن ادم الى اليوم قد علمتم بظلم قابيل هابيل وبظلم الاخوة
الانبياء قد جرى للمحقق عليهم يا اهل الكتاب بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول

اولاد ادم وهم اربعون جاءوا من حوا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله

في نسله في حيوته حتى بلغوا اربعين الفا هابيل لشدخه رأسه بين حجرين

وهو ثاني اولاد ادم عليه السلام حسد اله على الدين من اجل كون الله قبل قربان

هابيل ولم يقبل قربانه ثم قال له لاقتلنك فاجابه بتسليم لقضاء الله ولا يجزى بالسيئة

السيئة كما افاد ذلك ما حكاه الله تعالى عنه بقوله عز فلئن بسطت الى

يدك لتقتلني ما انا بباسط الاية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث

الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وجاء ان

سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست بجمال الجنة التي

تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم ان من اختلاف بطون حوا بمنزلة

اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس

وهو مع مخالفته لظم الاية يمكن تاويله بانه لا مانع انه حسده لسببين اخرى

وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر على انه جاء في القصة ان ادم لما امر قابيل

ان يزوج اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا قربانا الله تعالى وكانت العلامة على

قبوله اذ ذلك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل

فزاد حسده الى ان قتله وبين الاول والاخر والمحدثون والفقهاء جناس الطباق

كوفيتم وخانوا احسنتم واساءوا والاباء والابناء وعرفوا وانكروه الابيات

وفطلوم الاخوة الاضافة فيه بمعنى من وبعض يتكلف كونها بمعنى في وجه

عنه

عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وفيهم الانبياء لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى

ولا يتنقمون لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا

وما ال الى اخره وعلم من قوله وهذا فيه الخ انه ليس المراد بالاخوة خصوص

قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بان

اقل الجمع اثنان وقد سمعتم للبعض لان المراد في ذلك كل العلم يكيد ابناء يعقوب

المسمى في القران باسرائيل اي عبد الله ابن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاصح

انه اخوه اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم اخا يوسف

صلى الله على نبينا وعليه وسلم كما هو المصدرة بقوله نحن نقص عليك احسن القصص

اي لانها سيقت على اسلوب لم يتم عليها غيرها من بقية القصص لانهم من كيدهم

المحكي عنهم في قصته ولا من ذكرهم اي قابيل الكافر اللعين ان ذلك ينافي صلاحهم

لاتفاق العلماء على انهم كانوا صلحاء عدل اليه عن انبياء لانه الامر المتفق عليه كما هو

اي لقوة الخلاف عنده في علم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف في نبوته لكون الحق

انها كالاية اوصحتها وهي قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل

الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب

فلذلك كان الاية انهم انزل عليهم شرع يجب الايمان به غيرها ما انزل على ابراهيم

وذلك الشرع هي الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به ايضا وحينا الى ابراهيم واسمعيل

واسحق ويعقوب والاسباط وح فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض الصريح

الا بشرا فاملاه في نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانها انما صدرت منهم عن بلوغ نبوا
شرعيتهم ومما يقرب من ذلك ان العلماء اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي
حدث منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبياء قبل النبوة
خلافا محل بسطه كتب الاصول حيث طرف لكنه القوي وما بعده هو المرجح التي لم تطق وهيا بعضهم
كلام وبذلك خفا من نقل مع كونهم اصغرهم عليهم الذي ابان عنه دعاء البلد
اول السورة اذ الا حدى عشر كوكبا مثال لهم احد عشر لي الشمس والقمر ابوه وخالته وكل
له دخولهم بيت ابيه وطاعته فكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاءوا
اليه مع ابيهم خروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ولم في التعبير نزغ الشيطان بينه وبينهم
ما يقدح في نبوتهم على القول بها فان نعم لا نضل خلفه واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين
والنزغ ادنى حركة اي نعم انه مني تحرك عليه او نقص على عدوه واراد الشيطان ان يلهم
ان في وسوسة اليه ان يستغيث بربه لكنه امر وهذا من تمام عصمته لا تزلم تسلط عليه
باكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من فيض فيه له عليه ومن كيدهم انهم
وهي ما لا وذلك حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف وهي بيانه اي بوسعه
وفي تفسير النظم هذا الكلام بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي

صلى الله

١٧٧

صلى الله عليه وسلم في قوله ان يسرق فقد سرق اخ له قال سرق يوسف صنما لجده ابي امه
من ذهب وفضة فكسره فالقاه في الطريق فعيره اخوته بذلك واخرج ابن عباس عن
قتادة قال سرقته انه عمد اليه اخذ صنما كان لجد امه وانما اراد بذلك الخير فعيروه
في ذلك جماعة عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن جريج فزاد ان امه امرته
بذلك لانها كانت مسلمة قال الشافعي كان زيد هذا من العالمين بالقران فالحاصل
انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له فهم لم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه انهم فعلوا
تعبيرا عارفين بل عما في غاية الرفعة والمدح كما ذكرته في كتاب سعادة الدارين
في صلح الاخوين وذكرت فيه ايضا غير ما سبق وملخصه اعلم ان قصة يوسف مع اخوته
عجيبة تشتمل على غرائب وعجائب وحكم واحكام وعبر وامثال وفضل وانخفاض وعلو
وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر خير عاقبة الحمد وعلى نصرة المحق وان لم يكن له اعوان
وعلى خذلان المبطل وان كان اعوانه وانصاره والوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى
ان التباغض والتحاسد بين الاخوة اوقعهم فيما يسلم منه غيرهم وانهم وان كانوا وصلوا
وصلك ما بينهم ترك معاقبتهم ومنابذتهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء
بل انبياء نبيين على ان تقول قولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط
اولاد يعقوب فكلفنا ان نؤمن بالايمان بما انزل الى ابيهم وما انزل اليهم ظاهر في نص
في انه انزل عليهم وما يجب الايمان بر احاديه وهذا صريح في نبوتهم وعليه هذا يشكل
ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكبيرة التي ظاهرها يجب تنزيه الانبياء عنها

نبياء على الا صح بل الصواب ان الانبياء جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها
من صغائر المعاصي كبائرها سهوها وعمدها واجاب بان ذلك يأتي على مذهب كثير من
بل هل عن الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها ولا على ان يجاب بان هذه
الاصول مما نستشكل على قواعدنا اما على قواعدهم فنحن لا نقيد بذلك بل نفرض انه
يوافق مذهبنا في ذلك فيحمل ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه بيوسف كثير من
كالتأثم ببغضهم حسدهم وهو هذا من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو
نبا على عدم نبوتهم كما هو قول فيه لمخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل
له كيف نقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء والحاصل انه
يجب علينا الايمان بنبوتهم وبرائتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارته ا
المذكورة واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبرهم عليها
فقالوا رضي الله عنه وصحبته فتأسوا اي تعزوا اذ التأسي تعزي من تأسيت فلان تعزيت
براي جعلت حالي على حاله ففي التأسي تسكين النفس على الامر الشاق وتصبرها عليها والتعزي
الحمل على التصبر [illegible] بعد الاجر فمعنى التأسي والتعزي واحد ومتقارب وسائر ذكرها طلب
الا ان لاختلاف لفظهما عوضا قبلكم من الكمل في ذلك اذ وقت اولا جلاء ظلمهم من الكفار
منها لاكمال الاختلاف [illegible] النظم الينا بصيرته من اهل النفاق والشقاق وهو
اخص من التذييل اثركم الفاعل لا اهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي نظنكم اهل الكتاب
فيهن بما هديتم الله عليه فاظهرتم الحق ودهم على العمل [illegible] فانتم الذي

من مع المفعول الثاني خانوا ما عاهدوا الله فكتموا الحق وابوا قبولهم من فيهم ام منصلة بها
معادلة للهمزة السابقة ت ان ام اهل الكتب لحسدتم في اتباع بعضكم في جميع ما جاء به فلم تقبلوا
منه شيئا قط ولم تبدلوا في حاضر ولا بعد فانه اذا سالوا التطهير فلم يتمسكوا على العمل
بما جائهم به سليم بل بدلوه وغيروه ابائهم لما ابا لهم من الحظوظ الدنيوية بل لا
شيئا من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع الانبياء صلى الله عليهم وسلم انتهيت اي
تتابعت واستمرت على التجاهل المحب لبغض الحق واتباع الباطل اي انها والجهل من بعضهم
مع علمهم بالحق وانتم على خلافه وتجدوا بها واستنفقتها انفسهم ظلما وعلو ابائهم بينه
وبين الانبياء الطباق كما في [illegible] اي تبعث [illegible] الباطنة [illegible] وجدنا ابائنا على امة
على اثارهم مهتدون [illegible] اي الحق الذي من جملته نبوة محمد وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم
المنزلة على موسى صلى الله على نبينا عليه وسلم من [illegible] لنخرج [illegible] ليسئلونهم
والانجيل المنزلة على عيسى [illegible] من قبل البشر اخبر التي لهم كما حكاه تعالى عنها بقوله عز
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
لانا في هذا جمع التأخر له [illegible] باعتبار افراده وهذا من اعظم الادلة على صحة نبوته وعموم
رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على
اهل الكتابين ولم يحتسوا ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذا صرح بذلك ولم يعرض
كانوا عالمين بصدق كلامه فتخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون
الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابنائهم يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم

نعم ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم ما عرفوا

كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه

فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى

اتجدني في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الخ فقرأ

ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك

في كتاب الله اي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي

ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها

ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله

يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب رضي الله عنه

والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انها نقل عن التوراة والانجيل نحو ذلك وزيادة

عليه وفي التوراة تجلى الله من طور سيناء اي بتكليمه موسى عليه السلام واشرق من ساعير

اي بتكليمه عيسى عليه السلام واستعلن من جبال فاران اي جبال ابن هاشم المطلة على شعبهم بمكة

بارسال محمد منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل كالتوراة من ذلك

ما يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى في حجب اي ذلك الحق الذي بينته كتابا

وهو لا تكاد بعد العلم شركاء اي صنف كون لعنة الله عليهما ان شرطيه تغيلوا يا اهل الكتاب

ما نافية بينته اي التوراة ولا الانجيل الحق المذكور فما زالت بها اي التوراة ولا الانجيل

عن عمى وعشواء بالمعجمة والمهملة اي عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق من قولهم

ركب

وركب فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وقولهم ركب متن عمياء خبط عشواء

وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط امامها فهي تخبط بيديها كل شيء فتنبه الاشارة

للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشى بالظلمة الملازمة

والاستعارة التخييلية في اثبات الظلمة للعيون والى تحجبه في قوله ما بينته لانه يناسب التستر

اي نقل اليكم بينته كما هو الحق فما اي فاي شيء حصل الماذا اي لاجله تسمعكم حتى انها

مما نقل له اي التوراة ولا الانجيل واسناد القول اليهما فيه الاستعارة التي ان النقصان

انفاده كذا في قوله الا نقص من طغيانهم الخ وقوله وكلاهم صماء اي فيه سامعة تسمع

اي فلا موجب الاعراض من ذلك الا محض العناد والحسد عرفوه اي الحق السابق معرفته بنفسه

ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه

طباق وذلك نتيجة الالزام السابق ظلما مفعول لاجله كتمتها اي الحق المذكور اي الشهادة

بدل اشتمال من كتمته اي كتمت الشهادة بر السهداء اي الذين هم اهل الكتابين لانهم الذين

عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك لما سبق حسدا

وعنادا وصاغها وثباتا على ضعفا ثم لينفي ما بان لهم منهم ونكتة ابهام الظاهر موضع المضمر

اذ الاصل كتموا الشهادة بر التسجيل عليهم بما فيهم انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم

وحقية دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشعار

اتيانه بلفظ الشهادة لانه ابلغ من العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذا اي الشمس

فاشهدوا من ثم لم يكف قوله اعلم يكتمون ذلك او تظهرون الضلال وقوله الذي هو

النبوة والرسالة ولا له المعبق بالحق تطفئه من اطفأت النار اذهبت حرها الافواه اي الالسنة لنبوته
بالباطل وهذا من كلام البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره وكيف يطفئ اذلك النور الالهي وهو الذي يستضاء بها والدنيا
اي يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب انهم على ضلالهم وادعاء انهم يحققون
ينكرون نبوته ولا ينكرون وجحدتهم اي هلكتهم وجاها اي اسلمها عز الهيجاء اي حرب صلى الله
عليه وسلم اي لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي لهم الرجوع عن الضلال ولا معارف بانهم
ان استمروا عليه طحنهم صهم بوحي حرب كالطحن اباؤهم واباؤهم واهاليهم بجلاء بني النضير
الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير السلاح وقتل
بني قريظة لسدة نائبه وظهور نقضه عهد عليهم وكساهم ثوب الصغار اي الذي كتب الله
على هؤلاء القائلين من بني قريظة استعارا الالباس للصغار على حقيقة قوله ثم اذاقها
الله لباس الجوع والخوف ثم فرغ عما يلايم المستعار وهو الكسوة وعما يلايم المشبهة
وهو طلول دماء يصون دماء فلا ولي نحية فالثاني بجهبه والحال انه قد طلت اي هدرت
دماء منهم كبني قريظة وصينت دما منهم كبني النضير او المراد دماء المسلمين لان الله جعل لهم
الغلبة الدائرة على عداتهم واذا تقرر انصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة
حق لهم ان يقال في حقهم كيف يهدي اي يوصل الاله منهم الى ما حسوها اي عليها من هي بمعنى
اللام المعقول حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله البغضاء اي شدة البغض لحبيبه
يتعلق على بعد انها للتعليل اي من اجله او البدل اي حشوها بغضه بدل حبه وفي هذا الاستعارة

السابقان

١٨٠

السابقان ايضا خبرونا اي اعلمونا يا اهل الكتابين التوراة والانجيل من اين سنفها
الكاذب اتاكم تثليثكم اي ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن
وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البداء بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو
كان يظهر مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ اي لم ياتكم واحد من هذين
عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم يهدكم تقليده حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء
غير صحيح لغة لان من بدا بدا ثم رده بان ابن دريد ذكره قال التبريزي هو بالمد
من قولهم بدا لي في الامر اي تغير رأيي فيه عما كان نقله الزركشي عن صاحب المحكم
عن سيبويه وقال السهيلي الاسم البداء لا يقال في المصدر قال ومن جعل ان البداء
الظهور كان البدا في حق الباري سبحانه محال لا يبدو له شيء كان فاتباعه وبمعنى
بدل بمعنى اراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله ان يبتليهم اي اراد
الاظهر لانه كفر كما يأتي ما اتى بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله تعالى
واعتقاد وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر كاعتقادنا
فصحيح والا كاعتقادهم فباطل لا نص فيه اي في اثباته وهو ما لا يحتمل
لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات العشر المقررة في محلها دون الدليل
الاعم من ذلك لان الاعتقادات لا يكفي فيها الدليل الظني اذ ما اي باطل لا نزاع
الخلاف في الدين بحجة التشهي كالنص حكم العقل القطعي فالاعتقاد المستند اليه صحيح
وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص اليه كايات الصفات

واحاديثها لان ظاهرها محال على الله تعالى فيجب صرفها عنه بتأويلها بما يليق في العقل
وانكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها لكنهم ما اعتقدوا ظواهرها من التجسيم والجهة
وما طالوا في ذلك بما كانوا سببا لحقهم وتضعفهم في الدنيا والاخرة والدعاوى بنسخ الولد
ونحوها كالنصارى التي يقولون بها معشر اليهود والنصارى ما مصدرية ظرفية لم
تقيموا عليها بينات اى ادلة قطعية لان الكلام في الاعتقادات وهي لا يفيد فيها
الظني ابناؤها اى اتباعها ادعياء اى باطلة والدعي في الاصل من ينتسب الى شخص من للكذب
وهو نسباه الانسان وليس بابن وانه عرف نسبه شبه دعاويهم بولد الزنا بجامع فيها
كل قبحه وعدم الاعتداد بما نشأ عنه لانه ناشئ عن اصل فاسد وهذا استعارة
بالكناية ثم تخييل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى هو ولد الزنا وهم الابناء
الذين هم نتيجته ثم ترشيح بذكر الادعياء المناسب للمشبه به وبين الادعاء والدعاوى
والادعياء تجنيس الاشتقاق وشبهه كخلطوا اى الخلطاء والصفات وفيه الاثبات في
النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين الحمليتين المنتج انتاج الشكل الاول وكبراه
الذى لا نص فيه دعوى والثانى الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذى لا نص
فيه باطل تنبيه فرق النصارى نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف
وقد ساق الناظم البحث مع الكل والرد عليهم اجمالا واكثر الكلام مع القائلين بالتثليث
لانهم الاكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة الاية ليت شعرى اى علمى اى ليتني علمت لما تقولون انصفوا حتى تكلم
معكم

معكم انصافكم في رده ما بلغ هنا وهى ذكر الثلثة الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة
الاب والابن وروح القدس و ذكر الواحد الصادر منكم تارة اخرى حيث زعمتم توحيده
نقص في عدد ام نماء اى زيادة بحيث ذكر ثم التثليث كان ذكركم التوحيد نقصا حيث
ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم
تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال منتجا منهم كيف يحكم
ايها القائلون بالتثليث الها نفى التوحيد عنه الابناء والاتباع الذان اثبتوهما في دعوى
التثليث ايمكن ان يوجد الله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لانا ما سمعنا بالله الذى
اجزاء او جزآن اى يوجد له كذلك بل ولا نعقله لانه مما يحيله العقل بالبداهة كما
يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء او متعدده قيل
لهم الكل منهم نصيب اى خصوص ملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا
حذفت الفاء الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبناء للفاعل
اى تميزوا او للمفعول الانصباء اى نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على
ما زعمتموه ولا تميز ولا تعدد كما هو بديهى وبين الالوهية والواحد والنقص والتماثل جناس
التقابل كالحاجة والاضطرار والاقامة والاحياء الاثبات فان قالوا لكل نصيب او
انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم انا هم اى اظنهم لحاجة الجاه او اضطرار وهو نسبة الحاجة
الى الشيء بحيث لا يجد منه محيص عنه خلطوها خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا لهم

الا له لا يحتاج ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره
دليل نطقي على عدم الوهيته فان قالوا خلقها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا يستحق
وجود شيء كله دائمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما كانا ناهيه اي ظلم الخلطاء اي الشركاء
اي بعضهم على بعض لا ينتصر ذلك بل متى حيث شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم
كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا لم يقع فعل
احدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام
هذا العالم لان الغرض دفع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دائما الذي
مجوز العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرآنية والسلامية
العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل الزم فانه الكفر بعض المتأخرين
والتفسير لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل
من عرفها حكم ان شريكين في الايجاد والامداد لا يتصور دوامها على الموافقة لان من شأن
النفس ان لا ترتضي شريكا معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على كمال
الاتقان واحكم قواعد السموات والاكوان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا فان الاله
لا شريك له وبيان بطلان التثليث من وجه اخر وبيانه ان عيسى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطعام
كما يعرف ذلك بالتواتر عنه فتوجه قال لهم اتقولون فحال ذلك عيسى الطعام هو اي الاله
الطعام فان قلتم انه هو فهو كبير يستدعي حدوثه وتغيره وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون
عاجزا ولا حادثا وما زعمتم يلزم عجزه وحدوثه فيا عجبا لله يتعجب من دعواهم للمسلمين

ذلك

ذلك يمينه لا محالة في التعجب ام منصلة لمعادلتها الهمزة تقولون الثلاثة الذين تزعمون الهة
جميع مثل الحمار فقال لكم لغفلة وجمعهم اي الالهة بجميعهم اسماء صيغة مبالغة من سمى وضع
اليه يحتاج الى ان يسمى برهان فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما
قبلها ام منصلة لمعادلتها للهمزة تقولون سواهم اي الثلاثة الذين على الحمار هؤلاء نسبة
ما سببها صيغة السبق معينا اليه خبر نسبه والانقاع هولاء نشابه تعطف ما دفع على نسبه اي
اخبروني عن اثبات عيسى وما نشابه الى الاله حج هل يوجب التثليث الذي تزعمونه كل
عاقل يجزم بانه لا يوجب بل ولا يقتضيه وقوله فانتم له وما بعده تذييل مشكل ام
منفصلة كذلك تزعمون انها الالهة ان دينتم بها اي بالثلاثة التي تزعمون انها الهة الصفات القائمة بذات الاله
والصفة ما دل على معنى زائد على الذات فلم ما لكلام اتفاقا عليها خصت تلك بالتعريف بلغة
بوصفه اي الا وثنا نعتم ان لها معه وليس غرضكم ثلاثة واثنين اثنين فالمراد هنا ليس
ذلك التكرير بل نفي الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة ولا يبين فقط عند من
ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد والثاني اثنان فقط على
كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاثة فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقوله
عاقل ام تقولون هو اي عيسى ابن الاله فقال لكم لم اختص عيسى بذلك حتى انه ما
نابه مالكه في معاني النبوة الانبياء بل عيسى يشبه الانبياء في ذلك على حد سواء
فادعاء النبوة لعيسى تحكم باطل قتلته اي عيسى اليهود حالكونهم قلتم له انما هو فيما
اي في المقتول الذي نعمتم معشر النصارى والتزم اصله وموضوعه قوله كذب ومن ثم

قالت العرب زعموا مطية الكذب فلذا يستعمل بمعنى قال مجازا عن التكذيب كقول ام هانى للنبى
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم اى قال ابن امى اى على كرم الله وجهه انه قاتل
من اجرت فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى وكيف تزعمون ذلك والحال
لايمانكم به اى بسبب معجزته **احياء** وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لا تزكمونكم
يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى من يمكن منه من قتله فصدقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق
على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت ولكم تقعون فى التناقض الصريح
ولا تشعرون له وعلى كل حال **ان قولا** مما حكى منكم كقولكم بالتثليث **الاقنوم على الله**
اى تقولون انتم واصائكم على آلهة **ذكرا** اى شيئا وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة
لقول هراء بضم الهاء من هراء الكلام اذا كثر فى الخطاء وفى نسخ بالزاى من قولهم هزء
بالتسكين اى مهزوء به يضحك ان ذكرا ثمن عز تعالى اى تعالى ذكره وهذا من القول البديع
الجامع **مثله** ويجوز نصبه حالا اى لقوله هراء حال كونه مثله ونعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا
محذوف اى هو مثل **ما قالت اليهود** اى فى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان
تفصيل كل من المقالتين **وكل من الفريقين نقضه** اى نقض عن **مقالته سفها** اى تجهلا **اذ هم**
بالبداء اى تبعوا حتى قالوا ما قد العشيرين منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ مثله
بمثله لانه يوهم البداء فظهور مصلحة بعد خفائها ومنع نسخ ما مضى لا حكم
الرؤية ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وما قال بعض المسلمين الحكم الثابت لا ينسخ بل
ينتهى فلا يكون نسخا فممنوع بل هو نسخ والخلاف لفظى واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه

وسلم

١٨٣

ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى هل هى ناسخة لشريعة موسى او مخصصة
والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال الامام فى تفسيره
وديانات الرسل بعد موسى كلهم على شريعته الا شريعة عيسى **تنبيه** ذكر الامام ايضا
فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه
بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا
ومجامع هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومنها ما
لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع فهذا يمكن طرق نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال
البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمنع
الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم
ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع
عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر وقال فى حكمته ان الخلق طبعوا
على الملالة من الشيء فوضع فى كل عصر شريعة جديدة لينشطوا فى ادائها واعظم حكمة
اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته لا ناسخ لها وفى النسخ ايضا
ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدواء فى يوم وباخر فى يوم ثان وهكذا بحسب المصالح
والى كان الثانى افضل **تنبيه** اخر ما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البداء ما نظن ان المصالح
الداعية للنسخ ترجع الى احوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضى ان
الله تعالى ظهر له شيء بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزم فمنعوا النسخ وزعمهم كفر الى ان

انه يجوز البداء عليه لو وقع النسخ منه وهذا غلط فاحش ناشئ من كثرة الجهل فعلم الجواب عن قولهم
الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين جميعا
ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعلم العادي قاض بان الفعل قد
يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة
في حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حسنه كذا ينتهي بوقت او فعل كذا قالوا ثانيا السمع
يمنع النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه
ما يقتضي نسخه فهو تناقض فان لم ينضم له ذلك كفى في العمل مرة فلا يتصور فيه نسخ
قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم في
زمن بخت النصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا عدد دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم
الا ستة اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمان الطويل كما في التوراة في مواضع كثيرة وكم
اي مرة كثيرة ساق وهاه اي هذا عليهم استقراء وفي هذين كفاية لمقاله السابق جاس
الاستنقاذ لكثرة العجز على الصلب في المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق في الفوهم
وفي الفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والتصحيف وقوله وكم اوغ التذييل البديع فانهم
اي وعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يعلموا اي لم يعتقدوا
في ذاته سبحانه وتعالى فلا يشاركه له بوجه ما الفهاء في الخلق اي يخلق على نهج ما اراد
ويصح تعلقه بما علا وخفي على صالحها فاعلا ما يشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم عجزه حتى اذا
النسخ جواب لو لانه يخرج بها مثل ما مصدرية حق ذا المنع عليهم لو انهم فقهاء اي فهماء

ولانهم

ولانهم لهم ادراك ابلد في الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والنقل كنسخ الشمس
الظل والريح الاثار ونسخ الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي
متراخ عنه فيه مفاخر لخروج الاستثناء وفيه ان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه
فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه
علم حقه لا يلزم عليه محذور البتة فزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل
على جوازه وقوعه ما علمه اليهود من وقوع النسخ وهو تحويل الصورة الى اقبح
منها في كثير منهم في زمن موسى لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير
كما هو منصوص في كتابه العزيز كيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه الا ان يرفع الحكم
الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او
نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف
من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ
يكون الى بدل والى غير بدل فان كان الى بدل زيد في الحد بالحكم الشرعي فان كان الى
بدل لم يرد ذلك خلق اي ايجاد غير اي المسخ للصورة بعد ذهاب الصورة الاولى [illegible]
اي صحيح برفع الحكم الاول وايجاد الثاني سواء لما قرره ان المسخ غير رفع الصورة الاولى
وخلقها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلفه الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول
لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم سفهاء معاندون لا ينفعك اليكم وكيف تستطيعون النسخ
لما كان فانه ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو الذي رفعه والحكم من الناسخ انتهاء

والناسخ وهو المراد بقوله وحكم من الزمان بدلا وكلامنا في هذا التفسير النسخ بالرفع لما علمت

ان المراد رفع تعلقه بالمكلف ودوامه وهو لا انتهاء المذكور هنا وقول الشارح ان ادا اسا

الى التفسير في النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تعبيره بما قلنا كما هي

في محله فتامله وعلى كل في ان النسخ اولى من جانب المنسوخ لان ذلك في الاحكام هذا

في الذوات سواء جعلنا النسخ نفسه بيانا وسواء جعلنا المنسوخ في صورهم حتى هات

اذا وجهم من المرء منهم لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجئ القرد الى قريبه ويتنسخ

ويدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة فيشير براسه اى نعم ام في قلوبهم اخط على

ما ذكره مجاهد والنظم يشير الى هذه القصة قضية تلميح وبين ابتداء وانتهاء طباق

واذا اردتم ايها المسلمون المبالغة في ادحاض حجتهم فاسئلهم قائلين لهم الكل في

الثقة عن خطابهم مبالغة في تحقيقهم قردة في الصورة كما هو المشهور في قلوبهم وعليها

كقلوب القردة لا تقبل هذا مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد نسخ لآيات الله

وهي الصورة الاولى مع احكامها اى الادراك الاول بناء على قول مجاهد ام انشاء

لا يجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها الادراك كذلك فان قالوا بالاول

ناقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة وان بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المنسوخ تردد

انشاء الخلق وبين النسخ لا تبر بالتبشير للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للصورة

المجددة القبيحة انشاء لا يقال قد لا يعرفون نطق التغيير على قلوبهم بناء على قول مجاهد

لانهم اعترفوا بعد في قولهم قلوبنا غلف اى مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جئتنا به

بالمد

185

بالمد يسبق معناه وهو مبتدا خبره في قولهم التائب فيهم وبعضهم بعدهم الله على علوى ادم

ام خطاء المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بداء اى اسلهم

عن قولهم هذا هو عن قصد منهم او عن خطاء منهم فان قالوا عن قصد كان هو البداء الذي

انكروه لانه يستلزم جهل الله ثم بعواقب الامور وح فكيف يمنعون النسخ في ادم لكونه

عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا الله اخطاء منه فيكفيهم الا عتقاد على نفسهم

وانهم في غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الا متناع بالبداء ولا بالخطاء فالنسخ بطلان

زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس صرح

في القران على طبقه فقولوا اعلامة الليل والنهار باقية فلا تزول احدهما بالاخرى

ام محى اى اذهب الله ايه اى علامة الليل اسم جنس جمعى واحده ليلة كتمرة

واتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة ذكرا بضم الذال مبينا اى من جهة الذكر اى التعلم

والتعهد بعد سهو ليوجد الاوصاف اى الدخول في المساء وهو ما بعد الزوال

والمناسب الى يراد بها هنا ما بعد الغروب اى سلوهم هل هذا الملحوظ واقع ام لا وبفرض وقوعه

هل هو عن عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لا نه

اما الثاني من التجديد الاولى فقد كابروا الحس ومن التجديد الثاني فلزمهم القول

بالبداء لان من يجيز السهو يجيز البداء لا نه بمنزلته فلم يمنع النسخ حذرا منه وقد

بين نعم حكمة اختلاف الليل والنهار في غير اية فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم

الليل سرمدا الى ايات وقال وهو الذي جعل لكم الليل والنهار خلفة اى يخلف احدها

الارض لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما
تقتضي دوام اسباب بلا تبديل ولا تغيير تقتضي تبديلها وتغييرها وفي ذكر ابدال سهو
خباس الطيان لحيته والتحليل وتحليلها من الانبات ام بدا لله في ذبح اسحق
حيثما يهيئ ثم نسخه والحال انه قد كان الامر فيه اي بذبحه من الله لخليله ابراهيم
صلى الله عليه وعلى نبينا وعليه وسلم في النوم اي ماض نافذ وفي نسخ قضاء ح بالعاق بهم
وذلك لان رؤيا الانبياء وحي اي سلوهم عما وقع للخليل انه امر بذبح ولده امر حان
ثم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه نعم فامر بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال
ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر وهو تعلل مما يذكره الخطباء
والقصاص فكله لم يثبت فيه شرع فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح
لزمهم القول بالنسخ مطلقا فقد نسخ لزمهم الجهل المفرد والعبارة الشنيعة تنبيه
ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثر وقيل واجمع عليه اهل الكتابين
لكن سياق الآية والشاهد بان اسمعيل هو الذي كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق
حج ولا اتى تلك الاماكن فاشبه بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح به
روى الحاكم في المستدرك ان الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية فتذاكر القوم اسمعيل واسحق
ابني ابراهيم عليهم السلام فقال بعضهم الذبيح اسمعيل وقال بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية
سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى اعرابي فقال له يا رسول الله

خلفت

خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم
رسول الله صلعم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر
اري في المنام حفر زمزم نذر لله ان سهل له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم
فاقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك
وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول واسمعيل الثاني وهكذا رواه
ابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم انكرتم النسخ وتقولون
ما حرم الا له نكاح الاخت بعد الخليل في زمن ادم صلى الله على نبينا وعليه وسلم اتقولون
حرمه بعد ان حلله فهو اي نكاحها زناء موجب للرجم وحد الزناء لغة فان قالوا حرمها بعد
ان احلها فهذا بعينه النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها ولم يحللها فهذا محض
وقاحة لا يخاطب ولا يكالم واذ قد بان للفسيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فاسكت
حجاجهم لا يكذبان لليهود والحال انهم قد ناقوا اي مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفها
وحسدا ومكرا اي غيظا لوهاء جمع لئيم وهو الذي لا اصل له الشحيح النفس جحدوا بدل عن
المصطفى اي المختار من الصفوة او المصطفى من كل نقص اي انكروا نبوته ورسالته بعد علمهم
علما يقينيا قال نعم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والحال انه قد هووا بالطاغوت وهو
الشيطان وكل ما عبد من دون الله او صنم او عابد غير فعلوت من الطغيان وهم عندهم شرع
هذا كالذي بعده بيان لعظيم لومهم فيه غير الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا اي
امنوا بالباطل واحتجوا على ذلك بل دينهم مع ذلك من شر ما بهم ثم ذكر الناظم ان المؤمنين بالطاغوت

فرقة من اليهود لا كلهم ليس كذلك بل كلهم امنوا به كما يصرح به قوله تعالى الم تر الى الذين

اوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين

كفروا اى عن اشراف قريش ان كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا فتعجب من الشارح

حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل به بالاية مع انها انما تدل على الكل لا البعض ولعل

ان المراد بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شركاء بمعنى لا يبرح ويقولون اى اليهود

كفروا اى عن كفار العرب للذين امنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويدل

على هذا ان حيى بن اخطب لما ذهب الى قريش فيهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم

ومعه اشراف اليهود سألوهم انحن خير دينا ام محمد قالوا نعم خير ... فخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم

تنبيه جعل الواو محالا للعطف الدال عليها حذفها من قتلوا الانبياء اى لى من قول الشارح

انها عاطفة وان المسوغ للعطف ... الجملة بعده اى لما قد ... فيه ان ...

بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا فيه غاية الغباوة واللوم واحتجه الى ذكر المسوغ

شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة بجهة جامعة فهو يكتب

ويشعر بوجه فى النظم ولا له لما قبله السابق لانه اتى بابدع جعل صحيح سبعين

... نظرا للمناسبة المعتبرة فى ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم

نبوة نبينا فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم الانبياء واما قتلهم مع ما قبله فلا

مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قتلوا بدل بعد ملك العطف بحذف ... بناء على انه

يكون مناسبة لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما حاء انهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا

ثم اقاموا سوق بقلهم معا شأنهم واتخذوا العجل لها وعبدوا مع ان السامرى هو الذى صاغه لهم

بعضه فهم من الحلى الذى استعاره من القبط قبل غرقهم والقبضة قبضة من تراب اخذه من تحت حافر

فرس جبريل الذى جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه ... كان الحجر

عن دخوله فنبحر انه القبضة تلك القبضة خور فقال لهم هذا الحكم واله موسى فاجاء على

النجفة كلامه فاعتقدوا لها كما قصه الله علينا مبسوطا فى القران ومن ثم كان فى

اقتباس كقوله الا حرف تنبيه لاستفراغ سمع السامع فى الغاية سمعه لما يعقل انهم

هم السفهاء ولكن لا يشعرون فجهلهم مركب فلا سفه ولا غبى منهم جميع سفه وهو

... نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة راى والطرائق بصيرة ومن ثم لم

يبطنوا الى كونهم عبدوا بعض ... من جماد ولا له لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل و

ثم بين انواع سفههم بقوله ... لما وقع لهم من سفهه خبث قلبه او سببه ومشوع الا شداء

به ووقعه بيانا لما قبله كما تقرر من بانه اى خبز المن والسلوى وهو نوع من الحلو كان

ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الانحطاط وهو السماء طير من اشبهها الطيور لحما وانفعها

واطيبها غذاء كان يأتيهم الى مجالسهم فما نهوا ... فيأخذوا منه ما شاء

وان خفاه الفقه اى الثوم كما فى ... وقيل الحنطة وهو بعيد عن السياق لان الحنطة ليست

الادنى والفاء بل سال فيهما فى فطاتها قال ثم تكبا لهم بعد ماذكر انه نزل عليهم

المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت

الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى

هو خير نفي كلامه اقتباس لطائف بعين ساحره واضاءه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والقوم والضياء
ملئت بالخبث وهو ما ساكوه وما معه منهم صفة نفقت فصارت حاكية بطونه ليناسب ما نطق
عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة والمراد ملئت بطونهم بالآثام الخبث اى الخبائث
التى لا دواء له وهو العذق وما بعده والى هذا يرشد ما دلت عليه بقوله فهى اى
مشتملة على ما يؤدى الى النار لو سمّاها نارا اعتبارا للمآل كما فى ان الذين يأكلون
طباقها اى النار الاطباق اى المصدر اى معاقبة نار ثم معاقبة نار وهكذا والى
الاولى يرشد قوله ملئت بالخبث المشعر بان بطونهم صارت برهان ذات طباق
طباقها هى معاشهم الخبيثة ويصح ان يراد ان بطونهم صارت كأن ذات طباق بعضها
فوق بعض فطباقها معاشهم اذ الخبث الذى ملئت به يرمى الربا والسحت فاذا دخلها خلط
المصاير اليها بعضها فوق بعض فطباقها معاشهم اذ الخبث الذى ملئت به يرمى الى
والسحت فاذا دخلها خلط المصاير اليها بعضها فوق بعض واما الخبث بعضه اشد
عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى كلهم ولكنا بهم عذابا على
عندنا فى الاصول انهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها بخصوصها فى الاخرة وعلى
مقابلة هم كفروا من جهة بعضها اشد من بعض لو شططه انهم وافى حال سبت مصلى سبب
اليهود اى عظموا سبتهم بالسكوت فيه عما هو عادة واصل السبت القطع مخبر الشام ان ذلك كله
كما هو اى جماعة وكل من الظرفين متعلق بابدوا على ان الثانى مفعول ويصح كون الاول حالا من
اى لو لزم ابداه اليهود فى حال سبتهم الذى فرض عليهم تعظيمه كان سببا لسبتهم الا وهما اى عنهم

يتغلب الباء هذا من جهة رتبة على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى قوله لما كان
ولم يبيّنه الشارح على ذلك اولم ينتبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط وهنالك
والسبت اخر الاسبوع ولا يجاوز بعده وقيل السبت ان لا يجاوز خامسة ولعل
كان الناظم نظرا الى انه السبب القطعى كاتب والى ان الا يجاوز محل النور الحسى لما بان
اهله على النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذى هو الاصل فكأنه يقول لو ابدى بهم
الخبث لجعل قطعهم محلا ولا ينافى ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار ما فرض عليهم
من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار انه لو ابدى بهم تمام الخبث ما جعل محل
عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهو مما يؤذن بنقصهم وانهم لم يبد بهم كمال
الخبث ومما يوضح هذا ان الله ادخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ
مقام الجمعة مقام الوصل الذى هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن
بقطيعتهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحشتهم ونفرتهم عن مواطن الخير
والسعادات فكان فيما خص به كل امة من الايام دليلا على حالها وما يؤول اليه
امرها فنبه الناظم على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة
وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك انهم لو ابدى بهم الخبث لكانت الايام كلها
عندهم سبتا بجعلها جميعها بالعبادة وما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقيته الا بسبب
خصوص حالة ما ابدى بهم من خلاف الخبث وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى
حال سبت ذكى شأنه ويكون ذكرا لا يجاوز للمناكر للتقييد ويكون قوله هو يوم له نحو ما

الى الصدر ما شرع لهم كما بينا فيما قبله لان توكيدها بينا في اذ تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع
عن غيره واعلم ان قول السادس والسبت آه عجيب فانه ما حكاه بقيل هو الذي صح بل هو
وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب
بل قال السهيلي في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرح
المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال
خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم
بعد العصر يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل وهو
المنصوص للاسنوي كالسهيلي وابن عساكر ان اوله السبت وجرى النووي في موضع على
ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب بانه
جرى في توجيه التسمية المكتفى بها بادنى مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله
الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه
الحفاظ علي ابن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه
منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظ
والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد
الرفع وخرج طريقه في صحيحه فوجب قبولها وممن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت
مما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام

وادم

وادم خلق يوم الجمعة انما يصح ان قيل بان يوم الجمعة غير داخل في الستة التي فيها خلق العالم
ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فصل خلق الاشياء وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو
يوم الجمعة ولم يثبت انه خلق اخر الايام وانما اخبر انه خلق العالم في ستة فاخرها
الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كتبه وبيانه خبر
مسلم المذكور ظاهر في ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله تعالى هدانا ليوم الجمعة واضل
عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما اعتقدوا ان اول الاسبوع الاحد كان الجمعة
سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا
الاحد وهو التالي واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع وهو
الجمعة قال ولا حجة في تسميتهم الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت
ما بين من الله ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذها العرب
عنهم ولم يرد في القرآن الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء الاعداد انتهى على ان
هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد اربعا وهكذا وهو
الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كاد ان ينفرد به ان يوم عاشوراء هو يوم تاسع
من المحرم وما سواه تابع منه وهكذا هو اي يوم السبت يوم مبارك لان الله تعالى
ابتدأ فيه خلق هذا العالم خلافا لما زعمه اليهود انه ابتدأ يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة
قبائحهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب

اى نعيبهم عن ذلك على آكبرا ادكا يتصور التعب لان من حادث منقطع للعين فى الاسباب
والله منزه بخلاف ذلك كله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى نوجده فوال
فلا يتخلف عن الارادة فقوله كن كناية عن ذلك فبل مناقه للمجهول الضيق النظر فلا يتوهم
انه قول ضعيف للتضعيف اى للتضعيف فسبح ادهم من اليهود اعتدا اى ظلم وعدوان كان
سببا لمسخ كثير منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما امرهم ان يجردوا للعبادة اعتدى
منهم ناس منهم فى زمن داود حتى انى عشر نفلا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب
البحر فابتلاهم الله بان الهم السمك يوم السبت اثر ما يعج حوت فى البحر ودنع خرطومه او
خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجمع راى جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك
ويمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا جانب البحر وجعلوا منها جداول
من البحر فصارت تملا منه يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فنهتهم
فسألوهم فاخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم ثم لما لم يعاملوا بالعقوبة شرعهم فرق
ثم جماعة حتى صاروا ثلث الثلث يمسك ثلث الثلث لو عن نهيهم الثلث الباقى فبنوا بينهم حائطا
فاصبحوا وقد مسخ الثلثان الاولان قردة وخنازير وكذا الثلث الثالث على خلاف فيه اى الاولان
فيه محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضى الله عنهما لا ادرى ما فعل الله بالثالثة فحاها
ام مسخها كذلك ثم قال ما لك فى هذا فخى يوم الحيلة وجنس الذنب انهى وعدّ باب المقرة
فى الاصل ان شرع من قبلنا ليس شرع لنا فان ورد فى شرعنا ما يوافقه بالتأويل هو شرع لنا
لا فيه فبظلم متعلق بعد ثم منهم وهو وضع الشيء فى غير محله كحيلتهم فى السبت وكلهم النى

بأخذهم اموال الناس بالباطل وكفر من عطف لاخص لزيادة الاهتمام بر هذا نم اى
اى فبظلم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ومن شأن الطيبات انه يوجد فى تركهن
الذى يعقبه تحتم الامر بالبلاء اى اختبار ومحنة للعبد يكون سببا لفلاح حران
هلاكه خدعوا اى يهود المدينة وما قرب منه بدل من نافقوا لكن ذلك عام وهذا
خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم سلطان الاسلام
فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع ثباتهم على كفرهم باطنا وكان هوى هؤلاء
مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار
اليهود هم الذين يعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن مكذبا لهم
تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها على احوال المنافقين الذين هم معهم باطنا
اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم انه اتحد بهم المكرون من حيث لا يعلمون بسبب
المنافقين الذين كانوا يصدقونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيخدعون لهم عن اتباعه ثم وسفاهتهم
كما قال وهل ينفق الا على السفيه الشقاء اى ما ينفق الشقاء لا على السفهاء
وهم اليهود لانهم شبه الشقاء الحاصل لهم بدابهم نصف يتخرج فى السنة فهى
اسعاده بالكفار واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو النفاق تخييلا وجعل
الى نفوذ النفاق اى الترويج تعليقه مشبه الشقاء بالسلعة المعرضة للبيع واثبت
لها النفاق تخييلا وترشيح اى جهة بذكر السفه الملائم للمشبه والمشبه به واطمئنوا من

مما كانوا يخافون من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب قول الاحزاب اي طوائف اهل مكة
ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد غزوة احد هو
في الكفر بهم اتاكم اي لياليه اي منازلون ومتفقون على حربه صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة
اليهود منهم اللعين حيي ابن اخطب اذا دث عدا وتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا
على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلعم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم
ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان و غطفان
ومن معهم من اهل نجد وقائدها عيينة بن حصين فاجتمعوا في عشرة الاف واليهود
قاطعون ما بينهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار سلمان
بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلعم هو واصحابه فلما جاء العدو
اليه خرج اليهم في ثلثة الاف فمكثوا نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو الاشهر
قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي صلعم
فقال اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فامره بان يخذل عنهم ما استطاع
فان الحرب خدعة فذهب الى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فحسن لهم التخلف
من معاونة قريش الا ان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا له
اشرت بالرأي ثم ذهب للعرب وقال لهم ان اليهود [illegible] ذلك وانهم [illegible] على ذلك
وارسلوا لمحمد بذلك وارسلوا يسالهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقدوا صدق نعيم
وانحل عزمهم فخذلهم الله وارسل عليهم الريح في ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم

وطرحت

١٩١

وطرحت خيامهم بلغه صلى الله عليه وسلم مما لقيهم ما هم فيه فقال لحذيفة بن اليمان اذهب
فانظر ماذا يفعل القوم ولا تحدث شيئا حتى تأتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول
لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد من بجنبي فقلت من انت فقال
فلان ابن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك
الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل فلولا عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم سمعت غطفان ما فعلت قريش فرجعوا
فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال لا تغزوكم قريش بعدها
ابدا ولكن انتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاء جبريل معتجرا
بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري انه لما وضع
السلاح اغتسل فجاءه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم
اي بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية ثم شد عليك سلاحك فوالله
لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي ان
تذهب اليهم في ثلاثة الاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين
ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم
انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فابوا فقال اللهم البتة فلعلهم امنوا
فان لي لعلكم تصيبكم منهم فقالوا انقض سببا وتحدث خبر ما لم يحدث خبر من قبلنا
الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا

على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل
رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم
بحكم الله الذي حكم به فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس
صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة
الى سبعمائة وكلا بابه الى اخر القصة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين
اتباع وبما تقرر علم ان الاحزاب خالفوهم اي اليهود اي عاهدوهم معا لانهم اتفقوا
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوهم في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم
حتى قتلهم عن اخرهم وليراد بما اذا تخالف الخلفاء فاراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل
العارف اغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك ولو كان ظاهرا وهو ان الله سبحانه اراد
خذلانهم فيفرق كلمتهم ويستاصل شافتهم تنبيه تجاهل العارف سماه السكاكي سوق
المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب اذ لا نكار والتوبيخ كما
هنا او التقرير في وما تلك بيمينك يا موسى سالموهم اي المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه
اليهود المسمين ببني النضير لاول الحشر متعلق بقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار اي في اول حشرهم واجلائهم من جزيرة
العرب الى الشام او من محلتهم الى محل اخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل ذلك

اى فى اول

اي في اول حشر الى القتال لما ياتي في قصتهم انهم عزموا على القتال فتسللوا والقى الله
الرعب في قلوبهم واخرجهم اجلاء عمن لم يخرج من اهل بلادهم او من اهلها الى الشام او
في اول الحشر الناس الى الشام لانها تحشر بعد ذلك لقتل فيقصدها الناس للاقامة
بها عليه فاخرجهم بها عند قيام الساعة لانها ارض المحشر وسعادهم اي المنافقين
لليهود انهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم صادق لانهم سولوا لهم فما
وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم ولا اولياء اي الحلف منهم لهم صادق اذ سكن
الرعب اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم خشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم والخراب
الاتي لديارهم قريبا من اليهود المحصنين وفيهم من اهل الخيبر فهذا
راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب نعاها اي خبر بتلك
البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعيا ونعيانا اخبر بموته اي بخروجهم
من ديارهم شبه في كونه مغلما بفقدهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان يخبر
بما يفجع وينعى فهي استعارة بالكناية وذكر النعي الملائم للمشبه به استعارة تخييلية
ويعجب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين
المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت فظاهر
النظم ان واقعة بني النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق وظاهر
وهو ما اوهمه كلام بعض الشراح لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا
الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل ما كان من اعظم

الاسباب في جميع الاحزاب ما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي ابن اخطب
وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وهو في فئة الاحزاب حتى كان من جلائهم ما كان
فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصته ما قال اهل السير في واقعة بني النضير انه
صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين فلما جلس خلفا ثم
فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار
لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم
بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما
صعد الرجل لذلك اخبر صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجة وترك
اصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية
فامر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم فسار اليهم وحاصرهم ست ليال
فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك
شيء نزل ما قطعتم من لينة الاية واللينة اصناف
الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يجف من نخلهم الا ما ليس يقوت وكانوا يقتاتون العجوة
وفي الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذو احسن غذاء والبرني ايضا كذلك وكان رهط
من بني عوف من الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم
ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب

فانى

فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم وفي رواية
ابن سعد انهم لما هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد
اجلتكم عشرا فمن روي منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل اليهم ابن
ابي بانهم يمنعون بمددهم وعددهم ينصرهم فارسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون بتكبيره فسار اليهم وعلي كرم الله وجهه
يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي
وغيره فحاصرهم خمسة عشر ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة
الدرع فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام
والحيرة على ستمائة بعير ولكون الفاهم مجدة الرعب كان ما بقي من اموالهم
له صلى الله عليه وسلم قسمه بين المهاجرين لم يعط منهم غير الانصار خلا اثنين
ان بني قريظة منهم ليوم الاحزاب اذ زاغت الابصار وضلت الاوباع وذلك ان
الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم
الى سلع والخندق بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي ابن اخطب حتى اتى كعب القرظي
صاحب حصن بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤوم
واني عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال
ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش بسادتها
يجمع الاحابيش وغطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا.

ومن معه ولم يزل بهم حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبلغه ذلك فعظم البلاء والخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن
ونجم النفاق في بعض المنافقين وانزل الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض الآيات وقال رجل ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر
من ان الله خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واهلك بني قريظة عن آخرهم كما مر ومما تقرر علم ان في كلام
الناظم في هذا البيت وما قبله تلميحا وجمع عديه وتعدوا ما سادة ان الضمير للنصارى
واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفر الشامل لكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا
حتى وصل ايذاؤهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حدها الله لهم منعهم من تجاوزها
فلم يقفوا عندها فلذلك كان فيها اي في مجاوزتها عليهم احدى الطرفين حال
حب العدواء اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح
قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس
شبه الاشتقاق وهو ما يشبه بين نهتهم وانتهت والبذي والبذاء والخليل والجليل
والكبرى وكذا ... سوى ... والحلم والحليم الابيات ونهتهم
اي اولئك المعتدين فهم منهم عن استمرارهم على ما هم عليه ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم
وايذائه قائلين لهم انه لرسول الله حقا وما انتهت عنه اي عن مخالفة النبي صلعم
وايذائه قوم بل استمروا على ما هم عليه من ايذائه الامر فسبب ذلك ابيدي

اي اهلك

اي اهلك الاوان منهم بانيا ثرى النهام عن ابناء مرلبقاء كل من الفريقين على ضلاله وروي ان عتبة
بن ربيعة لما سمته اذا قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت
فرجع الى قومه ومدح القرآن وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم ان القرآن
ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وانه ليكونن له
نبأ فقالوا سحرك محمد بلسانه فقالوا فلم يزدهم ذلك الا لهبا وايذاء
بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الاوان والنهام جناس الطباق ونهتهم
وما انتهت والعشاء والغدق والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام
والسنابر والوفاء الابيات وعاطفني نبينا صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر لانه
لم يتسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فسمي به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ
العسقلاني منكر القول اي القول المنكر اي الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه
وفساده وان الحامل له عليه انما هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن
ومرة مجنون كما سيأتي لك مبسوطا في بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم
وهو وابو بكر وعثمان رضي الله عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن ابي معيط وامية بن
خلف اسمعوه بعض ما يكرهه ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم
فدفعه عثمان فوقع على استه ودفع ابو بكر امية والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة ثم
قال والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا اخذه رعدة وجعل صلعم
يقول لهم بئس القوم انتم لنبيكم ثم قال لاصحابه ابشروا فان الله مظهر دينه ومتم كلمته

نبيه ان هولاء الكذ ترى مما يذبحهم الله ما بيديكم عاجلا قال عثمان فو الله لقد ذبحهم الله بايدينا وعن ايذاء المنافقين قولهم يوم الخندق محمد يعد اصحابه ان تنفق كنوز قيصر و كسرى واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغائط فانجز حقوا الله نعم ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فملك المسلمين كنوز كسرى و قيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ثم تذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لان المانى بدر لجرت المبالغة واكنتا ولا تكميلا لان المانى بدر لدفع الايهام نعم في ذلك اضطراب بين اهل البديع فقال ونطق اى منطوق الاوباش اى الاوساط الاخساء الذين لا مروة لهم ولا عقل الكلمة العوراء اى القبيحة الساقطة اى شانهم النطق بالفحش وهولاء كذلك كيف وقل رب اى فلان جفن يحضب قام بهم بنبل ما جبلوا عليه وهو الخلق السيئ بفتح السين ضد الحسن بمعنى السفاهة سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة وصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه و بنبله سفاهة ايضا بعدها عن الخير المثل اى الشريعة سمى بذلك لانها تملى وكتب العوجاء اى الباطلة شبهها بطريق معوج لا يهدى سالكها الى المطلوب بل يضل منها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا فاوفيها الا انذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السيئ والتمسك بالملة الباطلة تقضى سفاهتهم فسبحان الله اى دواهم من السفاهة والجهل النطق ايها العقلاء كيف هي ما بعدها ساكنة سدت مسد مفعولى انظروا وما قول ان كيف في موضع المفعول

الثاني على ما قبه القوم المفعول الاول فهو انما يصح بعرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف مما قررنا كان تامة عاقبة اى حال ومصير القوم المعروفين بما ذكر وهو خزى الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى الاية فهنه اقتباس ونظيره ما بعده سد مسد المفعولين ايضا وعجب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال اخوفيه غير ما ذكر لكن ما ذكرنا اولى كما هو واضح ساق للبذى اللسان كوفى اى للبذى بالمعجمة اى بذاءتهم اى فحشهم و هو تخلفهم عن حق الدنيا بسعادة الاخرة وفيه تشبيه البذى بان مستقر والبذاء بسابقها وهما استعارتان مكنيتان وابات الستوق للبذاء على جهة كونه واقفا عليه تخييل حب البذى السب اى الشتم فيه اى النبي صلى الله عليه وسلم سما اى مهلكا اى مهلك وبين السب والشتم الجناس المضارع ولم يعد ذلك البذى ان سبه عين الشتم القاتل لوقته لفظا اذ الميم في مواضع حال من الحب وهو باء في مبد بيد و هو لغة مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل فقلت من بنى مازن قال ما سمك يريد ما اسمك وهو لغة قوم يبدلون الميم باء ثم قال لى اجلس فاطبق يريد فاطمئن وقال ابن جنى في سر الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى قال كان ابو سوار الغنوى يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى ومعنى لانه اهلكهم كما يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان هلاك السم في الدنيا ولا ادويه تزيله واهلاك السب في الدنيا والاخرة ولا دواء له كان من اجل ما صدر فيه اى فم البذى حال من الضمير المستتر في الحب وهو سببه فلله لنفسه بهذى

قتل الانسان لنفسه بيده وقوله فيه فسبب ذلك هو اى ايدى لى القاتل لنفسه المذكور والاصل
ما وقع فيه سوء فعله بنفسه المرأة المشهورة بالملك القاهر في العرب التي هي الزباء بفتح الزاى وتشديد
الموحدة اى سبيها فانها نشأت ما عاصرها ممصر حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيد عمرو
وكان قتلها لنفسها بسبب ما ناله منها من بعدها لما ظفر بها عمرو بن اخت جذيمة الابرش
لما كان بينهما خلاف نقذ به اباها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون وا
هشام والبن الكلبى وغيرهم ان جذيمة بن مالك التنوخي وقيل الازدى وهو اول من
اساس العرب واول من اتخذت له الشموع واحدث بين يديه واول من اجتمع له الملك
بارض العراق من قبل اردشير وكان ابرص فكنوا عنه بالابرش والوضاح قيل كان الانف
من الابرص لانه في العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت اسمها رقاش نديمه عدى من نضر لابا
فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر عليه فسأله ذلك في ذلك فانكحه اياها واشهد
عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى لم يعرف له اثر فولدت له ولدا
سمى عمرا فاحبه جذيمة ثم اختطفته الجن ثم ردته فقاد خطا عندنا له وكان ابو الزباء
سميت بذلك لكثرة شعرها اذا كان يجللها ويسحب فوق الارض ثم ملكت ما بين الفرس
والروم وجمعت الجيوش لانه استخلصت من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها بجانب
الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكرا اجمل اهل عصرها وجمع
في ملكها فارسل اليها فاظهرت غاية الفرح وارسلت اليه بهدية سنية فاستشار
في المسير اليها فتابع قصيرا بن سعد في منعه ورأى ان ذلك مكيدة منها فلم يقنع الا

وسار

١٩٦

وسار وكانت امرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوه ومن معه ففعلوا اى قصير معه ثمة
لما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التي تسبق الريح ولحق بها ثم ادخل جذيمة عليها وليس
معها الا الجوارى وكانت ربطت شعرها تحتها حولا فكشفته له وقالت امتاع عروس ترى فقال
بل متاع امة بظراء ثم قالت خذوا بيد سيدكم يعمل [illegible] فاجلسوه على [illegible] لتقطع
ففعلوا ثم امرتهم فقصدوا عروق يديه ففعلوا ووضع له طشت فنزف دمه
الى ان قضى عليه فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو واخبره الخبر وامره ان
يأخذ بثاره منها فافهمه ان لا قدرة له عليها فقال اجدع انفى واذنى واضرب
ظهرى حتى يؤثر في ففعل به ذلك وقيل ابى ففعل قصير بنفسه ذلك ثم ذهب اليها
مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت منزلته ثم قال لها ان لى
بالعراق مالا كثيرا او ذخائر فسيرينى لاتى به ففعلت فرجع اليها باموالها
ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها
ولم يزل يتلطف حتى عرف سرا اجعلته تحت الفرات تصعد منها الى حصنها ان
خرجت الفرات الاخرى ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك فازدادت مكانته عندها
وعولت عليه في امورها فاظهرت له انها تريد غزوا انه يذهب وياتيها بالعبيد والعدد
فقال لها ان لى في بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد
وقالت الملك يحسن بمثلك فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال عمرو من بما
فقال الرجال والاموال فعمد الى الفى رجل من فتاكهم فحملهم على الف بعير كل

على كل بعير اثنان في غرارتين سوداوين وعمرو فيهم وساق الخيل والكراع وكان يكمن
النهار ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا
يحملن ام حديدا ام الرجال جثما قعودا ام الرجال في الغرائر السود ولما توسطت العير
المدينة طعن بواب حي لها بمخصرة بيده فصوتت فاصابته فاراد الصياح فضربه
بنصبه فقتله ثم حلت الجوالق فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى
الزباء فلما رأته مصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل
ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها اي هو في سوء فعله الخل اي شبهه ثم بين
وجه التشبيه فقال فرضها اي لسعها لغيرها مجلب الحتف اي الموت اليها حتف لسعها
والحال ان لسعها ما نافية له انكاء اي قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تاثير قوي
في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فمه مع انه لا يصل نفعه اليها بما كان
سببا لهلاكها صرعت قومهم صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يتصل
بهم اي لقومهم فيما بين يديه حبائل جمع حبالة وهي التي يصاد بها واصحابها يسمى الحابل
بغى عليه صلى الله عليه وسلم منها اي تلك الحبائل اليه المكر الكائن منهم
وهو ابطال الشرع مع اظهار خلافه والدهاء هو بالكسر كالدهي جودة الرأي في
كلامه استعارة بالكناية حيث شبه القوم الذين خرجوا من عمرو بن ... صلى الله عليه وسلم
بعصفور ... بين يدي الصياد وشبه البغي بشبكة الصياد وحيث شبه المكر
الدهاء بالصائد كما يقتضيه نسبة المد اليها او حبال الشبكة التي يمدها الصائد

فيه

١٩٧

فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اليها ثم للمشبه به ترشيحه بذكر الصرع الملائم للمشبه به
ومما تقرر علم ان في كلامه ثلث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد
وقرينتها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ترشيح وتخييل بها بذكر الحبائل الملائم
تشبيه البغي بالشبكة وتخييلها باثبات الحبائل له ترشيح بذكر المد وقرينتها بذلك الصرع
الملائم للبغي والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على ما مر فخيل باثبات المد
وترشيح بذكر الحبائل وقرينة بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيين
في كون الشيء الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل اعتبار الكل على حدتها بما سببها
بسبب مكرهم ودهائهم انهم من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب عقد تلك الحبائل اليهم
ولا يحيق المكر السيء الا باهله فلا يكون مكرا ولا يكيدون له كيدا الا عاد عليهم
وكيف لا وكلما تخولوا لحرب حربا وتوا اطفاها اه الله حججهم فقتل ساداتهم وظهر
امر الله عليهم وهو الذي ابدلك بسبب ذلك وما يلي ... ذلك انهم خلوا الحرب نحالا
اي هجرتها ما كبوا بها او مجاز الخيل النعاس عليها السحاب في الرغا اي الحرب متعلق
بقوله الخيلاء اي الكبر والترفع عن الوضع في وجهة الا الاصطدام بمن تشجع هذا الذي
فضلت فيهم اي في ابدانهم نصال اي الرماح جمع نصال وفي هذا الاستعارة المشهورة في قوله
... يريد ان ينقض ولا بدع في ذلك مذكور في من انواع المجاز باعتبار ان فيه
اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التي هي من صفات الحي ... ذلك مبني
على تشبيه مثله للموضوع بما يذكر له ... استعارة مجاز علاقة المشابهة ثم قيل

ن ترى المجاز بالتشبيه فولّد بينهما الاستعارة وهل هي مجاز لغوي او عقلي خلاف ولا يخفى
الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لامر اعم منهما فاسد في قوله فأيت اسدا
موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرى المجترى فسبب قصدها لهم كانت
ما في الطعن اى الطعنات المشبهة بالغول في ثنا بعدها ما لكون ذلك الطعن منها
اى تلك الرماح ماشانها اى عابها وفي نسخة شانه اى الطعن الابطال لم يوجد
منها اذ السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو نكرة في سياق النفي المتحدة لفظا ومعنى قبل
علاه مختلف فهو عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من قرب ان نوع
الثالثة شيئا لم نوع نوع المثلثة وهو المعيب في المشبه به لانه يدل على نحو الشاه
وتقصيره والمشبه لانه يدل على ضعف ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحيره وهذا الحل
اولى مما سلكه الشارح كما يعلم بالتامل نعم قوله ولكثرة ما علمت رماحهم في اجساد عداتهم
ما في الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب حيها وانت
اى ونعت تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب بابض لعدو في كلا فطار الحجاب
وفيها حتى في مكة في غزوة الفتح لما ان دخلت قرب دخولها نقعا اى غبارا اظلم الجو
حتى ظن ان الغدوة اى وقته وهو ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس منها
اى من اجل تلك الخيول التى اثارت ذلك النقع او من اجل تلك الغرة المفهومة من الغبار
التي اثارتها تلك الخيول عشاء اى ليلا وهو اذا غاب الشفق الاحمر فقضية كلام
الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين فيتنزع ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر

وما ذكرته

وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه في قوله وانا نب نلمح الى قوله تعالى في سورة العاديات فاثرن به
نقعا فلا صه شرع من هذه الغزوة التى حصل بها ذلك الفتح الذى هو اعظم فتوح الاسلام لان
الله اعز به دينه ورسوله وجنده وحزبه وبيته وبلده واستبشر به اهل السماء وضربت
اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر
ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل
في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي
عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بني بكر على بني خزاعة فقتلوا فاعانت قريش
بني بكر فخرج اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه فخرج يستنفض رداءه
فقال وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسي ولما خشي
ابو سفيان مجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فابى النبي صلى الله
عليه وسلم فرجع فخرج رسول الله صلعم في عشرة الاف ثم لحقه الفان لليلتين من رمضان
سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما
نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة الاف نار فراهم ابو سفيان ارسله قريش
ليأخذ لهم امانا لعلمهم بتجهيزه صلعم فلما راى تلك النيران ابهره امرها فادركه الحرس
فاتوا به النبي صلعم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبي صلعم ان يظهر له فخرا
في قومه فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن فقال العباس احبسه عند خطم
الجبل حتى ينظر الى المسلمين ففعل واجلسه عند مضيق الوادى حتى مرت به جنود الله

بها فاطبقه فمرت من القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل فينبئها له العباس فيقول مالي
ولها ولما مرت من كتيبة الانصار مع صاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم
الملحمة اي الحرب اليوم تستحل الحجر اي الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فامر
على لسان علي كرم الله وجهه فدفع الراية لابنه قيس وقد اخبر ابا سفيان انه
لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله يعز قريشا وخشي سعد ان
يقع منه شيء فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم
المهاجرين مع الزبير ايضا فبعثه ومعه المهاجرون في خيلهم وامره ان يدخل من اعلى مكة
وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وفيه وقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل كدا بالضم تصحيف والصواب من كداء بالفتح والمد
وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل من كدا بالضم لم ار في الروايات المعتمدة ما يشهد
له واما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها وورد عكس ذلك
ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ ذلك من الرواية الآتية عن مسلم واستخبر ما
ليس فيها نص بكدا ولا بكداء وبعث خالد بن الوليد في قبائل ليدخل في اسفل مكة ويغرز
رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان يقاتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى
المسجد من باب بني جمح ثم كفه ولما قال صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال
بدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وصح في مسلم فيه انه بعث صلى الله عليه وسلم على احد المجنبتين خالد

بن الوليد

بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف
لي بالانصار فهتف بهم فجاؤوا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم
ثم قال بإحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة
فانطلقنا فما يشاء احد منا ان يقتل احدا منهم الا قتله فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله
ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه
فهو آمن وفي هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة وروي بانه صلى الله عليه وسلم
لم يقصد الا على اوباشهم الذين الجبل والمبادرة بالقتال في غير محله وهذا كقوله من
اغلق بابه فهو آمن ظاهر في ان الكلام انما هو فيهم فاول فيوافق الروايات
الاخر المصرحة بذلك وبهذا يقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه انها
فتحت صلحا كما هو قضية الامن الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار
ابي سفيان واغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التي دخل منها
صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها انما
وقع دفعا لقتالهم كما مر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا
في الحجون وهو كداء بالفتح والمد وكان معهم في كتيبة خضراء لكثرة ما معهم من السلاح
على الناقة القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى
منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد
اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم

بشبيه اصحابه. ان يدخلوا في اسفلها وهو كدا بالضم والقصر لما قال احجمت اى كففت وامسكت عنه
اى ذلك النفع الذى حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الاسلام
والداخلون في اعلاها واسفلها الحجون بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة عليهما
بالعلاوة وذلك هو كداء بالفتح والمد اى الفرقة التى كانت بالحجون وان نالوا ما نالت فيه من
النفع شيئا كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة فاسند مجاكاة ما بمكة والكدى اصله
قلة الخير والمراد هنا قلة الذاب عنه حال وكدا عطاء اى كدا النفع نسبة والمصدر
مضاف للمفعول والفاعل الاعطاء النبى صلعم القليل من الناس مفعول المصدر الثانى كدا
بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه اى وقل عناء كدا الذى هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين
منه الذين اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم له كانوا قليلين بجميع الشارح حيث لم يبق
لهذا الشطر معنى ملائما مع كونه اوهم ضبط كدا هنا هنا بالفتح وهو فاسد لانه المضبوط
الحجون السابق فى الشطر الاول او فى بعضه كما يصرح به كلام ائمتنا فى المناسك وغيرهم
فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا بما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالحجل
عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاحجام والمنع الذى هما من صفات الحى الى
غيره على حد قوله جدارا يريد ان ينقض كما تقرر بيانه انفا لكنه ركيك اذ لا حاصل له
في العلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلين من اعلى واسفل وان ما من مجموعهما
اكثر من كل منهما فهل هنا ليس كبير جدوى قلت بل فيه معنى مستفاد وله جدوى
لطائفة وهى ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبقية من كدا

ووجه اخذه في النظم واضح فانه خص اعطائه القليل بكدا فدل على ان الكثير من علو
من الحجون والبقية من كدا ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون احجمت
معطوفا على ارت بحذف حرف العطف فيها ضمير هو الفاعل يعود على الجبل وان كدى
مبنى للمفعول والتقدير ان فى قوة تلك الجبال انها قهرتهم حتى امكنهم تكفت الحجون فما
واكدى مبنى للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر ابا هم حتى ان جاءهم ساعده
عليهم والتقدير ان الحجون وكدا معناهم عن ان يمتد اعينهم اليه صلى الله عليه وسلم
او الى احد من عسكره ففى هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظم وقعه عند الفصحاء ومن
الحجون وكدا جناس معنوى ودهت اى اهلكت تلك الخيل والخيالة اهلها من الناس بها
اى بمكة فانك كما مر فى الروايات المصرحة بذلك المحمولة عليها الروايات المطلقة وكذا جماعة
لهم تقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه فامر بقتلهم الى
كانوا متعلقين باستار الكعبة وهلك منهم ستة رجال واربع نسوة واهلكت بيوتا كان اهل مكة
يرجعون الى اهلها حل اى تم منها الكفا وهو فى الشعر المخالفة بين هجاء او اخره كان يكون
بعضها ميما والبعض باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس فعلها محجمها احجمها والاوى
اصله من قولهم منزل موى اى لا انيس به والموى الدار يقفر اى خلت ثم استعملت فى الشعر
مرادا به ان يختلف حركات اعراب الروى وربما قرئت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصيدة
فيهم القضاة بعلم انه اسقط القول فى الطعن المتابع من شرح بذكر الاقطاء ومنع بذكر
البيوت توسعا لبيوت الشعر المتحج بها بذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء الى

الى الاسعادة الاولى فيهما لو شرف نسب مسيس لانه يرجع الاشفاء في الخلق من حيث بيت السكن
وفي تعبير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث هو تغيير حركة الروي بسبب
ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم غزاهم دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم
احلم البرية ليعفو عن الوصل اي الخلق اي طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو منهم وان لا يعاقبهم
عما مضى منهم مما كان في جهله اليه من الايذاء الذي لا يحتمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجاب
الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتي والعفو من شأنه جواب الحليم وحلم بالكسر
اذا ترك الانتقام بحق ناشدوه اي ... الجهول من الاحلام وفي ذكر الحلم والعفو والاغضاء
مراعاة النظير ناشدوه بدل من دعوا القرابة اي حلفوه على ان يصافح بينهم ويعفو عنه
والقربى على حذف الجار اي حلفوه بالقرابة التي بينهم وبينه ان يعفو عنهم التي وصلت النسب
من سائر بطون قريش وهي ولد النضر بن كنانة احد اجداده صلى الله عليه وسلم حالكون
تلك القربى قطعتها التراث بفتحتين جمع ترة وهي مصدر وتر اي قتل له قتيل ولم يدرك
له بثأر والشحناء اي التباغض والتحاسد الذي كان بينهم بسبب تلك المناسخة عفا
صلى الله عليه وسلم عفوا منه لانه كان يسهل عليه ابادتهم غزاهم لم ينقصه اي يكدر
ذلك العفو عليهم بسبب ما مضى عنهم صفة اغراء نفذت ضامن حالا اغراء
من اغرى الكلب بالصيد حمله على اصطياده وهو فاعل ينقص اي لم يكدره عفوه عنهم اغراء
سفهائهم جهلتهم حال كونه منهم فيما مضى حتى بالغوا في ايذائه بما لا يحتمله مخلوق كما
صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الفتح

من يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل
لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرا فان احد
ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما
احلت لي ساعة من نهار اي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ
كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء او قال لهم ... وفي رواية
انه قال لهم اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين وسمي هذا العفو وهذه الصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع
انه ناظر الى الله تعالى دون غيره واذا كان القطع والوصل لله كما هو حال النبي
صلى الله عليه وسلم ساوى عنده فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعداء والاقصاء
اي الاباعد للاقارب والبعداء ولم يميز احدهما في قريب ولا اجنبي لان النظر لرضى
الله وامتثال امره لا غيره وهذا من القول الجامع البديع وسواء بفتح السين المهملة والمد
ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستوي يستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء
للسائلين اي سواء الصراط والوسط ومنه في سواء الجحيم وبمعنى غير قليل ومنه فقد ضل سواء
السبيل وهو ... واما هو بمعنى وسطه عليه اي الذي تقربه والاقصاء لله لا غير
من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط

نحمله هنا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ فيما اتاه من سواه كلاهما حال من المبتدء والخبر وهو
الملام بالسب والتنقيص والدم اي المبالغة في المدح حتى يغيب الواقع اي سواء عليه اللوم
والاطماع حال كونهما صدرا من فيما اتاه من غيره من غير وسيّان اي مستوى عنده المدح الغير
والذم لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تضعيف الحق لخلقه بما ابان منهم تنبيه
ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو هو ما درج عليه
الفقهاء في كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر لسا ثنى من ذكر الهمزة والعطف بأم
وقد صرح في الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء علي ان قمت او قعدت وكذلك في
القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اي ذوا استواء ثنا يا ثما تلا
وقد صرح سيبويه بالمسألة انه تصح والمحها الكل ايضاح فقال كما في البديع نحوه
اذا كان بعد سوى همزة استفهام فلا بد من اسمين او فعلين وان كان بعدها
فعلا بغير الف الاستفهام عطف الثاني بأو تقول سواء علي قمت او قعدت وان كانا اسمين
بلا الف عطف الثاني بالواو تقول سواء علي زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر ان
كان الثاني بالواو وحملوا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء وان وقع قول ابن هشام
ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراءة او لم تنذرهم من الشذوذ بمكان انتهى
فاستحضر ذلك فانه مهم و من ثم اي من فيها في حب اوصاف قدره صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي من جهته ان انتصاره صلى الله عليه وسلم اي غضبه وانتقامه الذي صدر منه كان
له النفس للاماتة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير حب التميز عليه بما يفهم

وبله

وبيد له لئلا اي قطيعة للرحم حتى صلتهم اي تعاهدهم له ولكنه لم يكن كذلك فانما كان لله
فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم فيه نظرا لما سبق منهم من قتل اصحابه
لا سيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث صلوه بامتثال اوامره وجنبا
نواهيه كيف لا وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا للهوى ولا لحظ ولا لنفع
رحم او صديق وفي نسخة بالله اي مستعينا به في الامر جميعا فتسبب فيما منه الله اي
ارضى الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى او حال منه من فاعله
وهي تباين لا عداء الله ومن فاز لا ولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى
ربه ولهذا كان فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل لصدوره على امتن قوانين
الاعتدال او حق بمواز بين الكمال ولا بدع في ذلك اذ هل ايها نفع اي يستبل تمامه فيه
على ظاهره الاعما اعي مائل على منقدم البتة هو الاوتاع اي لا ينفع الا نادر الا بما فيه
نص امثاله انا على قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينفحه الانا كلها خيرا
ومن امثاله انا قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعالي هذه
الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا في الذي يبل عنه قوله نعم وهل
يجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم فيه التلميح الى المثل السائر وهو كل اناء
بالذي فيه ينضح اطرب السامعين اي سحرهم وافحمهم ونشطهم الى محبته واتباعه
وامتثال جميع ما يندب حضرته ذكر علاه لانهم يجدون لذلك روحا تعقب ونفحة
الآخ بأحرف استغاث لواح اي غير مستغاث ولذا جعل لا صة سمتيبنه لك لان سائبها

يستريح ويرتاح من هموم الدنيا مادام سكران بها مالك اى سكوت وتوجد
بر اى الراح المستغاث لذكره علاه فهذه كلها لفظا ومعنى فاندفع ما قد يتوهم
الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ الندماء اى شاربى الخمر سموا بذلك
لانهم يتنادمون اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها وفى هذا استعارة
تصريحية لى استعارة تصريحية لانه شبه ذكر علاه فى الطرب به للسامعين بالراح
فى الطرب به لشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الكيل والندماء
واعلم ان الموصوف بهذه المعانى الذى اطرب السامعين ذكر علاه هو نسبة
الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كانه على اصل ولادة امه او نسبتها
اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك
ومع كونه لا يقرأ ولا يكتب اطلعه الله على علوم الاولين والاخرين وجعله الآية
العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحكمة وخلق حسن [illegible] اوصاف الكمال [illegible]
الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم [illegible]
ومعارف العالم ما لم يصل لشأنه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ولا يجهل الامانات علم
الخلق جميعا حتى من الانبياء والمرسلين الذين اسند اى روى عنه الرواة والحكام
اى العلماء الذين يضعون كل شىء فى محله فهو عطف الاخص على الاعم [illegible]
كثيرا من احسانه صلى الله عليه وسلم واقواله وسيره وصفاته انتقل بطريق لطيف

الى ذكر

الى ذكره ان مدحه وان [illegible] لا يتمالك [illegible] على [illegible] الا مكة والى ذكر زيارته
ولما كبرها ولا سادة الى انها من افضل القربات وانجح المساعى وقد الحقت بها كتابا
حافلا لم يسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق بها وسميته الجوهر المنظم فى زيارة
القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع فى الاخذ بها بما يكون سببا لسوء
مصاير فى الدنيا والآخرة فقال كانها عزمت الله عليه باسنادها الى انه هيا
له اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى
كانها مخاطبة له قوة على ظهرى فانى احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعب لان
من الستر التعب وعدتنى ذكر الموعد فيه وحدها كما هنا يجب اسنادها بين الخب
والسنة واما يقع التمييز بالقرائن وحذفها بعينها للخبر بعض للسائل عند انذبان
اى النبى صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيادة فابدال الدال من التاء فى هذه الاصطلاح
وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارة هذا العام وجاء اى ناقة فيها من العوج
وهى الاوض القبلة ومنت بها اى انعمت بموعودها الوجناء المذكورة وهذا كالعلم
عما يطلبون براوكة كناية منه على تنبيه للزيادة فى تلك السنة واعدادها ذلك المركوب
لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وما اشتهر من ان ال فى الوجناء للعهد الذكرى
الذى فى قول الشارح بين صاح والوجناء جاس والعجب منه انه صرح بعد ذلك بان ال
للعهد المثلية لاتحاد اللفظين ولن يكون هو عين الثانى ينبغى ان انزل الزيادة
او انيابها عنه فلا انطوى اى اصم نفسى على تلك الوجناء التى منت على بما ذكر لها

اى لاجلها ليسهل سيرها فان حسن سيرالمركوب من ركوب راكبه فى حصول امضائهم اى طلبى منها

لذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان اريت الاضافة اليها

كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيه الثا لتعريف وهو الاضافة الى كل فى الضميرين وقد

لا يجيز اجتماع التى تعريف على معرف واحد فالواولى بما جان فى اضافة الصفة من اسم الفاعل

المفعول او الصفة المشبهة وامثلة المبالغة اوى ان المضاف دون سائر المضافات بالا

اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعرفها بل تخفيفا فلا يلزم محذور اجتماع اداتى تعريف

بخلاف بقية المضافات انتهى نعم يجوز تناول ان اضافة المصدر الى مرفوعه او منصوبه

غير مخصصة له فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتامله تطوى

بالبناء للفاعل والمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما يحتاج الى ما

اى المسافة البعيدة التى بيننا اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحالّ به افضل

الصلوة والسلام الاملاء جمع ملاء كما فى القاموس هى بالمد والفلاة القفر او المفازة

التى لا ماء فيها ثم قال والصحراء الواسعة جمعه ملاء وملاوات وعلى على جمع جمع املا

انتهى وبه يندفع ما للشارح هنا وحق الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا اى السير الى ارض

بعد اخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل ان الاملاء جمع اتحاد المفعول لانهما مختلفان

بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد دون

الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير فيه محله فتامله وبين انطوى والنطوى

جناس الاشتقاق كما وشبهه بين صابكها والبركة وما فيها والحصراء خير من

ونضت

ونضت والاتضاء والخلوص والخلاص الاثبات بوجناء الوجناء صيغة مبالغة من لف كهلم متعلق

بتطوى كان القياس بها لكن اظهرها فادة وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحاء المعهودة

ذهنا وهى مكة ودنا بها واصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصى مخلفها البطاح

اى نجيها ويطلقها النبل اى نقص مصحوب الاقامة بها مع انها وطنها وبها نشأت فيها

الى التملى بتلك الاوراد والتعبير بتاب ثلك الاماد وبين الالوف والاجفال جناس

الطباق والحال انه قد شفها اى شرب رطوبة جوفها او الحال جوفها الاظماء اى شدة العطش

فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما املته فى تلك الحضرة

من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك اكرت الاظماء لانها لم تؤهل منها من تلك

المواهب العلية معشارها املته فى تلك الحضرة الاحمدية والساعة المصطفوية المصطفى

فعسبهذا لاجل المسبب عن ذلك الاول هى تنفر بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب

من مصر الى تلك الحضرات العلية ما مصدرية ظرفية لاح اى ظهر من ارض مصر بناء

بناء بعينها اى ملاحظ اى فضاء ولا بنا فى هذا قوله مالوف البطحاء لانها انما تقطعها حتى

تصل الى المطلوب بها عند توجهها تجد فى السير وتنظر الى جهة مقصدها سواء وجد بها فى تلك

بناء او فضاء او فسره الشارح الخلاء بالحسن الطلب وهذا من زيادة المبالغة ما لا يخفى

فظهر معه لكن يبعد مقابلته بالبناء بخلاف ما ذكرته وقوله اذ المراد سيرها بين ابنيته

مصر وهو قريب انتهى فى غاية البعد كما لا يخفى فاقضت من القضيض وهو الماء العذب

او السائل على صبابكها بركتها هو اول محل على طريق الحجاز يجمع الحجاج فيه للذهاب

لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل يأتي
اليها فمكث فيها زمانا طويلا وكانت فضاء فجاء فعمرها القطب الرباني البدوي البتوتي
رضي الله عنه من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن فعادت بركته عليهم حتى ذكر
بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع الاظهر انه استفتى زيارة امه بالعجم وهو ثمة
فاستاذن الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن
على بابها فرأى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر مقيما بالايام
بالليالي ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه في خلوته فخرج فرأى القراء قد فرغوا في
المدة نحو جزء القرآن وهذا من بعض كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوي لهم الارض
ويفسح لهم في الزمن وقد وقع لهم من نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار الساع الزمن لقليل
دون طي الامكنة تحكم لان كليهما من جنس الكرامة فاذا جاز احدهما جاز الآخر مثله
ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع ابنيته وبساتين وزادت تتسع ببركته حتى
صارت الان قرية كبيرة اي فاضت البركة على صاركة تلك الناقة من الماء العذب
ماء وجهها وراكبها ومن معه فبعد البركة منازل الحجاج في هذه الطريق اكثرها مشهور
لغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى تعيينها بل ما هي البويب وانما حملت على هذا لانها انه
انضبت ماء في الكل وهو فيه بل دان ان دير ما ذكرناه وان اراد انه من الصفاء اي
فاضت على صاركها اي الناقة بركتها لم يرد سعتها مع عطف ما بعده من فجاجه الى التاويل
الذي ذكرنا ويحتمل انه حيث حمله على المعنى الاول ولم ينتبه على عطف ما بعد لنكته
الآ
الا بعناية ما ذكرته لان تلك المنازل اكثرها قفر معطش لا ماء فيه اصلا والخضراء
وهي قريبة من المحل المسمى الان بعجرود فيه بماء من مسهل ويجانبها بركة تملأ من
المال نعم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حدث بعد الناظم ولما قلت من اصله
لان بركة معلوم الحدوث في اواخر هذا القرآن فالقباب التي تليها اي المنازل التي تليهم
اي الوادي المسمى بوادي القباب اي يزيد الرحل المتهم لارتفاعها وبياضها بالقباب
البيض الحسنة نبق النخل ويجانبها بركة تملأ من بيت المال ايضا وماؤها احسن من الذي
قبله بكثير ولذا قال والركب النازلون عندها اي مستريحون في القيلولة بماء من الماء
بكثرة وكله جمع ريان او ريا وعنت له اي عرضنها حقل محل بعدها قريب منها تسمية العامة
مدفة حفص وفي لغتي هذا الاسم المشهور عند الناس اليوم خلفها اي الناقة لكونها
جاوزتها مغاير المنسوبة الى شعيب النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم الفيحاء اي الواسعة
فعيون الاقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الغاب ثم تنبعها النبك
هذا ايضا ليس مشهورا في القاموس النبك بالنون فالموحدة تلب بين حمص ودمشق
وتبلوا النبك لها انه فيها نبي ولي يسمى ابن زوفا مشهور البركة وله نهر كثيرة
مشهورون بالصلاح والحجاج فيه اعتقاد بعظيم خارج عن الحد العوجاء اي المنحنية
عن جادة الطريق وجعل الشارح كافة مفعول تبلوا والعوجاء فاعله فعليه هما على
متغايران وفيه نظر لانه ليس ثمة محل يعرف بالعوجاء اصلا فالموافق للحاج ما ذكرته
حاديها اي حادث الناقة الحوراء منها هي صبحهم سوقها منها لما الناقة

مستانفة له وسائقة اليه واثبات الشوق للجمادات فيحكى لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا احيل مجيبا وتجبه
ينبوع ما مرتها ش فا ايضا وهي بلدة معروفة من جملة الحجاز التي هي مكة والمدينة
واليمامة وفي هامشه ذكر ما ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة فسبب مجاورتها
وفي الينبوع والحمرا المذكوران لسماعهما ما يتعلق بالزيادة وشاهد بهما الذي
اظهر بالتهنية اي فيهما شبهة دهشا اما لكونه غلب سماعها وهي لعلها محل يقبل بك
على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمى بالبهنا بدر وهو كان قرية كبيرة عامرة بها
عين كبيرة ونخيل ومحل الوقعة المشهورة التي اعز الله بها الاسلام مشهور
وشهدا بين دفن بدر من الشهداء وفيهم وفي بدر بيرا من سجدة بلا المنا
للمعنى الغير المراد ويقرب ابار يا بقية من ايامه صلى الله عليه وسلم وهو سماع صوت
هائل كصوت طبل الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا لاجل نصره عليه السلام
والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هو صوت الريح يسمع في
ذلك الوادي عند هبوبها لانه في اوله جبلين عظيمين من الرمل فاذا مشت
بينهما وفي عطف الريح سمع ذلك الصوت وقال اخرون صوابه المناخ بل له حقيقة
لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة فلكم سماعنا
له المرة بعد المرة انتهى ذا قول ووقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة

حيث

حيث لا ريح ولا حركة دابة ولا مشاة ثم ولقد كنت في بعضها مرافقا لجمع جم من وجوه
مكة وذوي ساداتها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم
من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى
اعلى احد الجبلين لمحاذاة سبب ذلك الصوت فذهبنا واصبحنا عليه نحو ربع النهار ونحن
لا نسمع شيئا وقد هدت الريح ولا احد ثم غيرنا ولا هو لا مدنا حركة ففي اخر الامر
سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا فمن المنكرين من رجع منهم
عن امضى انكاره ولقد جانا فقيه ساكن يؤذن ويؤم بمسجد بالبلد فسئل فحلف
انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليلة الى اخرها وفي غيرها لا يسمعون
الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك بها اي بالناقة بعد وفي نسخ قبل ما لاح لها خيبر
يقال انه جبل صغير قريب بدر والظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على ما هو المشهور في السنة العامة
اذ لم يذكر في القاموس خيبر المذكور في الابيات الذي هو بين مكة والطائف
وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل اي قبل ان تجوز حنينا هي ان لما ذكره الناظم مستند لكونه
يكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره لما من جنت تلك الناقة وما هي
فيه الصفرا قرية صغيرة معروفة ينخفي عنها طرق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند عدم
التابة بهنف اي خلفت بروة اي جعلتها المشهور باسناد ذلك اليه والى صاحبه مجاز
ووافق فالخضة محل بعيد عن بدر كان بلدة مشهورة للبهود نذر فاصلى الله عليه وسلم
دعا ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد الا حم حتى الطائر الا حم وهي صفات

الحجاج المتجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر عنها اى عن تلك الناقة لما انها سبقت
بقطعها لتلك الامكنة ما اى الثوب لكطعو ثعب الذى حاكه اى نسجه الا اى الهزال
شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بابن الهزال من حيث ان الهزال يوجب البلى
من التعب بعد ان يسن وثبة كما يبلى الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من
لوازم المشبه به وهو الحياكة فرشح له بذكر الخلع فهل استعارة بالكناية
تتبعها استعارة تخييلية وترشيحية فانها اى بعدت تلك الناقة الخلاص وبعقب
بيت فاملى على وهى الجبل الذى بعد الى مكة فعقاب الشوق بعدها فقبل
فالخلصاء اى المحل المشهور لانه يخلص فيه عين واسعة مباركة كبيرة فهى
اى تلك الناقة من ماء بئر عسفان المشهورة اى من ماء عيون بطن من نطاق اى حيطان
حمصاء اى جيرانه لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى عسفان استند شوقهم فاستقلوا
عن سقى دوابهم واطعامهم الى ان يدخلوا مكة فرب الزاهر المشهور قبيل ذى طوى للساجد
المعروفة بمساجد عائشة بالتنعيم منها اى الناقة اى ان وصولها للمساجد
الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين بحطاها اى بسبب حبها لما اراد
بالوصول فالبطن الحاصل منها وصاح بمهملة قبلها دال مفتوحة اى سرعة بمعنى
ان بطنها زال عنها لانه سرعة شديدة هذه المذكورات منها فالب المنازل بين
مصر ومكة التى هى عليها المعول لان بها طرق الوصول الى تلك المعاهد وتنجع
سلوك المواخذ وتبسط ببابها المقاصد لها اى منازل القمر الثانية والعشرين

علاهم

عذقبه ذكره نظرا للفظ بالسماك الاعزل الذى هو من منازل القمر ولهم سماك
اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل والعواء منزلة من منازل القمر
وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك فكانى بها اى على تلك الناقة
اتحل من مكة الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها بات الملائكة التى
يقف به السائلون ويلوذ به ويغشاه الحاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها وهو
نسك واجب او مندوب او ركن كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها
مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف انه صلى الله عليه
وسلم دعا عشية عرفة ان يكفر عن امته ما يحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك
فى مزدلفة فاستجاب ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التى
حول مكة وبها شمسا اى حال كون تلك الناقة كالشمس فى انقطاعها لرفعة ما هى
فاصلة وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة
بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحل والبيداء ترشيح لملاءمتهما
للمشبه الذى هو الناقة سمائها اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كالقمر البيداء
اى المفازة الواسعة تشبيه بنوع شبه الناقة بالشمس لما ان شبهت البيداء
التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة
استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال من ضع البيت اى الكعبة
بالحج بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هو محذوف وعليه فعنى كونها

انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت وضع الاية مهبط الوحى نعت اول
بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعد
اى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة
الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى المبعوث من ربه على لسان ملك
او بالالهام او فى النوم او بالالقاء فى الروع مأوى من اوى فلان الى منزله الرسل
الكرام وسائر الانبياء ومر تعريف النبى والرسول اول الكتاب لانه ما من نبى الا
حج البيت كما فى حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يصح حيث
ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله الانوار الالهية منزلة ثمة وقلت
هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اى نزلها دائما على قلوب الطائفين ثم
والعاكفين والركع السجود وحيث البهاء اى الحسن المعنوى المكنى به عن حصول صلاح
النفوس والحكم والمعارف المفاضة على اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية
حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه وراعى الناظم الترتيب تبركا الوحى والرسل والانوار
والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما يأتى حيث فرض الطواف فى حج او عمرة
واما ما خرجهما فهو حيث لم ينذره سنة مؤكدة وورد فيه فضائل جمة تحمل من لاحظها
على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغرباء افضل من الصلوة
لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا يوجد فى غيره واختلفوا فى ايما افضل اركان الحج
هو او الوقوف بعرفة فقال جماعة هو لانه يشبه بالصلوة فيشترط فيه ما يشترط لها فلا

الوقوف

الوقوف اما هو اى لا يشترط فيه ولذا لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف لحديث
الصحيح الحج عرفة اى معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف ولانه انما يتعلق
المكلف بمغفرة الذنوب وقضاء المارب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط
وقوعه حال الاحرام المشعر غاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وفى هذا
مح كما حررته فى كتبنا الفقهية وحيث السعى اى فرضه فى احدهما ايضا بناء على
انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه وحيث الحلق والتقصير فى احدهما
ايضا اى فرضه بناء على الاصح عندنا انه ركن وحيث نحو الجباه اى اتجاهها
على جهة الكعبة وحيث الاهداء اى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقة لحمه
على فقرائها من ساكنيها المقيمين والغرباء ولا يكون اولى الا ان يكون الغرباء
احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذى
هو مذهب الناظم ان اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرسل الهدى من المدينة وهو مقيم بها ولا واجب وهذه السنة كانت فى زمن السلف من
شعائر السنن ثم تناساها الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يراد بالاهداء
كل دم وجب فى النسك او فى نقصه اثم بسببه كالحلق نقصا اولا كالتمتع وموضع
تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكر الفرض فى الطواف فقط يوهم انه
دائما فلا ينتقل بروان ما بعده ليس بفرض مع ان منه ما هو ركن ولا يتصور
ولا يجبر فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الذبح وما هو واجب

ثالث وهو ما حصل التغير الى حيازته وهو سبب اقوى وهو ما فعل طوعا اي من غير سبب كما
الناظم وكلا من هذا التفصيل للشهرة وانه ليس يصح بيان ذلك حبذا حبذا تاكيد
لفظي وهو شايع هنا ومن اقل الكتابة الكلام على حبذا بما ينبغي اجتنبه معاهد
جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقه دائما وهذا الموضع
كذلك للاتعرف ارتفاعها فهو عائد اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى منها اى مكة ممتاز
على بعضها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحجة كمنى ومزدلفة بل جاء
كعرفة لم يغيرن ابان نهضن اى لم يغيرن مانهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن
وازدحامهم على التبرك وبابادنهن والهيام بهن فهن البلاء بفتح الباء اى طال
المدة الذي من شأنه ان يغير الاشياء عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها
من التغيير لحرمتها لمن فضلها عنده ليتم لهذه الامة التمتع بها ابدا اي الدهر
حرم محرم احرمه الله يوم خلق السموات والارض كما في الحديث الصحيح وحديث
ابراهيم حرم مكة المراد به انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت على الناس فلا
تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد ما
علا في مبهم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأي قوم قالوا به ولم يذكره اكثر
الجمهور ولكن منع الاستدلال بانه نظرا الى ان ال في الجنة للجنس فصدقه
بالجمع ابتداء لا بعض حقق منه الكل او للعهد الخارجي لانه لا مانع من ان يكون

اى الذهنى

٢٠٦

اى الذهنى لان مدخول الالف واللام بمنزلة النكرة وهي موضوعة لفرد وكان وجه عدم
نظر مثبت ذلك البدل ما يجيء ذكره من وجه المنع انه نظر الى ان جنة عدن علم
على الجنان الثمانية الموجودة الان والجنة حيث اطلقت انما يراد منها واحدة من
تلك الثمانية فصح ان يقال انه بدل بعض وكل بهذا الاعتبار ولما يجيء انه بدل
كل من كل نظرا الى ان جنات علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون البدل علم
نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول تشخص
الكلي من ذلك في الخارج من مدلول النكرة الذي هو الفرد المنتشر وذلك اقرب
الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذي قررته مما
يكفي حصوله في اثبات ذلك الراي المخالف لراي الجمهور يندفع ما اطال به لتشييد
من التشنيع على من اثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل
ما قرب اخذه بل الى حد لا يشنع على قائله ويجوز العطف بطرحها من وانه خبر مبتدا
محذوف وحدوده معروفة في كتب الائمة وعند اهل تلك الاماكن من كثر تواريخه
امن اى يامن من دخله من سرقة الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يرى
قاتل ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخل الطوفان لم يعد فيه انه على دابة وكان حل
من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمى الا ما يبل شيئا حتى خرج منه هذا في الجاهلية
واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد من صعوده سجود وبنائه وكذا لقطعة في
غزاة يتعرض لحاملها بقتل اى قطع امثاله او فعل الائمة استسنى وهذا مصطلح قوله

ثم جعل امنا فيه كيف حرام الا انه نوع من تلميح بيت حرام اي ذو حرمة باهرة وعزة فاهرة
وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ومقام بفتح الميم
هو مقتبس من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم
الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بناء
الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى ان يضع الحجر في محله ثم يقصر به الى ان
يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو
الذي نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله بنى لكم بيتا فحجوه
فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه لبيك وفي رواية انه
نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين فالله اعلم وبقاؤه
من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية مع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وبقي
وما هو اكبر منه باضعاف مضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود
فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب
الكعبة فرده عمر رضي الله عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول
ومن الغرائب ما قيل المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر
ليزور اسمعيل فراه غائبا فسال زوجته فقال مرى زوجك يغير عتبة بابه فجاء فاخبرته
فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غائبا فقال لها عرضي عليهم فاتت ثم امرت
بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فمال لها راسه فغسلت شقه

ثم

ثم حولته فغسلت الاخرى فيه ثم قال لها مرى زوجك فليثبت عتبة بابه فيه اي الحجر
او الحرم فلا يصح عوده للمقام نظيره ومن ذلك كان امنا المقام بضم الميم وفتحه بعضهم ايضا
اي الاقامة مثلا بفتح الفوقية اي مرجعا لمحل تنزل الرحمات والفاله بعضها
وكانه اخذ هذا من اهل مكة يسمون جيران الله اي عبيده ووفده والعجيب في انه جعل لم
معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما في القاموس لا يناسب منها
هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهي وشبهه بين مقام والمقام وفيهما
من قضينا والقضاء ومرضينا ومراح وفيهن نسب ونسمت وتسمت وتاب وقباء ومرضيا والرجح
وحططنا والحط وفرحنا ولا تراح وسمحا ويسمح وفيه هلنا ويذهل قضينا اي ادينا اذا
يطلق على الاداء لغة كما في حديث الدين بها اي بمكة وبما ينسب اليها كعرفة ومنى
وهي مناسك جمع منسك من النسك وهو العبادة اي اركان الحج والعمرة وواجبا
وسننهما لا يجمل الا في مواضيعهن القضاء اي لا يجمل الاداء جملا مخصوصا في فعل عبادة
الا في فعلهن كيف وقد يترتب على الحج المتقبل بالجنة من غير عمل اخر ويخرج فاعله
من الذنوب كيوم ولدته امه ويكون اسعافه ويتبعه من ما لو فاته الحسنة او المعتبر
وقرابته لاهله ووطنه ويكتفى بعالية على ما فيه من الخلاف ويكون ركه يضيع ثمرة نفعهما
الاكتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به ويعطي مخصوصا ينتظم مما يحدد على
ان في الحج الافضل منه او المساوي والمفضول عنه يحمل فاعله اعظم تنبيه ما قدرت به قوله
قضينا والقضاء يدفع ما للسامع هنا من جملة قوله لا يحسن القضاء الا بالبيت بالفعل

ينبغى انه الفراغ او ضد الاداء ففسر القضاء بما ليس معناه لغة ولا شرعا وعبارة بعضهم
في الحج وهو قوله ضد الاداء اولى على ان الاستعمال القضاء بمعنى الاداء اشهر من الشمس لغة
وشرعا وقد حقق بعض المتأخرين ان القضاء لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته
والحج وقته العمر بتبعه نحو فوخضب او صال الوقت لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف
ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلوة ضيق
عليها فعلها في الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضاء وان فعلت في الوقت
وليس كذلك بل المعتمد خلاف الكثيرين انها اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء
ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا تنبيه لا يتوهم ان ما وقع في النظم من تقديم
المستثنى المخالف المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان
اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى منه وعامله
ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش وصححه ابن حيان جوازه اذا كان العامل متصرفا
فقط نحو الا كل شيء ما خلا الله باطل فالا سفينا من فنعبد باطل العامل في ذلك وما هنا
لا تقدم فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما تقرر ولا عامله وانما هو على حده اذا لم يكن
المنوي شائع على سيبويه ما لي الا ابوك احد قال فيجعلون حدبلا وابو لا مبدل منه
قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك
وعليه فلا اعتراض على الناظم موصلنا بها اي الناقة الفجاج جمع فج وهو الطريق اي القضبا ها
فيها لتسير بنا الى طيبه هي المدينة على مشرفها افضل الصلوة والسلام سميت بذلك لانه
صيها

طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته وبها اسماء اخر كثيرة جدا والسير
بالمطايا جمع مطية وهي الدابة تمطو اي تجد في سيرها رشقا مصدر راشقة اي بسبب سير السهم
اذا رمى به فسبب ان سيرها يشبه سير السهم اشبهت القوس وحج اصابعا في سهام غرض القرب
الى المدينة المشبهة بالغرض في كونها المقصود بالرمي السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة
بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح ويصح كونها شبهت
بالقوس فهي استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس تخييل لها وذكر السهم والاصابة
والغرض ترشيح ونعم الخبيئة اي الناقة الضخمة الكوماء هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا
محذوف او عكسه فقول الشارح انه صفة الخبيئة ليس في محله وهي اعني الكوماء العظيمة
السنام فلما رأينا اي ابصرنا المدينة وما حولها التي شرفها الله تعالى بان ارض الحبيب
اي حبيب رب العالمين نبينا صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة التي اجل واعلى من مقام الخلة
لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة دون عكسه اي ارض المدينة وما حولها نغض اي يخفض
الطرف مفعول منها اي من اجل الجلالة التي حصلتها الصبا المشرف عليها حسا ومعنى
ولالاء اي البريق اللامع على صفحاتها المشار بها الى مواهب الحق المفاضة على
ومن في الضياء واللالاء مراعاة النظير فكان بالتشديد وقد يخفف كان لم يحتج الى
نسبه للتشبيه المؤكد لانه الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة فالاصل
كان زيدا الاسد انه كالاسد فقدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول الجار
عليها فان بعضهم وانما يستعمل حيث قوي الشبه حتى يكاد الرائي يشك ان المشبه

ا ضيع ولذلك قال بلفيس كانه هضيل ونزهة للظن والسك فيما اذا كان حنوها غير جامد

البيداء من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المسهور اليوم باسا

على من للتعليل او ابتداء الغايه وكل منهما خفى فالاحسن انها زائدة على حذف

الاخفش وجماعه حيثما ما زائدة فابلت العين الناظرة اليها دوحة هنا اى كثيرة

العسب والنبات والازهار والثمار وكان الطيفاء الاماكن الكائنة حول المدينة

المنورة لكثرة ما يعشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم

زيد عليها اى البقاع مافيها عائد لقوله ملك بضم اوله وهى ثوب عريض

او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرح شمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد

وهى كما فى القاموس كل ثوب لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كل نسج واحد وفى النهاية

هى الازار وفى الصحاح الملحفة ولا ينافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين

انتهت ومنها يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاءتان لا ملاءة واحدة شبه تلك الانوار

والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بجامع سترة على

انا بها فى عراها وسائر جوانبها وكان الارجا اى نواحى المدينة الغراء بنشر

اى يفوح نشر او ريح المسك منها اى تلك الارجاء الجنوب وهى الريح التى

تقابل الشمال والا باء بكسر الجيم كلاهما وهى كما فى القاموس الشمال او مروها

الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تنشى السحاب وهى المرادة هنا فاذا شمت

بكسر الشين المعجمة اى نظرت الى سحاب البرق التى تمطر فى تلك البقاع اى شمت

فى القاموس سمته بالكسر اسمة بالفتح وسمته اسمة بالفتح رباها جمع ربوة بتثليث

الراء وهى ما ارتفع من الارض لاح اى ظهر وهو راجع لشمت منها اى تلك البقاع

بوق راجع للأول وناح راجع لشمت فهنه لف ونشر مرتب كبا بتثليث كساء عود

اوضرب منه اى رجحه من كبى بالتشديد ثوبه اى مجمره وبين فاح وكبى جناس

مضارع اى نور اى نغر هب واى نور بفتح اوله اى زهر طيب وبينهما الجناس

المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى سهدنا هما اى ماسها

بابصارنا وبصائرنا حيث ظرف لسهدنا ابيت لنا لقباب التى هنالك قبابا محل

مسهود بينه وبين المدينة مخمله اميال فرت منها دمعى اى كثر وانهمل

من اجل ما سهدت حسرة على ما مضى لى من فواته او فرحا بوصولى الى دار

خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة فقد اى ذهب

اصطبارى كلاسيما بعد ان وصلت الى هذه الدار واحمد محلى بها وبين فقد

وفقد الجناس المصحف فدموعى سيل عظيم وصبرى جفلم بضم الجيم اى ذهب فكما

ان السيل يذهب بذلك الزبد فى اسرع وقت فكذلك دموعى تذهب صبرى

فلا يبقى عندى منه شئ وهذا وجناس التذييل كقوله الا فى وكم اذهل

صبا الحى وفيه لف ونشر مرتب فعيب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفقد

الصبر ترى ايها المخاطب الركب طائرين اى جادين فى السير حتى يشرفوا لبلوغهم

يتحو منها اقصى ما يمكنها فى الاسراع من اجل الشوق اى طيبة فكيف

عليه افضل الصلوة والسلام لهم ضوضاء اى اصوات عالية بصلوة والسلام عليه
صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضاء مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة
في المهموز انتهى وبها يعلم رد ما قاله الش فكان عطف على ترى التي ولى ما حسنت
الابتسام اى شدة البشر صفته منهم ملقا وكلا للضنى تاكيد لما قبله يكفكف عنهم
متى غرغ لك وكل نفس منهم بلكية منها ابتهال اى تضرع الى الله تعالى في ان
يقبل عثارها ويقبل انابتها وسؤله اى توصل الى الله تعالى بما جب حلفه اليه ولاء
اطنابه ورهبة مما عند الله تعالى في فرضيل الثواب وانبغاء اى طلب عند الله تعالى
فرض اى فوات النفس وصعوده لشدة ما عيش في القلب من خشية المواخذة بما فرط
منه وتضيام له تابه باعثا في النفس لشدة وثابه عمه فيه ضعو عن ذكر
تضاعفه الذى لا بد له منه في حده فطن ايها المخاطب منه اى في اجل كثرة ذلك
النحيب وشدته عجب يسمع له صوت في الصدور في تم حامه ان صدره صلى الله عليه
لشدة ما عنده من الخوف كان يسمع له انين كانين المرجل صدرها مضغى له الا ولى
صاحبان اى مصلدان تعاودهن ذفامه بالدال اى والقاف اى صوت عال والحاصل ان
ذلك النحيب من شدته ظهر له في صدورهم صوت اشبه صوت نطيه الصادحات اللاتي
تعاودهن الصوت بشدة علو صوت وبكاء نعير بانجي اى بحاله على صدورها
صدر اى سبيل في الدمع ناشئ عن حرقة القلب لفراق المحبوب اى حسنه قطعته
او عن قصير بلقاء الحبيب والمنزل في تضير ومحلب ومعه مع الصوت بالبكاء بحيته

اى مجمله

اى مجمله ونزيد فيه استعلاؤه اى علو الصوت بشدة اقناعه بالبكاء وجوه كانما
خضبها اى غسلها ولذا سمى المغتسل مخضبا في فطيم المهابر اى الحلاوة التي
استوت على قلوبهم لما اناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة النضار اى الذهب
فى انه المحمى اى محبوس قائم بها في عظيم المهابة بزمام انجحها تعاجيل يتولد منه
عرقها حتى كانه غسلها ووجه تلون بالوان مختلفة لشدة ما عندهم من القلق
والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه وصف التقصير في عدم
كمال الاتباع له حتى كانها الشقائق جل جلاله بالمد من ثقيبه لانه قريب بانتساب
اصله ويكتب باعتناء كاله الوانها الحرباء دويبة مشهورة ذات الوان متعددة
تستقبل الشمس براسها ودموع كانما ارسلها وجفون سحائب وطفاء اى
مسترخية الجوانب لكثرة ما بها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة
الدمع وكثرة تتابعه بسحائب مملوءة ماء ثم جرة ينبئ كل الجفون ووضح نذكر الى
فصل باتيان السحائب بالمنية فغيه انواع استعارات وفي قوله كل نفس الى هنا
من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها
بحيث شابهت الماء العذب الذى في سائر الانسجام والسلاسة والرقة والحلاوة
فلا يخفى على ذوى ذوق عظيم ملاوة فيه وحق له كيف عن هذا الشرع وبعدان وصلنا
الى ذلك القبر المكتنة على وهانا مما من شرحه يقول كل الوهنا حططنا الرحال
تلقاء كوم صلى الله عليه وسلم تنحط سحائب القبول والانعام ونستقبل هراث

النفيسة الا انام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما حيث اى فى مكان حط الوزر اى الاثم والثقل عنا بشفاعته المشرفة عليه
افضل الصلوة والسلام ونرفع عنا بلحظه واسعافه وامداده الحوجاء اى الحاجة بضمها
النفوس وطلوع البدور اى وفى الشهر حتى نصل الى العيان ونستغنى عن السند
والبرهان وبين الحط والرفع طباق وقرانا السلام اكرم اى على اكرم خلق الله وافضلهم
كما مرت ادلته مستوفاة اول هذا الشرح واقول يا ناظر فى هذا ان السلف فان
جاء السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال
المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلوة عليه عنده
اى للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم على عند قبرى الا رد الله على روحى حتى
ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه يصلى هو تعالى لكنه على المصلى
فى الصلوة الواحدة عشرا او فى رواية مائة وصلوة الله افضل من رده صلى الله
عليه وسلم ولو كان رده دعاء على انه لا يمتنع صلى الله عليه وسلم برد الصلوة عليه
كالسلام فالاولى ان يجاب افضلية السلام بانه شعار اللقاء والتحية فى حصول فضيلة
جاء لهم اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلوة بعده اولى وان
السلام وان كان تابعا فى مقام الزيارة ويدل لذلك ايضا صنيع العلماء انهم
لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم
فى حيث اى فى مكان وقفنا بتلك الحضرة الذى يسمع الا قرا السلام منه

وقد

وفيه رد العجز على الصدر مما اقتضاه كلامه من ان [illegible] صلى الله عليه وسلم اذا صلى
وسلم عليه يسمع سماعا من غير واسطة وان من صلى او سلم عليه من بعيد لا يسمع
الا بواسطة فدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها فى كتابى الدر المنضود فى الصلوة
والسلام على صاحب المقام المحمود وقد ذكرت منها جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر
المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد [illegible] من صلى
على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد اعلمته وصح ما من احد [illegible] فيه ما من احد
يسلم عليه الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام وصح من [illegible] فيه
من افضل ايامكم يوم الجمعة خلق فيه ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة
فاكثروا على من الصلوة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف
تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى بليت [illegible] قال ان الله عز وجل
حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وفى رواية زيادة نبى الله حى يرزق
وبعض احاديث [illegible] جمعتها فى الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم
يبلغ الصلوة والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعها اذا كان عند قبره الشريف ومع سماعه
لهما يبلغهما ايضا زيادة فى اكرام الزائر [illegible] له بذلك
ليلة الجمعة ويومها [illegible] عند قبره [illegible] ان من سلم على
[illegible] يسمعه ورد عليه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] لم يكن له
بذلك يكفى الزائر تمنيا انه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة

المصلي والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه السابق به نطقه
لا تترحى على الدوام فرحه لم تفارقه ابدا فصح ان الانبياء احياء في قبورهم يصلون وقد ورد
في ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء
حيوة مخصوصة اعلى واتم من حيوة الشهداء المنصوص عليها في القرآن وذهابا اي غيابا عن
احساسنا اذهبنا عما عدا ما نحن بصدده عند اللقاء لما يستولى علينا من مهابة ذلك الجلال
ومشاهدات ذلك الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا اي شديد الصبابة
التي هي رقة الشوق وغلبة استيلاء من حبيب اي المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء ولا
في شأنه انه يذهل الصب ويخرس المحب ويغيبهما عما عدا المحبوب وكلا سكتنا دهشة وحيرة
ورجمنا بفتح الجيم اي سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده ما دمنا في تلك الحضرة العلية
فلم يبق فينا متسع له عن اجل المهابة اي لاجلال والمخافة حتى اجتمع علينا اي لا
يوجد اجتماعهما الا في مثل هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا المام منا بوجه الى ما
نطلبه في تلك الحال من فرط الجلال واستيلاء عليه خوف الاجلال ولكم من
بث الشوق عند لقائه فلما انصرفنا ما نطقت ولا منا ورجعنا الى بلادنا وللقلوب
التفاتات كثيرة مبتدأ بعبارة المقام اليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها متحسرة
للقول بين يديه صلى الله عليه وسلم ولا ستمداد منه مع ادامة الصلوة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم وللجسوم جمع جسم جسم الشيء جسده الثاني من الانس تسام
اي انعطاف الى اللقاء في حضرته ابدا ان يتسن ولا لي يكون زيادته وسمحنا اي جدنا بما

اي بخلن

اي بتقصير لا يجود احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذي قرب دوامه وعدم
مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل الفنا ممن بيننا فقف الملاوم علينا الى القدوم
نبيح المحظورات واني وانتادان كما يخلو بهذه الفراق لنا اسوغ بالتجلد في ذلك وقد
يقع بغيبنا انه يبيح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك المحظور بالاصول وفيها
بين السماح والبخل الطباق ولما تم مقصودنا بادته المتكلفة بكل خير يشير بأدب
صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة والمناسبة لطلبه فرانه نخصه بتلك القسمة التي
ولاها له الحق يقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه والثناء عليه
استعطافا له لينظر اليه بما ينفعه في الدنيا والاخرة وما من به من كل محنة بالجنة
وظاهره ممن ثم تخلص جواب اقسامه بقوله الا في الاحسان الامان الى اخره فقال
يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فلا يجوز لاحد التكني
بها مطلقا على الاصح عندنا سواء في زمنه وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهي ان اليهود كانوا ينادون بذلك صحبه
فيلتفت صلى الله عليه وسلم فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكني بذلك ومن هذا اخذ بعض
ائمتنا ان المنع خاص بزمن حيوته وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد والكنية علي كرم الله
وجهه لولده محمد بن الحنفية بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصيته له
والكنية عنه بذلك اجتهادا منه ووجه اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم

الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم من الله في جميع شؤونه لاسيما مقام قسمة الارزاق
والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انما انا
قاسم والله يعطي ولاجل هذا عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم اعطاء مفاتيح الخزائن التي
قال بعض العلماء وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر
في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى
بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح
الخزائن الالهية فلا يخرج منها شيء الا على يديه وقيل انما كني بذلك لانه كان له
ولد من خديجة يسمى القاسم الذي ضمن من ضمن كذا اذا جعل عليه اقسامي عليه
بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الاتية في نيل مطلوبي منه مدح فرقوا بينه وبين الحمد
بامور احدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن
ثانيها ان الحمد انما يكون من علم بصفة كمال والمدح يكون من ظن بصفة مستحسنة
وان كان فيها نقص ثالثها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح فالحمد اخص
بالعقلاء والعظماء واكثر اطلاقا على الله وقول الكشاف انهما اخوان اي مترادفان
لا مترادفان قاله الطيبي قال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق ونقل
بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلماء على ان الحمد مختص بالاختياري
والمدح اعم له وهنا هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في
الاختياري وفيه والمدح على ذلك القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه اكثر العلماء

قول الشارح هذا مراعاة النظير وعلى ما قبل الاخير فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل
كلام الشارح اما الحمد والمدح فبينهما تقابل اي مراعاة النظير اي ترادف لما تقرر
ان عليه اكثر العلماء بالعلوم اي اقسم عليك بها لتشفعن لي بما تمنى وكل
مكروه بان يعطيني الله الامان منه وكذا يقال في الاقسام الاتية فالمراد به
الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال اصحابنا في اقسمت عليك
لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نوى جعلها لان الاقسام لان مرتبة العلم
لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال للزيادة
مما هو عليه الا العلم وقل رب زدني علما وهي صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت
به تجليا يمنع من احتمال النقيض التي نزلت عليك من الله حال لكونها بلا كاتب
من الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها اليك اسلام اي اقراء من جبريل وهذا الذي
قررته في اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس
مطلق والكتابة والاملاء طباق و اقسم عليك بما اوتيته ايضا من صبا الصبا
وهي الريح التي مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وتطلق على ما تهب
من يمين هذا المطلع الى قرب سهيل ويساره الى قرب القطب الشمالي وهذه الريح
التي اتت في نصره صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما في
اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب اعدائه واخمد شوكته وبدد جموعهم سهل
مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع نوع

اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها نعلم
ان الصبا كانت تهب بسبب نصره من مواصفة اسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى انه
يستولى عليه لا يزيد مسافة في حين على شهر فلا ينافي ان ملك امته يزيد على ذلك
بكثير واحترازا عن غيره من الانبياء فان غيرهم ان وجد لا يصل الى هذه المسافة
وفي رواية ونصرت على العدو بالرعب كان بيني وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم لفظ
اختصاصه بمطلق وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم
وبين احد من اعدائه اكثر من شهر هذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان
وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما يقتضيه المشاهدة
انهم دنوا من ذلك حظا وافرا وكان الصبا الدبور خا، وهي الريح اللينة المسخرة
لنبي سليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك تسخرت لذات سيدنا سليمان وهذه تسخرت لصفة من
صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهي هيبته وايضا فتلك انما كانت تهب بعد امر سليمان
لها وهذه تهب بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه
الادنى بالاعلى نظير كما صليت على ابراهيم في صلوة التشهد على احد اجوبة فيه وفي
الرضا بعد الصبا من غاث النظير وافهم عليك ايضا معجزتك العظمى مع على كرم الله
وجهه في غزوة خيبر لما سرت اليها ودفعت الراية وكانت بيضاء سوداء لعلي
ففتح بعض حصونها فارسلت ابا بكر لحصن من حصونها فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر فقاتل
ورجع

ورجع بلا فتح وقد جهدت فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله
يفتح الله على يديه فتسوق كل احد لذلك فسالت عن علي فقيل به رمد فدعوت
عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فتفلت بعينه وكلتاهما معا حال كونه
رمداء ثم قلت له خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك فبرئتا لما خالطهما
ريقك الذي هو الشفاء الاكبر فغدا اي ذهب تلك الراية تضرب بعينه المثل في حدة
الابصار كما يضرب ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال ناظرا
بعيني عقاب ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولما غدا وهو كما ذكر هرول هرولة
حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فقال له يهودي من باب الحصن من انت
قال علي ابن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع
حتى فتح الله على يديه وعن ... ضربه اليهودي فطرح ترسه من يده فاخذ بابا
واستتر به فقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه
فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وجربوه
بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا كله في غزاة معهودة من اعظم الغزوات
واجل الفتوحات وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية
برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب لوا اراد باللواء
الراية وهي العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم
الرايات الا في خيبر قبلها كانت الالوية فقط نعم قال القاضي في شرح اللواء التي

وعليه فلا تجوز في النظم وكانت تلك الراية تسمى العقاب لانها سوداء كلون العقاب
الا سود وكانت من برد لعايشة رضي الله عنها ذكر ذلك كله اهل السير وفيهم
كالحافظ الدمياطي وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام وما قال الشارح
ان التي تسمى العقاب بعينه وانها التي اعطاها لعلي فهو مخالف لما ذكره و
كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل
ان العقبان كانت تحوم على الجيش القتلى كانها رايات مرتفعة انتهى وهذا
احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم تسمى
العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها لعلي ويحتمل انه اعطاه غيرها لانه
اعطى اثنين رايتين فرايته علي كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن
عباس ان عليا هو الذي كان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف
وعن سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وكان
للانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر
واما تسميته راية الانصار يوم احد بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة
ان كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه
فقول الناظم لها العقاب لواء للمختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه و اقسم عليك
ايضا بريحانتيه وهما سبطاه الحسن والحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك
اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا

وفي رواية

وفي رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا طيبهما حالا ومعنى فضيلتهما على غيرهما
انما هو حاصل منك لانهما بضعتان منك مع ما اختصهما به من المزايا والخصوصيات
وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه وما مسهم من الصحابة يضرب به المثل
وان لم يتطيب بل كانت ام انس تاخذ عرقه صلى الله عليه وسلم لتطيب به
ريحه الذي نعت لطيبهما اودعتهما بالبناء للمفعول فاطمة الزهراء مبتدا وخبره
ما قبله وهما الصلة كذا ذكره الش ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عائد الموصول
ويجوز البناء للفاعل وان المفعول الثاني محذوف اي الذي التي هي الزهراء اودعتهما
اياه وفيه تكلف وحذف من غير دليل فالصواب ان الذي نعت للريحانتين
بتاويلهما بالمذكور اي بحوه ونظير ما ذكرته في الذي قوله صلى الله عليه وسلم
الذي رواه ابو داود هذا مني يعني الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم
كالذي خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة
ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختاره اي في قوله تعالى كمثل الذي استوقد
نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد
نارا وقيل في الاية الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نون
تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكل ذلك ياتي هنا فتامل فيه فانه مستفيد واصاب
بقوله اودعتهما الى ما هو من خصائصه ان اولاد بناته ينسبون اليه في الكفاءة
وغيرها وجه ذلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذي اودعهما

تلك الذي يخرج منها صنوبر البدن ويمتنت بالزهراء لانها لم تحض كما في حديث رواه النسائي
وروى الخطابي ابنتي حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها الله فاطمة فان الله
فطمها ومحبيها من النار وقد ذكر الناظم علياً وفاطمة وابنيهما وسيأتي ولو شئت وفضائلهم
بلا اسانيد ولذا نسوقها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في كتاب الصواعق
المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذي لم يؤلف في هذا الباب
اجمع منه واخرج الطبراني والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي
في صلب علي بن ابي طالب وفي حديث رجاله ثقات الا واحد مختلف فيه انه صلى الله
عليه وسلم خطب وهو محاصر للطائف ثم قال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض
والذي نفسي بيده لتقيمن الصلوة ولتؤتن الزكوة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي
يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا توفي كرم الله وجهه شهيدا وهو خارج
الى صلوة الصبح ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين عن ثلاث
وستين سنة بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في الليلة
فشكى اليه ما لقي فقال له ادع عليهم فدعا الله يبدله خيرا منهم وابدلهم بي من هو
شر منه وكان في تلك الليلة يخرج وينظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت ومات ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه اخفي
خوفا من ان ينبشه الخوارج وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتاه الجمل الذي يحمله فلم يدر واين ذهب ولذلك قال اهل العراق انه في السحاب.

كنت

كنت على الدوام ناديهما اي نفضتهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وقد صح
انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى
قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني ان هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم
اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الي الحسن والحسين واحمد
وابن ماجه والحاكم من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني
وجاء من طرق صح بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما
وفي قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من
اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل ومن ثم قال بعض العلماء
بتفضيل الحسنين على جديهما اي من حيث تلك البضعة وان كان في جديهما من ذكر افضل منهما
علما وهدى ومعرفة فتأمله كما انت بالمد فعلين للتنزيه فانهما ان الفضة في اصل كلمة
من الخط حال من الفاعل بقطعيه المياه اي انواع كانواح الباح لنقطتيهما ما لكونهما حملة
حروف الخط وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم
ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمهما ثم يقول اللهم اني ارحمهما
فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال طرقت على النبي صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت فما هذا فكشف فاذا حسن وحسين على وركيه فقال
اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم
اقبل وحمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم

نعم الى اكب هو وجه التخصيص بالباء انها فاتحة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم فاتح الانبياء
ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الاصل في الحقيقة كما انه الاصل
كذلك وهذا شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اول الخلق رتبة واخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم
مندرج غيب في جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن في عمود نسبه وبالقوة اخرى
بالنسبة لمن ليس في عمود نسبه ف بيان للتحاسين ومع ملا يجد فيه خلافا لما نعمه الش
شهيدين اما شهادة الحسن كانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة
فسببها ان يزيد بن معاوية ارسل الى زوجته جعدة الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل
لها مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعث ليزيد بما وعدها فابى
وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد الحسين ان يخبره بمن سمه
فابى فقال والله اشد نقمة واجد كبدي تنقطع واني لعارف من اين دهيت فنشدتك عليك
لا تكلم في ذلك بشيء ثم قال واقسم عليك ان لا تهرق في امري محجمة دم فرحلة لا
اخيه لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر بعد النبوة فصرفه الله
عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله ما ارى ان
يجمع الله فينا النبوة وربما استخفك سفهاء الكوفة فيخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة
ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم الا سـ
سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة رضي الله عنها فقالت نعم
فكلمه فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده

ابو هريرة

ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه رضي الله عنهما وكان مروان يكثر اذيته فلما مات
بكى في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت افعل
ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس بغضا لاهل
البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
كان لا يولد لاحد مولود الا اوتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان
بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروى ايضا صحيحا من جملة
قول عائشة رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اباك مروان وانت في صلبه نعم في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم سال ربه ان من سبه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة
وكفارة وطهارة من فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم
اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم اني احبه فاحب
من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك
وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وصح
انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا والجنائب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله
ثم ماله ثلاث مرات وكونه بارا تقيا ابهر ولم يسمع منه كلمة فحش قط
الا مرة قال لخصم له ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها صحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا اي الحسن سيد وسيصلح الله به
بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه

لما توفي تولى الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان اخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم
بقوله في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة الاشهر الباقية
منها وعند مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما تراءى الجمعان علم الحسن انه لن يغلب
احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضي بان يتنزل لمعاوية عن الخلافة شفقة
على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وصار هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا
لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل كان ماجورا واما شهادة الحسين كانت ولادته لخمس خلون
من شعبان سنة اربع ومن فضائله حديث حسين مني وانا من حسين احب الله من احب
حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من
طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك القطر لعلهما واقعتان جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل بها
فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك ثم سمى صلى الله عليه وسلم
ذلك التراب فقال تربة كربلا وفي رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض
بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلا والطف كذا قال
بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى
الطبراني اما حسن فله هيبتي وسؤددي واما حسين فله جرأتي وجودي وروى البغوي
وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميتهما الحسن والحسين وجاء ان العرب
لم تسم بهما في الجاهلية ومن قصصها ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله
بالمدينة

بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان
ياتيهم ليبايعوه ويمحو ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه
وخذلانهم لاخيه وامره لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس وقال واحسيناه
وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل
وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما
بلغ اخاه محمد ابن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل
فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين
غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية
والقضاء ينزل من السماء ولما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر فامره بالرجوع
فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا نرجع حتى ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار يقصده
الى ان خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجهز ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما
وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه وكان
مقاتلوه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى عدوه فحاربه ذلك
العدد الكثير ومعه من اهل البيت نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا
باهرا ولولا انهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما اثخن القتل في اهله
حتى بلغوا اخرين صاح هل ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
يزيد ابن الحارث فجاء شفاعة جده فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي

بمفرده فحمل عليهم فقتل منهم كثيرا من شجعانهم ثم تكاثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حرمه
فصاح كفوا سفهائكم عن النساء والاطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى ان اثخنوه بالجروح
لانه طعن اربعا وثلاثين طعنة وضرب اربعا واربعين ضربة ومع ذلك غلب عليه
العطش الى ان سقط الى الارض فحزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين
ووضعه قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس اما وابا وقال
اذا علمت انه كذلك فلم قتلته فقتل معه من اخوته وبني اخيه الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل
تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن
زياد الرأس في طست فجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخل انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى
انس وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع
قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى
فغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك رايت
رسول الله صلعم اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يده على
يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة
النبي صلعم عندك يا ابن زياد ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالرأس فوضع
على ترس عن يمينه للناس ساعات ثم امر له جهزه مع رؤس اصحابه سبايا ال
الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه نكت الراس بالخيزران
وجمع ما تيسر اظهاره لا قول واحفظ الثاني قيل وليعجب كل العجب فضرب يزيد ثنايا الحسين

بقضيب

بالقضيب وحمل ال النبي صلى الله عليه وسلم اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء
مكشفات الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب لان يزيد بلغ من قبائح النفس
والانحلال عن التقوى مبلغا لا ينكر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال احمد
بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا
لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالي
فانه اطال في كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح
قتله ولا امره بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي المالكي
فانه نقل عنه انه لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده لانه الخليفة
والحسين باغ عليه لان البيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل
والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم
النظر الى استخلاف ابيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل
الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد
الاجماع على تحريم الخروج على الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا باجتهاد
واجتهاد الحسين اقتضى جوازا ويجب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم
عنها الاذان فهو اعني الحسين محق بالنسبة عنده ونظير ذلك حال معاوية
مع الحسن قبل نزوله عن الخلافة ومع علي فانه كان متغلبا باغيا عليهما
لكنه في امر لاجتهاده فالحسين كذلك فتامل ذلك فان كلام الائمة فيه

كالمثاني ولا ينافي الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ولما وصلوا لدمشق وضعوا
اقيموا على درج الجامع حيث يقام الاسارى والسبي وقيل ان يزيد ارسل
بثقل الحسين ومن بقي من اهل بيته الى المدينة فكفن راسه ودفن عند امه
بقبة الحسن وقيل اعيد الى الجثة بكربلاء بعد اربعين يوما بقتله ثم سلط الله على
ابن زياد وقومه فقتلهم ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل
جعلوا يشربون بالراس فخرج عليهم من الحائط يد معها قلم فكتبت سطرا
بالدم اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب فهربوا وتركوا الراس
اي ثم عادوا فاخذوه او اخذه غيرهم بعد وقدموا به على يزيد ومما ظهر يوم قتله
من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اسودت
سوادها لانكساف الشمس حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس
ان القيامة قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رؤي
تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام
ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك
وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي بعد الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن
الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر في حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فاظهر
تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظم الجناية بشر يشيب
لكل مسلم كامل الايمان الطف يذكر ما وقع فيه ومر انه ارض بالعراق

وانه

وانه يسمى كربلاء او قريب منها او قبره معروف بها وبين مصابيهما اي يجمع بينهما
على حدة يخرج منها اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من المالح فقط اي مصائب الحسين
لان قتله مر واما قتل الحسن فمر انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما
علم بعد من الناس ذا كربلاء بل كل منهما يذكر في تلك المصائب حتى انه
في كل ارض انما هو ظاهر انه مغاير للطف ومر انه قيل وكان الناظم يجنح بهذا
الى ما رواه ابن سعد عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره
الى صفين وقف وسال عنها فقيل كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الا انه انما في شرح قوله
فابكهم ما ترى فيهما وذمامك بالمعجمة اي ومنك ايها النبي لكونهم مع انه يجب على كل احد
رعايتهما والوفاء بهما وكذا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع ما لهما من العهود والحقوق
والحرمة والجلالة ومن بعض شانهما اعتقاد انه على غاية من الجلالة والصلاة
والبر والتقوى بعد ذلك ابن كالجعدة في الحسن وابن زياد واتباعه في الحسين رضي
الله عنهما والحال انه قد خان عهدك الرواة اي المتولون من الظلمة الطغاة
المتمردين كيزيد منهما لتسببه في قتلهما لكنهما فازا بمنزلة السعادة العظمى ونجحا
في الدنيا والاخرة وقول بعضهم بعد ملام على قتله الحسين لانهم انما قتلوه بسيف
جده لانه بغاة على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم ينعقد بيعته عند الحسين
وفيهم ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية امر يزيد

انه جائر فاسق متغلب وحجة الخروج على الجائر التي حكى عليها الاجماع محلها بعد استقرار
الامور وانقضاء تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخل على
مخطئة راي غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا
اعتد بها جماعة اخرى امتنعوا منها وهربوا وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم
قال وقد اشار للحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد
قول البعض الذي المذكور ومما يرده ايضا ما ترتب على قتل الحسين مما مر بعضه ومن
معجزات فالمرئيين والتي ساء خناس الطباق ابدوا اي هؤلاء المذكورين الوقيعة
العداوة والمودة التي حرم الله نعم عليها في الاية الاتية بغضهم وقتلهم والحاقهم الاذى
بهم بكل طريق امكن حتى ان القرطبي سباهم فبعث الذرية في عسكره بابعثه دارهم
والشريف بد يحين لكثرة من سباه منهم وابدوا ايضا الحفيظة اي الحمية في بغض القربى
ومحبتهم اي قرابة النبي صلعم هم ال البيت النبوي يعني تركوا هذين واخذوا ضدهما
فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يتمثلوا قول الله تعالى في حقهم الدال على فضلهم
بعضهم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف المفسرون
في القربى والذي جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجههما بسند حسن انهم اهل البيت
فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها انا الحسين بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا
ابن البشير انا ابن النذير ثم قال وانا من اهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم
وموالاتهم نزاد في رواية على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد صلعم قل لا اسالكم

عليه

عليه اجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال
اقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت وجاء عن ابن عباس بسند فيه شيعي غال لكنه
صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا
محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن علي واخرج الطبراني
عن زين العابدين انه لما جيء به اسيرا عقب قتل ابيه الحسين رضي الله عنهما فاقيم
على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع
قرن الفتنة فقال اما قرأت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال
وانتم هم قال نعم كادكنا في ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما
وتابعه من حملها على غيرها ذكر كما في البخاري وغيره منه ان المراد لا تؤذوني
يا معشر قريش في قرابتي فيكم وفي رواية عنه انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل
الله عليه ذلك فقال يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذوني
ويرده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها
مرتين كما قيل به في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان قرابته صلى الله عليه وسلم
تتحقق بقريش اخص على المفسر بالذات من ذكر اهل البيت هم في كل مسلم
ذكر ما هو المفسر بالتبع فكل من القولين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما وقد
كان ابن جبير وهو من اجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وبهذا تارة وفي
رواية عن ابن عباس الا ان تودوا الله ولا منافاة ايضا لان من جملة مودته تعظيم

مودة رسوله واهل بيته وادعاء نفع الاخر قول يرده لا يلتفت اليه فلا يجزئ اعتقاده
كما قال البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي احبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل بيتي لحبي وصح ايضا ما بال اقوام
يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله
لقد اذيتني ثم قال من اذى عليا فقد اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب
هذين واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا لسنتي وبها يعلم
بطلان قول الرفضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة وابدت اي اظهرت ضبابها ما تخفيه من
ابدت وارادة بالضباب اليرابيع دون النافقاء لا تكون الا لها النافقاء هي احدى جحري
اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين
الفضاء رقيقا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحر الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء
برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتق
المنافق في الدين كما في الصحاح وفي النظم تشبيه المكرة بالجنين حتى فعلوا معهما
ما فعلوا باليرابيع في مكرها المذكور فهو استعارة مصرحة وفي ذكر النافقاء
استعارة ترشيحية او تشبيه ما عند اولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الا ان
فهي استعارة مصرحة تحقيقية بذكر الضباب او تشبيه النافقاء بما عند اولئك
من النفاق الذي حملهم على ان فعلوا بآل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقاء بها في

اولئك

٢٢٥

بنفاق اولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده
وكذلك نفاق اولئك اظهرهم حتى هربوا من الدين ففعلوا ما فعلوا بآل النبي صلى
استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية بان يشبه الضباب بأولئك و
في المكر واضافتهم الى الضمير النافقاء تخييلية قسيت اي غلظت واشتدت قلوب منهم اي المكرة
الفجرة المذكورين وهو حال من قوله قلوب فصل اليهما ثم الى ذات بينهما منهم غاية
الابداء فلا سبيل لحصول الواجب رعايته عليهم ولم تكن لهم تلك القلوب فطالوا على
الله نعم ان اذلهما الشقاوة والعذاب الاليم على من اي اولئك الائمة الذين هم زينة
الدنيا وعز ثم قال الحسن البصري في الذين قتلوا مع الحسين من اهله ليس لهم شبيه
على وجه الارض بكت الارض فقدهم والسماء وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما
بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المؤمن يبكي عليه السماء والارض
اما الارض فمحل سجود المؤمن وعبادته واما السماء فمحل صعود اعماله وما ذكر ان هذا
في مطلق المؤمنين كما علم من الاية بمعنى انهما يتأسفان على ما فاتهما من اعمالهم ونورهم
فما بالك بآل البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون المراد ببكائهما بكاء اهلهما
وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن وقد ورد [illegible]
فلا يخرج عن ظاهره الا لدليل فابكيهم ايها الصالح للخطاب ما استطعت اي مدة
دوام استطاعتك تأسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم علي روى ابن
سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسمها

هذه الارض يقال لها كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله
وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي جبرئيل انفا فاخبرني ان ولدي الحسين يقتل
بشاطئ الفرات موضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب شمني اياها
فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي عن ام سلمة رأت النبي صلى الله عليه وسلم
باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين انفا وكذلك رواه ابن عباس
نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأل الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه
منذ اليوم فنظر فاذا هو قد قتل في ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث
الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية قلت ثم قال انما نتكلم البكاء بعد الموت قلت
ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل لابن بنته
واهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم بيته واهله من ما يرزؤه من تسهيله
بحقهم والفرح بما اصابهم وفيه زوال انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالها
بفقدهم وذلك كله مصاب لا يوازيه مصاب فحق لكل ايمان يحزن على ذلك ويأسف
عليه وان يأمر به ويحث اليه فان قلت كيف نهى صلى الله عليه وسلم عن البكاء بكي
كما في الحديث المذكور قلت المنهي عنه انما هو البكاء بعد الموت لتفجع اليأس من رجوع البكا
حين يتمادى على تبع نفسه بالقضاء والواقع هنا البكاء منه صلعم قبله وهو حسن
ولهذا يتبين عدم الاحتياج الى الجواب بل عدم صحته بان المنهي عنه البكاء الاختياري
والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري اوهان يجوز او اطلق فيه البكاء على

دمع

دمع العين وهو لا كراهة فيه قيل ثم لما فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته
فقيل له ماذا اي وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء
فتبين ان مجرد دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتأمله ثم ما امر به من البكاء ما يصلح
يكون دليلا حاملا عليه فقال ان جاء قتيلا اي قتيل في مقابلة عظيم من المصاب لا سيما
مصاب الامة بالحسنين واهل بيتهما رضي الله عنهم وبين قتيل عظيم طباق وفيه
استشفاق ورد العجز على الصدر البكاء وابي كنت هو الصوت الذي يكون مع الدمع ولما
المقصور فهو الدمع فقط ومن القليل قتل قاتلهم ودوام نصرتهم باساءة ذكرهم وادامة
الثناء عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك كل يوم وكل ارض كربلا اي لاجل ما حصل
لي من الكرب وهو الغم الذي يأخذ النفس بحيث يحيي فوقها منهم اي بسبب ما حصل لهذين
الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر والسب ولا بداء لكن الواجع لكل ارض من
ومسراء واجع لكل يوم فيه لغيري مشوش اي ذا دبي ذلك الكرب حتى ان كل
ارض حللت بها تصورت انها الارض التي قتل فيها الحسين وكل يوم اتيح لي تصورت
انه يوم عاشوراء الذي قتل فيه فكرب من جميع ما انافيه في الازمنة والامكنة
فلا يفارقني بالاشتغال من ارض لا في ولا من زمن لا في وبين كرب وكربلاء
جناس شبه الاشتقاق وجناس الاشتقاق في يا وي واوهن وقف وبقي
وطيبهم وطاب ودوم ومسوح في دالي وداع في القاسم والقاسمي وابكيهم والبكا
ال بيت النبي وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب وهم المذكورون في قوله نعم انما

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اكثر المفسرين على انها نزلت
في علي وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم وقيل نزلت في نسائه وتمسك به ابن عباس وكان مولاه
عكرمة ينادي به في السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع تناولت فيهما وحجته
جمع بالنص سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل ما صح عن ام سلمة قلت يا رسول الله انا من
اهل البيت قال بلى ان شاء الله وادخل ال البيت فصح انه ادخل اولئك الاربعة معه
تحت كساء دون الاخر وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت الكساء قال اللهم
هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه
صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط
البيت امين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه وهن امهات
المؤمنين واهل بيت نسبه وهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم
وان الاشهر ان هؤلاء هم المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد وقيل المراد بالال هنا كل مؤمن واختير ونسب الى كل مؤمن تقي ضعيف بالمرة وال البيت
الذين حرمت عليهم الصدقة هم المرادون في جميع ما جاء في فضل اهل البيت او الال او ذوي
القربى وال علي الاربعة هم المرادون في اية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله
عليه وسلم فيها ان فؤادي اي قلبي ليس فعل جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال وقد ينفي
منه بالقرينة وقيل هو لنفي الحال وغيره ورده ابن الحاجب بقوله نعم لا بيع بانه ليس ماضيا

عنهم

٢٢٧

عنهم قال ابن مالك وبه للنفي العام المنفي المراد به الجنس كلا النبي وهو ما تغفل عنه
وعن علمه ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الا منه في النظم
يسليه عنكم التأساء بفتح اوله اي ما يحصل لي من الشدائد والمحن وفي القاموس
تأساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزايلها محبة ولا تنقصها
شدة وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي قرابتي انا
حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتي فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله تعالى وفي الحديث ايضا اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن
تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي وتامل كونه قرنهم بالقرآن في ان التمسك بهما يمنع الضلال
ويوجب الكمال واشار الى ان ما عنده علامتهم لا يقابله تسل ولا تسل ولا يعتريها
من الدهر بعضها والحزن والحسرة لمصابهما انما هو مع تفويضه الامر الى بارئها كما قال
قبيل الا اني فوضت امري في ذلك كله الى الله الفاعل لما يشاء
المقتدر لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وتفويض الامر الى من هو صمد
ومد بها اي منه للمفوض وكذلك اعتمادي اذ الاعتماد على شيء من حوله وقوته
وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا
قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة وفوضت وتفويض فانها شفاء
وجملة وتفويض الى تذييل ورب للتقليل رب يوم بكت بالدمع مستحيني بالسياق فيه
من قتل الحسين وقريبه بها خففت بعض مدحي اي فعل ذلك الخطب الجسيم

والمصاب العظيم على النفوس التي عندها غيرة لآل البيت النبوي الشرفاء فيها مع منزه شبه
استنفاق وهي ناحية ببغداد اي ما وقع وخلفا بها من بني العباس الذين هم من جملة آل
البيت اخذهم ببعضها لابن عمهم الحسين وغيره من آل البيت بالحق من علي بني امية
لانهم عاثوا وعاندوا ولم يرقبوا الله ورسوله طرفة عين في آل البيت الطاهرين المطهرين
الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية
والكرامات الباهرة والمعالي الفاخرة ثم بنزع الخلافة منهم بعدان نقضهم الله عليهم
فضلوهم ستة مثله كما قال والا وقاري الذين هم لتلك القسمة الفجرة كان كل طرح اي مطرح
منهم الى الارض سوابق السيوف ولوامع الاسنة المرهفة لنيل الحتف الزق المنتفخ
الملقى بالارض الذي حل عنه الوكاء وهو ما يشد به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم
حتى قطعوا دابرهم عن آخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه
القصة المبسوطة في التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطي ثم في اختصاري له فليطلبها
من محلها ان شئت واما آل فمعناه في اصله اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة
وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف
كما هنا واما قول آل فرعون لانه مكان منصبه بصورة الاشراف بيت النبي تنبيها
بانهم طيبهم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا وصفاتا وظاهرا نظرا ان المراد
بالطيب في ذريتهما انهن طيبها منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في
الموضعين الطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهما الاجر

سوى

٢٢٨

لان ذلك في خصوصهما وهذا في عموم اهل البيت كما دلت عليه الآية السابقة انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هي منبع فضائلهم لاشتمالها
على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بانما المفيدة لحصر ارادته
في امرهم على اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر
الاخلاق والاحوال المذمومة وفي احاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير
وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت
عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها بالخلافة
الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم
الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي دفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم
والتكثير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويألف ثم اكد صلى الله عليه وسلم
ذلك بقوله وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء الآية اللهم هؤلاء اهل بيتي
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل
صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي اخرى هؤلاء اهلي اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وفي رواية ثلاثا وصح ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب
فيها نجى ومن تخلف عنها هلك وحديث انكم لن تضلوا بعدي وحديث سألت ربي
الا ان يبعث الى احد ولا ان يبعث الى احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني
ذلك وحديث احبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم

لمن يا لهم قال له لعلي وفاطمة وولديهما ولحديث ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة
فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي وويل للمكذبين بفضلهم من احبهم احبه الله ومن
ابغضهم ابغضه الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت احد الا كبه الله في النار
فطاب المدح لي فيكم وان لم يسرف واجب فضلكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنى عليكم
بما يقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة ببعض نهايته وطاب لي فيكم الرثا لو
هو تعداد محاسن موتاكم وفي فقدهم وطاب الاستحقاق والمدح والرثاء الطباق اذا نحتاج
مدحكم الى المبالغة في الانشاء بمدحكم على اقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وفي اسلوب الفصاحة حتى
لحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب له منبرا في مسجده يفاخر
عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلعم ويدعو له بقوله اللهم ايده بروح القدس وفي
بلاغته انه لما اراد ان يهجو قريشا اخبره النبي صلعم بانه ما من بطن من بطون قريش
الا وله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورواه عمر رضي الله عنهما
ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله
اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورواه عمر رضي الله عنهما
ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت انشد فيه
بين يدي من هو خير منك وهو يقول اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد بعض الصحابة
على ذلك فشهد وله بر فادلجت اي بعثت صوتي بالبكاء عليكم وانتى الخنساء بنت
عمرو بن الشريد من سراة قبائلهم منهم بن قيس بن غيلان قيل قدمت على رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم المؤلفين له صلعم ولدا حضر معه منهم يوم فتح مكة
تسعمائة الف رجل ونظرت عائشة رضي الله عنها عليها ثياب الحزن فاخبرتها بانه صلعم
نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فاتت
اخاها فقاسمها ماله فافتقر ثانية فقاسمها ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة
فعاتبته زوجته فاجابها بانما كفيته عارها ولو هلكت مزقت خمارها ولبست من شعر
صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه
قيل له بما فضلتك قال بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه ابقى لنا ذنبا واستوصل
الراس ابقى لنا كل مجهول وفجعنا بالحالمين فهم هام واجاش ان الجديدين في طول
في طول اختلاف فهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس واجمع علماء الشعر انه لم يكن
امراءة قبلها ولا بعدها اشعر منها اي فانتن مستبهما بنوح على اخيها صخر بانها له
بالمعاني البديعة والمعاني البليغة ومحاسن الثنا وجامع الرثا منها الا يا عيون
ابكيت عيني لقد احكمتني دهرا طويلا الى ان قالت اذا قبح البكاء على قتيل رايت بكاك
الحسن الجميل ومنها ايضا يورقني التذكر حين امسي فيمنعني الاخاب نكسي على صخر اي
فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلسي فما يبكي مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي
ومنها ايضا اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى الا تبكيان الجري الجميل
الا تبكيان الفتى السيدا طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته امردا ومنها ايضا وان
صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار سال الخليفة المهدي المفضل عن سبب

فالته العرب فذكر له هذا فاعطاه ثلاثين الف درهم بعد ان شكا اليه دينا عشرة الاف درهم
ورآها عمر يطوف بالكعبة لاطمة لخدها معلقة نعل محمد في خمارها فوعظها فقالت من يريد ان
لم نجد احدا مثله فقال ان في الناس من هو اعظم رزية منك قالت الا سلام فقد اعطى ماكان
قبله واما الا يجمل ان تلطم وجهك ولا تكشف رأسك فكشفت جيب الغاب تسمع نعيها
انت يعجال فمر? عنهم على الثياب ابيع فمخيض ثم قالت فاذا انتم العرب فقد سمعتم عن شانها
وحللنا ما على ورائها فتنعموا بطيبها وجالسوا بنيها تظفروا بالنعيم والكرامة
في دار الحال والمقامة فقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم
وارجوا ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر يعطيها ارزاقهم لكلها الى ان حتى قبض رضي الله
عنه منهم سيد الناس اما الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس النسبة اليهم الكل
لكن بالنسبة اليهم لما فيهم من الصفة الكريمة التي لا يعادلها شيء واما بقية آل البيت
فالمراد بالناس بالنسبة اليهم فرقة الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر
الى السيادة بالتقى فهو خاص بالمتقين منهم فخص بذلك لانه جاء عن كثير منهم
من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما
يرد على النظم السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما خص
وحاصل الجواب غيرهم على اكثر الناس تقى لم يصل اليه فيهم والمعنى كما سادهم الناس
بالنسب سادوهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم ومن ان جماعة قالوا ان
لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الا ان يقال سيادتهم الناس بالنسب

اشهر وان بذلك ودليل الاول اعني السيادة من حيث النسب الذي هو شرف الانساب
اية المباهلة قال بعض محققي المفسرين فيها لا دليل اقوى من هذا على فضل علي وفاطمة وبنيهما
اي لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين واخذ بيد الحسن ومشت فاطمة
خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المراد من الاية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه
وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والاخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله
عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه
يوم القيامة بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والاخرة والحديث واخرج الطبراني في
حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي
طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة واذا كان يوم القيامة دعي
الناس باسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم
لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية ورده بان كثيرا من طرقه
ترتقي الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل
بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم وجاء في حديث اخر بسند
جابر وفي الكبير اهل البيت ان عمر قال ذلك لما تزوج علي ابنة عن فاطمة ام كلثوم وكان
جاءه وقضى اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر الا في محله وان اوراد الصحابة بعمر على هذا
الاستدلال صحيح في رده ما ادعاه من ان بيت سادة في هذه المسألة لاسيما لبعض

في ذلك ويدل لما تأتى اعنى النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما انزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا اغنى
عنكم من الله شيئا فيان لكم رحما سابلها ببلالها اى ساصلها بصلتها ومعنى لا املك لكم انه لا يملك
لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملك نفع اقاربه بل وامته بشفاعة الخاصة والعامة
واخرج الطبراني حديث ان اهل بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك
ان اوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل بيتي
من اقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذي بعثني
نبيا بالحق لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وجاء في احاديث ضعيفة ان فاطمة احصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية ان عليا قال يا رسول الله لم سميتها
فاطمة قال لان الله فطمها وذريتها عن النار اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات ان الله غير
معذبك ولا احد من ولدك ومر ايضا ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك لا
ينبغي لاحد من آل البيت ان يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
السابق ان اهل بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي المتقون
وحديث البخاري ومسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين
ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وانهم لم ينتف لكن ينتفعهم بسبب
عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم
ما يسوءه مما تعرض عليه من اعمالهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم

الله منهم

الله منهم في القيمة يا محمد يريد ان يشفع له فيقول لا املك لك من الله شيئا كما في الحديث
وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي الله عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا
لله فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا
نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك
من هو اقرب منا اليه كابي طالب والله اني لاخاف ان يضاعف للعاصي
منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا اجره مرتين وكانه اخذ ذلك
من قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وقال موسى ابن على ابن الحسين ابن على عن ابيه عن جده انما شيعتنا
من اطاع الله وعمل اعمالنا ومر يعلم ان الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من
شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه
الدارقطني وقال ان له عنده طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك في الجنة
وان قوما يزعمون يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما
يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم
مشركون وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون
جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم الذين يدعون سادة ينقمون
عليكم كفقهاء بني امية او المراد وسواكم او غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة
لهم في الدين اصلا بل ولا في الدنيا عند الكل وانما سودته عند الجهلة

مثله واوفر القسم نظرا للفظ سوى البيضاء اى الفضة والصفراء اى الذهب اى جمع
الناس فى ماله فخصص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر فرضيهما فى
سده ثم وسوده الا استنفاق والبيضاء والصفراء الذين هى واقسم عليك باصحابك
جمع صاحب وهو من اجتمع مؤمنا ولو لحظة واعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته
مؤمنا وحذف السادس كنسخة الجلال المحلى رحمهما الله لهذا كغيره فيه نظر والبها
فابو رفع فى صحيح احمد بن حنبل فى مسنده وما يؤيد ذلك كما بينته فى محل اخر
الذين هم بعدك فينا الهداة اى الدالون للامة على الله بما يحب له ويجب
ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شرعه وعلى تهذيب النفس وكمال الاخلاق
والجهاد فى الله عز وجل وغير ذلك مما يليق بكل ما ذكر وهذا مقتبس من
قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا
المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر
والاوصياء اى الذين وصيتهم بالقيام بامر الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار
والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لمعالمهم الدين
ولانت اهل الزيغ عن ازهم فلم يبق منهم يظهر الا من دس وانما حملت الاوصياء
على ما ذكرته على فرض انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابى بكر وعلى
ووجه الرد ان الذى دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به انه صلى الله عليه وسلم
لم يوص فى امر الخلافة لشىء منهم ولا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص وما فعلت

المصلحة

٤٢

المصلحة العامة مستحقة صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص عليها صريحا وانما اشار
اليها لابى بكر باشارات تقرب من التصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره ويعلم
تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح التى ظهرت له صلى الله عليه وسلم
لما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فكثر عنده اللغط
فمن مريد الكتاب ليقطع التصريح وينقطع العذر وغير مريد مع ما علم من خشيته
من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف ولذا تركه صلى الله عليه وسلم الكتاب
والدليل على انه انما تركه لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر
ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على احد لم يترك ذكره واى وقع
اعظم مما وقع فكونه كذلك اوضح دليل على ما تقرر اخلفوا بعدك اى بعد
وفاتك الخلافة عنك والذين بالقيام بجميع ما يجب او يحسن من عادة من
الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا على استخلاف ابى بكر رضى الله عنه ثم على
استخلافه لعمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم ابنه
الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية على الولاية لمعاوية رضى الله عنهم حيث بذلوا
كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ولنشر العلوم الى ان حملها عنهم التابعون ثم من
بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا فكل منهم لما تولى فى خلافته صرف
بعد ... عن الخلافة او الامرة والقضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور
والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما كانت لله

لا غنى بفتح الهمزة وكسر النون ككتاب اى فتيهم مما يولاه اهل له فى اى بقعة او
كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القرآن وقد وقعت منهم له هفوة فقد
كفرت عنه بجد افقرهم اغنياء نزاهة اى من جهة النزاهة والتعفف عن
جمع المال واين كان من جهة تقطع بحلها لان محط نظرهم انما هو مجرد المطلق عن
سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال
وانما الغنى غنى النفس اى بالله عما سواه سواء كان بيده مال ام لا ومن كان منهم بيده
مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازن الله يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو
مقتنيه لذلك لا لفخر ولا لمباهاة ولا لمحبة جمع لذلك الحطام الفانى ولذا روى
ان عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقبة وتصدق هو وعثمان فى غزوة تبوك
بما بهر العقل وكان للزبير الف عبد يؤدى له الخراج وما مات الا وعليه دين كثير جدا
من الديون وكون المخلف عن ابن عوف وربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافى ما قررته
انه انما كان لله ليس معناه انه يخرج جميع ما فى يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما
المطلوب منه فى كل حال اى زمن وما اخرجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل فى يده
دفعة واحدة فهو لما لا احتياجه لذلك لسنة من ورث اصحابه او لان حاله فى الامور
الخارقة للعادات لا يقدر غيره على التاسى به فيها فلا تكلف بذلك وتخلف ابن عوف
عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع او ليسأل سؤال تكريم عما انعم
عليه او جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك خير فارح فى فضله رضى الله عنه ثم

هم

هم فقراء اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنا منهم كانوا خزانا لله كما مر فلا يعد
من الاغنياء الا باعتبار الصورة واما باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار
الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى فانما يعدون
انفسهم خزنة لا غير ومما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم ان الغنى الشاكر
افضل من الفقير الصابر وهو مما له اكثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما
علمت ان الغنى هو الذى ختم امره به صلى الله عليه وسلم وهو كان دائم الترقى فى
الكمالات فلولا ان الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به فليل
ومحل الاختلاف الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل
قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء امره مع فقره
على غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر
كما تقرر وبفرض صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون اغنياءهم لانهم
راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين الائمة والعلماء
وبين الرفض ولا علماء الا نبات لحديث فى الحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم هم
علماء ائمة لانهم عرفوا علومه صلى الله عليه وسلم ما لم يعرفه جميع من جاء بعدهم وفى
الحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد
جاء ان مفتى الحسن البصرى كان يفتى الصحابة فى زمنه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى
الحديث المتفق عليه فى خطبة الوداع رب مبلغ اى بفتح اللام اوعى من سامعه

اى كثير من منهم تولوا الامارة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمن الخلفا
الراشدين فقاموا بحقوقهم وبروا وعدلوا وعزتهم لما رمى بعض المنهورين
سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه
بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس منها ان الله يطيل عمره ويعرضه
للفتن فكان وهو بحاجبيه قد سقطا على عينيه من الكبر يتعرض للجوارى فى الازقة
ويقول شيخ مفتون اصابته دعوة العبد الصالح سعد رضى الله عنه ومما يدل على انهم اغنياء
تزهدهم لانهم زهدوا فى الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو
اى القرب بسبقها للاخرى وقيل لدنوها من الزوال وهى ما على وجه الارض من قبل
كل المخلوقات من الجواهر والاعراض ويطلق على كل فرد من ذلك مجازا كما هنا فان المراد
بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها مقصور
بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى تنوينها فاستشكل ابن مالك استعمالها منكرة
كما فى الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط ثم
ثم الصحابة رضوان الله عليهم فى الزهد منها وهو اخذ ما يحتاج اليه والحلال
وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعى فى تحصيلها بالكلية واشتغل
بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شىء الا هو مشغول
بشىء من ذلك وكثير منهم حصلها لكن كان فيها خزانا لله نعم كما مر وهذا لا ينافى
زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم

فاذا

فاذا نظرت الى زهدهم يتضح لك زهدهم فيها حقيقى فما عرف الميل اليها بنوع التفات ولا
اقبال لحظات بها الى اعينهم ولا الرغبة اى الزيادة فى تحصيلها وهذا علم من نفى
الميل بالاولى لكن ذكره مجرى لايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافى
هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح فى يد الرجل
الصالح ودعاؤه به لاناس من اصحابه كابن عوف وانس رضى الله عنهما فكثرت
اموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير يصرف فيه فى الطاعات والاعانة
به على نظام امور الديانات وما يتطرق اليها يثنى عليه وجهة شر بصرفه فى ضد
ذلك وما يتطرق اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث
الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبنى فاقلل ماله وولده
الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد فى مدح الدنيا وذمها
والجمع بين تلك الاحاديث فى كتابى سعادة الدارين فى صلح الاخوين علا
يستغنى عن مراجعته ان خاضوا فى الوغى اى بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم فى الله
المشهور وترى ان اطلاقها على الحرب مجاز لا حقيقة نفوس الملوك كسرى وقيصر
فكشف بعضهم حاربوها بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية نفعهم
الله عليهم بقتل بعضهم وانا له ملك اخرى اخرى اسلابها بفتح الهمزة
جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب المقتول وفرسه وما عليه من الات السلاح والنقد
وشبهه نفادين بينهم وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك

الذي هو جمع الكثرة واضافة الجمع يفيد عمومه اما في الافراد وهو التحقيق او في المجموع
وعليه كثيرون اكفاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلبة التعريف بمعنى اسم الفاعل اي انهم
الائمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع فعال كداء وادواء وبعد
قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر في الاول لان حمل المصدر واسمه على
الجمع يحتاج لتأويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى
الاول ان المعنى انه لما كان الفضل اخاصا للنفوس والاسلاف اي اخذها اغلاء
للاسلاف وقال فعله على المعنى الاول ايضا وكانه اي الناظم يقول انهم لما ان خصوا
نفوسهم وبيعهم بالفضل فهذا غلا اسلافهم بواسطة كثرة ما سلفوه واجتمع عندهم
من الاسلاف مقابلا بين اخاص النفوس واغلاء الاموال التي هي الاسلاف.
الماخوذة ممن قبلهم لكثرة ما قبلوه وسلفوه انتهى ففي كل من المعنيين بعد
والوجه ان المعنى عليه انهم احصلوا تلك النفوس رضي الله عنهم تلك الاسباب
الغالية الاثمان على حقها وعلى عدل اي عدل انتهى قال عدل اي عادلين مكان
المصدر هنا اولى باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه قول الاغلاء بالغالية فهذا
هو المعنى على فتح الهمزة مساوي المكسور المصدر **كلهم في احكامه** جمع حكم والحكم الشرعي
خطاب الله المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يطلق ذلك يطلق
ايضا عند الاصوليين على النسبة التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما في نحو الفقه
العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهم كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح

لتوفر

لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد
غيره في مسالة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من يراه منهم فيفتيهم باجتهاد
فلا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خالف فيذكر له فمنهم
من يرجع ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله
العقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقدوا انهم ذوو نقص وهوى او حظ او بغض
حاشاهم الله من ذلك بل لم يختارهم لصحبة نبيه الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها
ذو صواب بغي وذو ثواب ولو عبر بكان اولى لان اثباته على حقيقته تم
بانى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما
على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما في رواية
والمخطئ اجرا واحدا كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صواب به ذو ثواب
كما نفيه فتامله فعلى الاول كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مصيب وعلى الثاني
علي رضي الله عنه مصيب الى اجران او عشرة اجور ومعاوية مخطئ في خروجه على علي
له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله فصواب
والا فخطأ فان قلت يمكن حمل تاويل النظم بان مراده ذو صواب عند نفسه باعتبار
انه يجب عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد على
ان هذا لو كان مراده لم يبق له فيه هذا الاطلاق الموهم **وكلهم اكفاء** اي متساوون
في اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابان الاحكام لله لا لحظ نفس

وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك فح فلا ينافي ذلك قول ابن عمر ابو بكر
اعلمنا ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا قدرني الله لمعضلة لست فيها يا ابا
الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على كبار مشائخ المهاجرين والانصار
لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بان
يفقهه في الدين ويعلمه التأويل ما ليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلي
بان يسال بالمشكلات فيجيبه وقد قال له اصحابه لم تجب عدوك فقال اما
يكفينا انه يحتاج الينا ويسالنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء
ابو بكر ثم عمر ثم على الاصح عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرة بالجنة
ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضي الله عنهم
ورضوا عنه اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ورضى الله عن عبده تاميته من سخطه واحلاله نعم ورضى العبد عنه
ان لا يختلج في سره ادنى خاطر في وقوع قضاء من اقضيته الحق بل يجب لذلك
في قلبه بنيته اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمانينة
وبين رضي ورضوا اشتقاق لفظي خطا الا بتبين مع جنب ما ذكر فراق فيهم
وختمها بما في الاية من قوله انى استفهام انكاري تعجبي اي كيف يخطو اليهم
اي يصل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطاء وهو نقيض الصواب يعني يخطئ
احد منهم خطاء بانهم سلما من انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطا له اجر

بهذا

وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة احاديث ذكرتها في الصلاة على السابق ذكره مع
مخرجها وها انا اذكر جملة منها مبينا عن ذلك اتكالا على ما سندها ثم منها ان الله
اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منهم يوم القيمة صرفا
ولا عدلا اي فرضا ولا نفلا وفي رواية من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه اذا اراده
بجعل امتي خيرا الفرح اصحابي في طلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه ما شانكم وشان اصحابي ذروا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا
اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي خير الناس قرني الذين انا فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث والباقي اراذل اي غالبهم وفي رواية متفق عليها
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقي اراذل اي غالبهم
وفي رواية متفق عليها خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث
وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وكفى بها اعظم فخرا وفيه

ان نصا هم الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم يعني جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
قوم من الصحابة وبعد قوم وهكذا السابقون الاولون ثم الذين بعدهم وهكذا الى وفاته
صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما في اوائل صحيح البخاري عن هرقل انه سال
ابا سفيان رضي الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هل يزيدون ام ينقصون فقال بل
يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان اصحابهم
كذلك فعلم ان مجيء الصحابة قوما وبعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم
واندفع ما قد يقال اي فائدة في هذه الجملة وكلام الناظم وحاصله لا يحتاج الى اخبار
بما يقع عليه لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم متلبس
بحق فلا طعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة وبغوهم عليهم فلم يصح منه شيء اصلا
وانما هو من مفتريات الجاهلين ووضع المفترين وعلى المنهج اي الطريق الواضح
الحنيفي اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج حاق كلهم
وهكذا لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله
وهم على ذلك يا لموسى كليم الله ولا لعيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليهما وسلم حواري
جمع حواري وهو الناصر جعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يقصرونها من الحور اي البياض الا بعض لباس الواحد ففضلهم بشهادة
نص كنتم خير امة اخرجت للناس وحديث خير القرون قرني وفي رواية خير الناس
قرني وحديث المناجاة ان موسى راى لهذه الامة في الالواح اوصافا باهرة فقال يا رب

جعلني

اجعلني منهم ولا نقباء في فضلهم ايضا وهولاء [illegible] اذا لحوا يكونون لعيسى النقباء لموسى
ولما ختم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة
الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية بالخلافة فقال اقسم على ابي
بكر الصديق رضي الله عنه فهو عطف على العلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده مبتدا
تفضيله من اصحابك الذي تميز من سائر الصحابة بما كان لا تصحيح في انه الخليفة الحق
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل وافضل الخلق ما عدا الانبياء والمرسلين
كما صح حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر
ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري
ولذا لم يسمع احد من المبتدعة انكاره للناس في حياتك الامام فاعل متعلق والظرف
متعلق به فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اسند مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام
مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب
يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يامر عمر فقالت له فاشتد غضبه
فقال مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها تشاؤم الناس بمن قام
مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم بان يصلي
وكان ابو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم [illegible] اخرج راسه

مغضبا ويابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه فجر الاثنين يوم كشف
سجف حجرته فراهم في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم فتبسم ضاحكا فنكص ابو بكر على
عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به فاشار
اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفي ضحى وفي سياق التلميح
الى هذه القصة قال العلماء فيه اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم
بالخلافة واولاهم بالامامة وفي ثم اجمعوا على ذلك لان ذلك تقديمه بحضرة المهاجرين
والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله اي اعلمهم بالقران صريح في انه
اعلمهم بالقران مطلقا وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم
وعلي قال لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد ما انا
بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما احسن قوله وصلى بالناس
ثمانية ايام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون ومن الظواهر الصريحة
على خلافته ايضا ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض موته
ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا
اولى ويابى الله والمؤمنون الا ابا بكر وفي رواية اكتب لكم كتابا لا يختلف عليه احد
ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في ابي بكر وصح انه فيما سأل الناس ان
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الله الذي يريدون اليه ان كنتم بعده فقال ابو بكر
واخرج الشيخان ان امرأة اتته صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه فقالت ارأيتك ان جئت ولم اجدك

كانها

كانها تقول الموت فقال ان لم تجديني فأتي ابا بكر ومنها اخرجه الشيخان من عدة طرق
انه صلى الله عليه وسلم راى انه على بئر لم تطو فنزع منها بدلو فاخذ الدلو
ابو بكر فنزع بها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابي بكر فاستحالت بيده
غربا اي دلوا كبيرا فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن اي حتى رووا قال العلماء
هذا اشارة الى خلافة ابي بكر وقصر مدته وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام
في زمنه وحيث ادلة اخرى صحيحة ايات واحاديث كثيرة تدل على صحة خلافته
وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان في كتابي الصواعق المحرقة والمهدي
اي المسكن للفتنة والاضطراب في امر الخلافة يوم السقيفة التي لبني ساعدة
حين اجتمعوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه
لما اي حين ارجف الناس اي اضطربوا في امر الخلافة وبين المهتدي اي المسكن
للرجف والقرابة ولا يابد هو بعد المطابقة انه تعليل للمهتدي ولكن
كسرانه لانها مع كونها للتبيان فقد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به في ان الحمد
والنعمة لك في التلبية الدواء اي المسكن للاضطراب لانه وكان
انه هو المشهور قديما وحديثا فانه يسكن الفتن ويجلي كربها ففي الصحيحين عن
عمر انهم لما دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم فخلف علي والزبير ومن معهما في بيت
فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون
الى ابي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا فلما طلعوا قام خطيبهم فخطب

وأثنى على الله ثم مدح الأنصار وأطنب بمجيء لم يترك آية أو خبرا جاء فيهم إلا ذكره
ثم ذكر أن قوما يريدون أن يستبدوا بالأمر عليهم ثم سكت فأراد عمر أن يخطب بما
زوّره أي جمعه في قلبه فأسكته أبو بكر بالسكوت ثم خطب وأثنى على الأنصار
ثم بيّن أن الخلافة لا تكون إلا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الأئمة من قريش
ثم قال لقد رضيت لكم أحد هذين عمر وأبا عبيدة وأخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما
فقام الحباب بن المنذر وتكلم بكلام ثم قال منا أمير ومنكم أمير فكثر اللغط وخيف
الفتنة فبادر عمر فقال لأبي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الأنصار
فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة أي لأنه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله أي
لأن الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فبالغ عمر في اجتهاده وأنه بالنسبة إليه
كالشيخ بالنسبة إلى تلميذه ثم تدبر بما يراه أن يقوله في حقه ذلك وصح أن عمر احتج على الأنصار
بإمامة أبي بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ولما بويع
سعد جلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد ثم أثنى على أبي بكر ثم قال فقوموا فبايعوه
فبايعه الناس بيعة العامة فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت
فأعينوني فإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فكلمه فقال لا تثريب يا خليفة
رسول الله فبايعه فلم ير عليا فدعا به فكلمه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله
فبايعه أو شكا كل منهما على تخلفه بالخلافة بأنه صاحب الغار وبتقديمه للإمامة

وحكى أن

وحكى ابن سعد وغيره أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبي بكر لم يختلف يتخلف
منها أحد منهم ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة إلى الآن ثم
علم وكذا كل الفرق وأقسم علي بأبي بكر الفاضل لذلك لما كونه كرم الله
وجهه انقذ بالقاف ثم المعجمة الذي وهو ما جاء به النبي الكريم صلى الله عليه
وسلم أي نجاه بأن أزال كل شبهة عنه وأهله بأن أزال أسباب الفساد بينهم
بعدما مصيبة كان أي حصل الذي متعلق هو ما بعده باسمها وهي استفاء
على كل كبير أي عم بأخذ بالنفس ويصح كونها ناقصة والذي خبرها
استفاء أي أشرف وقرب يخشى منه أن لا يجمع للإسلام بعده شمل أبدا
وقد ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه والله لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد
صلى الله عليه وسلم أبدا وأيضا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت
عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منضبطة إلا أبا بكر فإنه كان غائبا فلما حضر
دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك
بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
إلى الشاكرين فلما سمعوها ردت إليهم عقولهم فتلوها فقالوا حتى عمر فإنه
أنكر موت النبي وقال ذهب إلى ربه فأسكته أبو بكر فسكت فأقبل على الناس
فصغوا إليه وتركوا عمر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كأنا لم نسمعها

الا وح فكان هو المثبت لهم وما لا لم يجتمع لهم شمل وابتدا اختلفوا في محل دفنه
اختلافا شديدا كان ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن
في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه فزال ما كان بينهم وبعض اختلفوا في ميراثه
اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا يعلم انه كان احفظهم للسنة ولما تسبب
قتله الى ما يرعنه فضربه خلافته واستغاله بقتال المرتدين ومانع الزكاة
ومسيلمة الكذاب والكهنة انفق المال اي اكثر الذي كان يملكه اي
صرفه في مصارف الخير حتى بقله جمعه في اي سبب او من اجل رضاك ما رسول الله
كما جاء من القرآن نعم وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى آخر السورة
قال ابن الجوزي جمعوا على انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه لماله وبانه
الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم افضل هو كذا
كما صح من الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس
فمسوه يس اي حبيب النجار افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس في الناس احد
امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي
بكر اي لانه سيصير خليفة فيحتاج الى الصلاة بهم في المسجد واخرج الترمذي حديث ما لاحد
عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها
به

يوم القيامة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد اعظم عندي
يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني
ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ما نفعني مال في الاسلام
ما نفعني مال ابي بكر ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم ياخذ
منه الراحلة الى الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابرأه منه وصح انه كان
بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فابى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فنده عمر فاتى منزل ابي بكر فلم يجده فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه
يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه
مرتين فقال ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وواساني
بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها وفي رواية
في خطبة قبل هذه الا تدعون لي صاحبي ما شانكم وشانه فوالله ما منكم رجل
على باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال
ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج
احمد وجماعة اخرى عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني
مال قط وما نفعني الا مال ابي بكر فبكى ابو بكر فقال هل انا ومالي الا لك
يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب مرسلا كان صلى الله عليه وسلم
يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله

وله اربعون الف دينار وفي رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلعم وعليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فنزل جبرئيل فقال يا محمد اني ارى ابا بكر عليه عباءة
قد خللها في صدره فقال يا جبرئيل انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله
يقرء عليه السلام ويقول له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال
ابو بكر اسخط على ربي انا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي
رواية ان جبرئيل هبط فتخلل بطنفسة واخبر ان الله امر الملائكة ان
يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير هذا منكر جدا لولا انه كالذي عليه
يبدأ به كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولى وصح عن عمر امرنا رسول الله
ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر ان سبقته
يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلعم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله واتى
ابو بكر بكل ما عنده فقال يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله
ورسوله فقلت لا اسبقه الى شيء ابدا والحال انه لا منّ منه عليه فيما انفقه
وابو بكر واما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر
على جهة الامتنان فحرام فيهما تغليظا على هو متصدق المن على المتصدق عليه
بان يعتد عليه ما اعطاه له او يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى واعطى لله عطاء جما اي كثيرا في وجوه الخير العامة

والمصلحة

٢٢١

والمصلحة الدائمة منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث الهجرة
انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قبا واقام بها بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى ان
ياخذ احد بزمامها وقال دعوها فانها مامورة فاستمرت الى ان بركت عند محل
مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار ابي ايوب
الانصاري من بني النجار احد اخوال جد النبي صلعم عبد المطلب وكانت دارهم
وسط دور الانصار وافضلها ثم قامت وبركت في مبركها الاول والقت
باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم
عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله ثم ساوم بني النجار في تلك البقعة فابى
منهم بيعه دنانير من ماله ومن مال ابي بكر وكان قد خرج بماله كله فكان له من
التسبب في ذلك المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يحده قدره واشترى
ايضا جماعة اسلموا فعذبهم اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم كى
الكداء اي لم يقطع اعطائه بل استمر عليه حتى توفاه الله نعم وابي اي فخم عليه
بابي حفص الذي اظهر الله به الدين كما جاء في سبب تسميته بالفاروق اخرج ابو
نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس انه سأله عن سبب تسميته بالفاروق
فقد كان حمزة اسلم قبله بثلاثة ايام وانه خرج في المسجد فسب ابو جهل النبي صلعم
فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب بها اخدعي ابو جهل فقطعه فسال الدما
فاصلحت بينهما قريش مخافة الشر والنبي صلعم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة

فاسلم وبعده بثلاثة ايام اتكى عمر على فراسه فقال له ان اختك فتنت اى سعيد
بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما فجاء فضرب راس اخته فادماه
فقالت له كان ذلك على رغم انفك فاستحى حين راى الدماء فجلس وقال ارينى
الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجت اليه صحيفة فيها بسم الله
الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الايات فعظمت فى صدره فقال
خباب وكان النبي صلعم ارسله لتعليم اخته وزوجها انى لارجو ان يكون الله خصك
بدعوة نبيه فانى سمعته امس يقول اللهم اعز الاسلام بعمرو بن هشام
اى ابى جهل او بعمر بن خطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبي صلعم
فضرب الباب واستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال عمر افتحوا الباب
فان اقبل قبلناه وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد
عمر فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق
قال بلى فقلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا
المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله صلعم
الفاروق يومئذ وفرق الله بى بين الحق والباطل وفى رواية لما اظهر اسلامه
صاروا يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام
وصح انه لما اسلم نزل جبريل فقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر وقال
المشركون قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك

من المؤمنين

من المؤمنين وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه
فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلى الى البيت
حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم عمر كان الاسلام
كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المقبل
مدبرا لا يزداد الا ضعفا بسبب تغير فى الله وسنته سكينته كما علم مما تقرر
ارعوى اى رجع واقلع وانكف الرتاج اى لا عدام ما كانوا عليه من الفساد
فى الدين وعدم النصح وعدم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالامور العظيمة
التى كانوا يفعلونها معهم قوله ايضا الامام العدل التقوى فى الله الذى
ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك نقرب الا ما بد منه فى النسب فى اى
بسبب او لاجل رضى الله اليه متعلق بنقرب فيكونون بذلك اولى عنده من
الذين ليسوا كذلك كما قال ابها وفى هذا البيت من انواع البديع العكس
نحو لا هن حل لهم الاية والاكتفاء وهو حذف شئ دل عليه ما قبله كما فى قوله
وبوء الفجر على الصدق والارصاد وهو ان يتقدم على الروى ما يعين
هو وما ظلمناهم الاية ويبعد عنه القرباء اى قرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله
فعلم انه لا يحابى فيها ولا يعتد صدقها وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا
حمية ولا عصبية وان تحط انما هو لله لا غير قطاعه نحو هى المقرب منه فى سبيلها
هو المبعد منه عمر بن الخطاب فرحمه وصله قوله الفضل اى الفاصل بين الحق

والباطل وفي حكمه السوي اي الذي لا اعوجاج فيه السواء تأكيد اي المعتدل وهذا
اولى وجعل الشارح السوي صفة حكم والسواء خبر لا فضائله فغاير بينهما ولم يكن بلا
فرّ اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات متمرد جني او انسي آن اي لا جل انه
كان فاروقا ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس
ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فسببها صحيح
في الفرق الذي يفرق به بين الحق والباطل وفرار منه الشيطان بسبب الشان
التي هي اصل الشيطان من شانه بالفضل اي فضل انجاء اي امحاء ولا جل
في ذلك احاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان
سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر
وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال
وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على
لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان يفرق منك يا عمر وفي رواية اني لانظر
الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال
اقرئ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وان غضبه عز وفي اخرى الحق بعدي مع عمر
حيث كان وفي اخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم الا خر لوجهه وفي اخرى
الصدق بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر
حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه صلعم قال له

يا اخي

يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا
انا نائم شربت لبنا حتى انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما
اولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا
رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على لسانهم وبه
وانعم عليك بذي النورين ابي عمرو عثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي
اي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة جمع ايد جمع يد فاني بيد الناظم في اليد بمعنى
النعمة ايضا التي طالت اي عظم وامتدت الى المصطفى على الخلق كلهم اي المختار
فهو من الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من التصفية
بها متعلق بقوله الاسداء اي الاعطاء حفر البئر اي بئر رومة وذلك
انها كانت ليهودي في الاسهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة ولم يكن بها ماء يستعذب
غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة او من اشتراها فله الجنة فاشتراها
عثمان بعشرين الف درهم وحفرها وهي موجودة الى الان ويتبرك بها من يرد له
الى طابة الشامة وفي رواية ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم
فيها انها نعم البئر اشترى نصفها بمائة بكرة وتصدق بها وقسماها يوما
لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما راى صاحبها
ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي يبيعه منها باع من عثمان النصف
الثاني بشيء يسير فتصدق عثمان بها كلها تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض

وكأنه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة فانما المعروف انه اشتراها
ويجاب بانه لا مانع انه اشتراها ثم زاد في توسيعها مبالغة في تكثير مائها لعموم
شدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض الحفاظ صرح بذلك وفي رواية
ان البئر منها كانت تبيع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها
له فاعتل بان له عيالا ولم يرد عنها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف
درهم وجهز الجيش اي جيش العسرة في غزوة تبوك واخرج الترمذي انه صلعم
حث على جيش العسرة فقال عثمان يا رسول الله علي مائة بعير باحلاسها واقتابها
في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي مائتا بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم فقال عثمان يا رسول الله
علي ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلعم
وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية بعدها وفي رواية
حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبي صلعم
بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر
عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وفي رواية انه بعث
الى النبي بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان
ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه
لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب رسول الله صلعم

الستم

الستم تعلمون ان رسول الله صلعم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال
وصح عن ابي هريرة اشترى عثمان الجنة من النبي صلعم مرتين حين حفر بئر رومة
وحين جهز جيش العسرة وصح انه استشهد اناسا من الصحابة على ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا فله الجنة واجر
في الدنيا وما بقي دخلت له فاشتريته بعشرين الفا فزدته في المسجد فشهدوا له
فقالوا اللهم نعم صدقت ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيزه الجيش وحفر البئر فصدقوه
فقال الخوارج عليه صدقت ولكنك غيرت فقال ويحكم كيف يكون من هذا له مغفرا
ثم ذكر انهم سيقتلون في فتنة فكان كذلك في علي فرجعوا عليه فاستشهد الصحابة
على خصوصيات فشهدوا له فقالوا صدقت ولكنك غيرت وفي رواية ان محمد بن
ابي بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده ان النبي صلى الله عليه
وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناكها وانه بايع عنه في بيعة الرضوان
وانه قال من يشتري هذا النخل فيضمه الى المسجد وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان
المسلمين اشد جهدهم فبسطهم على انقطاع الحوائج بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوى
في الاسلام وانهم ظمأ فاحتفر لهم بئر رومة فاعظم عليها النفقة ثم تصدق بها
على المسلمين الضعيف منهم والقوي سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس
فاشترى خمسة عشر راحلة فاخذ ثلاثة واعطى النبي صلعم ثنتي عشرة فدعا له بالبركة

فيما اعطى وما امسك وانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار فصبها في حجره
فقال ما ضر عثمان ما يفعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وطلحة
والزبير على حراء فتحرك بهم فضربه برجله وقال اثبت حراء فانما عليك نبي او صديق
او شهيد كل ذلك ومحله يقول نعم قال ابن مالك واحسن شواهد قول الكوفيين
ان لا زائدة او مؤكدة بمعنى لو ان هذا الحديث الا في اهدى الهدي الى مكة وارسله
اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي
القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول الحرم لما امتنعوا ان صدوا
عن الدخول الا عداء اي المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى
مكة بخلاف هدي غيره لكن انما ذلك لعرفه وجه بها دون غيره ففي الخصوصية نظر بل
بالخصوصية ادبية الا ان في ترك الطواف [illegible] حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم
يحتاج باحتمال انه اتى هديه لغيبته حتى حضر بعد ذهابهم له ليهديهم فلم يرسله اليه
ولذا ليسوغ له سؤال هديهم فلا مخالفة فيه للادب في تفسير لما هذه بحين هو ما
ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ وانها مختصة بالاضافة الى الجملة
وهي تقتضي جملتين وجدت الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجوب لوجوب
جوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجاد بنائي
فلما ذهب عن ابراهيم الروع الاية مؤول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد يرد
للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة من شدد الميم وفي هذه كالا بمعنى

والسواء يعبد الا باب ويقرب والفداء وكالادب [illegible] جاس الاشتقاق او شبهه
وابي رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع
بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على ان
يرجع في هذه السنة ولا يدخل مكة لئلا يقول الناس دخلها كرها على اهلها
ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها بلا سلاح في غلمانها ليكون ذلك
علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح وكان ذلك
سببا لفتح مكة في السنة الثامنة ولما ارسله اصلا سهيل بن عمرو عثمان
بدل وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستاذن لنا الحلق اي بيننا
وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك احد من بني عدي يمنعني ولكن ارسل
فان بني عمه يمنعونه فارسله ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة
وان يمكنوه من دخولها لاداء مناسكه بقصده من اداء عمرته تعظيم البيت والهدي دون القتال
فكلمهم فلم يقبلوا على كل من القولين اجيبوا عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت
فطف اي امتنع ان يطوف بالبيت اذ لم يطف به رسول الله اي بقي بعيدا اي البيت الى
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وهو ما اشتد من جانبه ولما احتبس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا
اذكره الحافظ مغلطا اي ولما بايعه الناس على ذلك وضع يمينه على شماله وقال
هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب

بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية الترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله
فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا
من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة
من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فسبب
ما وقع لعثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو وعدم مبالاته
كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لاسيما لاكابرهم كعثمان من زيادة
مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه الطواف مع اذنهم له فيه من فرعها اي تلك ا
التي فعلها في الذهاب اليهم والامتناع من الطواف ببيعة اي في بيعة رضوان بسبب
تلك لما في الاية الاتية من رضي الله عنهم بسببها ومن بيعته اي عثمان بيضاء
اي بالغة في الكرم الذي عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم وكم لها
تلك اليد البيضاء بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف كان حاصل غيبته
صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول ادب عظيم جدا عنده رضي الله عنه
ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع
ترك الفعل العبادة نصا عن الاعمال التي في ذلك الفعل وهي الطواف اي ترك
بسبب لتركه لذلك الفعل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا افضل
من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذي بلغ به عثمان من بيان
مالم

مالم يبلغ غيره فلذا حق ان يقال فيه في اصالة على سبيل المدح حيث الادب جاء فيه
تنعيم بديع . وعثمان من اجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذي هو مبدا الادب
ما لم يكن عند غيرهم وهو من اجلهم كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحيى صلى الله عليه وسلم
عنه لما دخل عليه فجمع اليه ثيابه الا استحيي من رجل استحيي منه الملائكة
وروي من غير طرق اشد امتي حياء عثمان ابن عفان احي امتي واكرمها عثمان
ستر تستحي منه الملائكة ان الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله انما
يشبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولي في الدنيا وولي في الاخرة لو ان لي
اربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وما زوجته
الا بالوحي من الله وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يقربها فمر عثمان
فقال هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اي من علمك الخلافة
فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال لهم يوم
الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا فانا صابر عليه ومن النجا
ان بعض اعدائه جاء الى ابن عمر فرماه بانه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر
وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له فعفا عنه ما وقع منه يوم احد
وبان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمريض بنته
رقية وقال له ان لك اجر من شهد بدرا وسهمه وبان تغيبه عن بيعة الرضوان
انما هو لكونه كان اعز اهل مكة فارسله في حاجته فكانت بيعة الرضوان بعد

صلى الله عليه وسلم اهدى بدنة على الاذى فقال هذه لعثمان قال العلماء ولا يعرف
احد تزوج ابنتي نبي غيره ولهذا سمي ذا النورين وقال وهو محصور والله
انه احبا عند ربه هو الله تابع اربعة في الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم
ابنتيه وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله
وما مرت بي جمعة منذ اسلمت الا واعتق فيها رقبة اي فجملة ما اعتقه الفان واربع
مائة تقريبا ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية واسلام ما وجمع القران على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلي اي واقسم عليك بعلي وسبق منه الاقسام بابن
وانما لم يكتف بذلك لان ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهي بوح عليه بفضله
صلى الله عليه وسلم فيهما ويبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق وان الخلافة
والافضلية بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر
وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الشافعي رضي الله
عنه قطعي لا نزاع فيه يعتد به ثم عثمان ثم علي هذا ما عليه الاكثرون فهو
ظني لا قطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية
علي وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة عليه
مع الاشارة الهاة من النبي صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما
يصرح بافضليته على علي ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ابن عفان وعن ابي هريرة كنا معاشر

اصحاب

اصحاب رسول الله ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم نسكت وهل يجب محبتهم برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين و
العلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب رعايتها لكثرة المذكور وان كانت لنحو
قرابة واحسان لم يجب رعايتها كذلك صنو النبي صلى الله عليه وسلم وجماعه في اصل
واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد ومن اي الذي دين اي اعطا
وفؤادي اي قلبي وداده اي حبه والولاء اي مناصرته والذب عنه والود على
ما نزع في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرج عليه ونازعه
الامر ورموه بما هو بريء عنه وذلك العلو بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولنا اكثر
الذب عنه لكثرة اعدائه من بني امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه حتى
المنابر خصه الناظم بذلك ولذا اشتغل جهابذة الحفاظ بسبب نشر مناقبه نصحا للامة
ونصرة الحق ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل
القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الحسان
اكثر مما ورد في حق علي فمن ذلك ما صح ان الله يحبه ورسوله يحبه بل روى الترمذي
انه كان احب الناس الى النبي والظاهر ان المراد بالناس بنو هاشم حتى لا ينافي
ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آية اهلها
لما نزلت دعى صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء اهلي وانه قال انا

انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه نيف وعشرون صحابيا وان الله امرني
بحب اربعة واخبرني انه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق
وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم
على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض ~~مطعن~~ يبهته وان قاتله
الشقي ابن ملجم اشقى الاخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين ووزيره ابن عمه النبي
اي ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم وناشئه في المعالي البينة والتي
جمع العلاء وهو الرفعة والشرف واصل هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة في
غزوة تبوك قال يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون
مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقد مر الكلام في شرح اوائلها
القراءة وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه علي مني وانا منه
ولا يؤدي عني الا علي والترمذي انت اخي في الدنيا والآخرة والخطيب علي مني
بمنزلة رأسي من بدني وابن عدي علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين
والبزار علي يقضي ديني والنسائي والحاكم ان كل نبي اعطي سبعة نجباء وأعطيت
انا اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر الحديث واحمد
انت اخي وابو ولدي تقاتل على سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي ثلاثمائة
آية وعليها الوزارة خاصة به رضي الله عنه فقد اخرج الترمذي حديثا ما من نبي الا وله وزيران

واهل

من اهل السماء ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل
واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية
انهما مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس واخرج الطبراني وابو نعيم ان الله ايدني
باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض
ابو بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر
بل قد يستشكل ذكر الوزارة فيه دونهما مع انها لم يرد فيه لفظا صحيحا فيها
وقد يجاب بانها وردت فيه معناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت
مني بمنزلة هارون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التي هي كوزارة
هارون اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها
تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما ابى فيها المبطل لذلك
الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون
غيره وارسله ينادي على الناس ببراءة في الموسم مع ان الخليفة على الحجيج
ابو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا من كان من اهله وحلفائه
وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودائعه وقضى ما كان عليه واتاه باهله
فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه
وصفها بما هو اعظم واجل من الاهل نعت الوزراء بل مناسب لما
وفيه رد العجز على الصدر وفي تلك الغاية ما امده صلى الله عليه وسلم به

من المواخاة فقد اخرج الترمذي آخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا
رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا
والآخرة ومنها العلوم التي اشار اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن
اراد العلم فليأت الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها وفي
اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووي على انه
موضوع والحاكم صححه وصوبه بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم
ارسله الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم
اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وقيل له
ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سألته انبأني واذا سكت ابتدأني وكان
عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني
الا علي وذكر عند عائشة فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم
الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت
واين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن
كتاب الله فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام جبل
ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي افيضت عليه من تلك الحضرة النبوية لم يزد كشف الغطاء
يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اي لانه حصل
عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته من الايمان وتصديق الرسل
فيما

فيما جاؤوا به ما لا يزيد اليقين فيه وان زاد ذلك عيانا واحتج من نفى زيادة اليقين بنفيه
عن زيادة نموا ثم فاتها ما قلناه الا يلزم ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق
اليقين اقوى من عين اليقين وقد سئله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فانه يثبت لنفسه حقيقة الايمان واليقين وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان
فلا منافاة فيه لما قاله علي كرم الله وجهه فلا فاهم وهم فيه بل لا مثال هو
اي علي في فضله وعلمه وزهده وتقدمه على غير الخلفاء الثلاثة قبله حقيقة فلا
ونظامها فيها تما قام بغير قبله فزيادة للشمس اي مثلها في الظهور والاشادة
التي لا يلتفت فيها الى حقوق منصف ولا عناد معاند كيف وهو مع ذلك ما عليها
غطاء اي ساتر يحول ظاهر لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي
ثمانية عشر منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر اعطي علي ثلاث خصال
لان يكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزوجه ابنته وسكناه المسجد
واعطاه الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث
ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي ابن ابي طالب وما احسن
قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا امير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك
ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك منك اليها وقول احمد وقد سأله ولده عن علي
ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير الاعداء ففتش له اعداؤه عيبا فلم يجدوا فجاءوا
الى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه ان النبي

صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحى اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه علم
انه لم يصل فدعا الله ان يرد الشمس فعادت حتى ظهرت فوقها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي
هذه كرامة باهرة ولعل الناظم اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه احق
بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بلا خلاف وكان الثقات الذين هم اهل
اجماع على خلافته وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اي من الصبيان واعتقد
بكونه سلامه من كان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتميز ولم يعبد صنما قط ومن ثم
كرم الله وجهه والحق بالصديق في ذلك واخاه النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه فا
طمة وهو احد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ
القران وعرضه على رسول الله صلعم واخلى بعد موته صلعم وكتب فيه كتابا فيه العلوم
الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت فيه بالعلم كله ولما هاجر
صلعم امره ان يقيم بعده بمكة حتى يؤدي عنه ودائعه ثم يلحقه باهله ففعل وبعثه
صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر فاذن في الناس
بالموسم بصدر سورة براءة لان العرب لا يعتدون بما يجري على لسان الكبير الا
اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم جاء في حديث رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه
انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو جالس عند فتح مكة فكان مما قال اوصيكم بعترتي
خيرا فان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة او لابعثن
اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا وشهد معه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضاء الا تبوك فانه استخلفه على المدينة
وقال له لما قال اتخلفني مع النساء والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي وبكونه اماما قال له فبذلك بطل تمسك الشيعة به على انه
الخليفة المتعين على الكل لان هرون مات في حياة موسى فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت
اصلا توفي كرم الله وجهه شهيدا عن ثلاث وستين سنة قتله الشقي عبد الرحمن
ابن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين
وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة فشكا اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا ان الله يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون
شرا منه واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج الى الصلاة صحن فطردن
عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخلفاء
قبله عمر وعثمان رضي الله عنهم فان كلا منهما قتل شهيدا مظلوما اما عمر فقتله مجوسي
عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعله بغنيه عليه فزاده
لكثرة صنائعه فكمن له الى ان خرج [illegible] صنعه له وهو في ثاني [illegible] وصلاة
الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلعم فانه ارسل ولده عبد الله
يستأذن عائشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا المكان لنفسي ولاوثرنه به اليوم
فوجه بذلك واما عثمان فاجتمع على قتله اوباش بغية الاف مجتمعون وقصدوها

فاسرع الى ان قتلوه في اوسط ايام التشريق المصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمانين
وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل رحمه الله اذ قتل محمد بن ابي بكر رضي الله عنهم
وهو بري من ذلك وانما فعله بعض اهله وكان الصحابة يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم
من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا
انصار الله مرتين فقال لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
الي عهدا وانا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يليه الكثير وقالوا دعنا ان يمنعوا
عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلعم انه مقتول مظلوم وانه على
الهدى وانه لا يخلص له من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان
انك ستولى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصح في
ذلك اليوم نفط عندي كانت في الاحاديث وصح ان عثمان استصرخ فقال لعلي يا
ابا الحسن ما هذا الذي ذكب مني فقال اصبر يا ابا عبد الله فوالله ما غبت عن قول رسول الله
حين كنا على احد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي
صديق او شهيد والله لتقتلن ولا قتل معك اي بعدك ليقتلن طلحة والزبير
و اقسم علينا باقي اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة منها
ان عمر لما جعل الامر شورى بين الستة اعترض عليه بانهم ليسوا رضي فقال لما عن الله تقول
في علي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول له بيدك في يدي تدخل معي يوم القيامة حيث
ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت تصلي عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة

وفي طلحة ان رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال من يسوي لي رحلي فهو في الجنة
فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك في اهوال القيامة
حتى انجيك منها وذكر في الزبير انه جلس يذب عن وجه النبي صلعم وهو نائم حتى استيقظ
فقال يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت وامي فقال هذا جبريل يقرئك
السلام ويقول انا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شرر جهنم وذكر في سعد بن
ابي وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر
مرة ودفعها اليه فداك ابي وامي وذكر في عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين سنة
جوعا بكاء فهما صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة
فيها حيسة ورغيفان بينهما اهالة فقال صلعم كفاك الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها
ضامن ومنها ان حرا لما ارتج وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد
وسعيد قال النبي صلعم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها عن
سعيد بن عمرو ابن نفيل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة
وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص
في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة فنشدوه بالله عنه فقال اما اذا انشدتموني فانا
تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله
صلعم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح المظهر المبين الذي رتب
بينهم من الصحابة صلعم وهو مفعول له فينا اي انا نفضلهم على حسب رتبهم التي بينها

مسرتهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله ويمكن ذلك التنازع فالاول اظهر والمظهر لك
بينهم لما ابغض الولاء اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحب من ابغضهم وقد
سئل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب ان يكون على حسب
فضلهم فقال محبتهم من حب الدين والقرب الى الله ورسوله فيجب ان تكون بحسب
فضلهم ومن حبب من قرابة واحسان لا فيجب ان تكون كذلك وهاك الله الخلفاء
الاربعة باقى فى بقية الصحابة رضوان الله عليهم طلحة بن عبيد الله القرشى
التيمى احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد
الستة اصحاب الشورى فى امر الخلافة بعد عمر الذين توفى صلى الله عليه وسلم وهو
عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه السبب فى اسلامهم وسماه
النبى طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وكان فيما يروى فيه بحيث باع ارضا له
بسبعمائة الف فبات عنده فلم ينم مخافة فرقها فاصبح ففرقها وفى رواية فرقها
فى ليلة على فقراء المدينة وجاءه رحم له يسأله برحمة فاعطاه ثلثمائة الف
وكان مغله بالعراق فى كل سنة اربعمائة وكان يكفى ضعفاء قومه وقوم ابى بكر
ثم يقضى دين غارمهم ويرسل الى عائشة فى كل سنة عشرة الاف درهم وتصدق
فى يوم بمائة الف ثم لم يجد ثوبا يذهب به الى المسجد يصلى فيه وهو ان لم يشهد بدرا
فقد جعله صلى الله عليه وسلم لمن شهدها اى سهما فيل لانه كان بالشام للتجارة
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله وسعيد بن زيد رضى الله عنهما للتجسس عن خبر عير قريش

وخرج لبدر ورجعا الى المدينة فرآه سفرة فى بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم
اقبل عليه وعلى الزبير فقال يا طلحة ويا زبير ان لكل نبى حواريا وانتما حواريى
اى انصاره وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا
امام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وخلفه فى الصلاة فى الصف والساجد والمهاجرين
والانصار بقيتهم مقام احدهم فاب او شهد المرتضيه اى الذى ارتضاه النبى
صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله المتصل
على ال المضمر نحو الاصح نحو الضاربك لوجل السانيه وضع الميرد هذه
الصورة واوجب النصب ى لئلا يلزم عليه اجتماع اداتى تعريف وبرده ان اضافة
الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا ومن ثم جاز اقتران هذه المضاف
دون غيرها بال ان كان مثنى او جمعا على حده كالضاربا زيد والضاربو زيد وان صنف
المعرف بال نحو الضارب الرجل او المضاف اليه الى المضاف كالضارب راس الكريم او الى
ضمير مرجعه اى كما هنا ومن قال المقدر الذى ارتضى النبى صلى الله عليه وسلم فقد وهم لانه امتناع
الاضافة لا تها ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له رضيا واحدا هو هما فى اكثر النسخ
وفى نسخة احمد وهو الفاعل اى الذى ارتضاه احمد رضيا ففيه اسناد مجازى وفى
احد احد وهو على نزع الخافض اى فى احد يوم ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح
انه بدل من احد اى بناء على النسخة الثانية بعيد وقت الوفاء عن النبى صلى الله عليه وسلم
وهو يوم احد وفيه كعب وسعيد فالامانة وكلا منا وتمسكت اى استمسكت او نظرت

والطوى واعشار الغرف والغيب الا ثياب خاس الا شفاف او شبهه و في ذكر واحد
في اكثر النسخ نظر بل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
لما تخلف عنه الناس بعد عشرة سبعة من المهاجرين سبعة من الانصار وفي البخاري
لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له
بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابع بعده الناس فانه قال وكانت
لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فتلقى وجهه
بيده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا حدث عن يوم احد بكى وقال
ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اي الجنة له اي
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة
هنالك فما استطاع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اي
طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه ومن غرائبه
انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال لي صلى الله عليه وسلم ولعبيدة
ابن الجراح عليكما صاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون او اقل او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا
قد قطعت اصبعه فاصلحنا من شانه ثم رايت [illegible] الى طلحة
وهو لقد رايتني يوم احد وما في الارض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري
ولما رجع صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرا من المؤمنين رجال

الا

الا به فقيل يا رسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم
لكن تكلم فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة
بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي الزبير
بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فابى فصلى ثم دعا عليه انه كان مبطلا
يريد فيه اية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فاخذه فلم يزل
يخبطه برجليه حتى قتله سعيد بن المسيب فانا رايت الناس يتبعون سعدا ويقولون
هنيئا لك يا ابا اسحق اجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله
عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما رأى ووعظ طلحة فانثنى ووقف
في بعض الصفوف فاتاه سهم في ركبته فقتله في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين
عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه علي فجعل يمسح التراب
عن وجهه ويقول رحمة الله عليك ابا محمد يعز علي ان اراك مجدولا تحت نجوم السماء
اي ناصري الزبير بن العوام القرشي وامه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة
والشجعان المشهورين لم يلحقه خوف ولا احد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما
كان يوم بدر تعمم بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو اول من
سل سيفا في سبيل الله لانه سمع ان محمدا اخذ فخرج يشق الناس بسيفه
فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له ما لك فقال اخبرت انك اخذت فصلى

عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلعم وفتح اليرموك وكانت
له فيها اليد البيضاء والهمة العليا اخترق صفوف الروم من اولهم الى آخرهم
وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلعم
من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فقال صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حواري وحواري الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال
ارم فداك امي وابي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال ومن قالوا
الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم ما علمت وانه كان لاحبهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا
وكان له الف عبد يؤدون اليه الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه لا
يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج
علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعوا الى الزبير فدعي
له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له انشدك بالله اتذكر يوم مر بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت
الا احب ابن خالي وابن عمي وهو على ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت
ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما
بالك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس وابى وفي رواية

انه

انه قال جبنا جبنا فقال قد علم الناس اني لست بجبان ولكن ذكرني علي شيئا فحلفت
ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي ابكم عمار بن
ياسر قالوا نعم فاخذ سيفه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار
ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علي الحديث زيادة
في اعلامه ثم سار قليلا وحل لوادي السباع نام فجاءه رجل فقتله في جمادى الاولى
سنة ست وثلاثين وعمره نيف وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجمع علي قال
لابنه عبد الله ما اراني الا ساقتل مظلوما ثم اكد عليه في ان يبيع امواله
ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وقدر دينه الفا الف
ومائتا الف وما ولي امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا وما خلف درهما
ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا نقضه عليه
ثم اقام اربع سنين ينادي كل موسم من له عليه شيء فليأتنا فلم يأت احد
اخرج ثلث ماله لانه اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع نسوة فاصاب
كلهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا الف هذا ما لخص في صحيح
البخاري لكن اعترض عليه بان الصحيح ان الذي تركه مما في الدين والوصية
وما فضل عنه تسعة وخمسون الف الف وثمان مائة الف وكان له صدقات
ومكارم جليلة وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه بل اغنياء الصحابة
كلهم كذلك لان اموالهم اما من سلب او سهم من الغنيمة او الفيء او تجارة

مدرهم واوصى اليه سبعون من الصحابة بان لا دهم واموالهم فحفظها وكان ينفق على
اولادهم من ماله وقد مدح حسان فيه شعر فكم كمن زارت الزبير بسيفه عن
المصطفى والله يعطى فيجزل فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤه خير من فعال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية افضل ابن القرم
بفتح القاف وسكون الراء اى السيد الكريم عبد الله ابن بنت ابى بكر الذى انجبت بهم
اى انت بهم في غاية النجابة والشجاعة والرأى الجازم والمعرفة الثابت اسماء
بنت ابى بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة
وكان اول مولود ولد بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين لان اليهود قالوا لهم
انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى
الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال غيبه في موضع لا يراك فيه احد فلما جاء اليه
قال ما فعلت بالدم قال شربته فقال اذا لا تمسك النار ويل لك من الناس
وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى في الخلافة لما مات يزيد سنة اربع
وستين واطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة ليبنيها
وسماعه من خالته عائشة ما روت له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قومك حديث
عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها
الشرقي لاطئا بالارض كما كانت في زمن ابراهيم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد
مشاورة الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لما علمه

المذكور

المذكور فكان اخذ لك البناء باقيا له الى ان يهدمها ذو السويقتين فان البناء
الموجود الان كله بناؤه الا حائط الميزاب فان الحجاج لما حصره اول الحجة
اثنين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادى الاولى
سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير في الحجر وهو ستة اذرع
كما ادخله ابراهيم واخرج الستة ثم اقر الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي
واعلى الباب الشرقي ليصير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنوها
نفدت بهم المال الحلال عن ان يجعلوها كما كانت في زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان
ابن الزبير صواما يواصل الجمعة عمرها واكثر قواما اطلق لحية له من دهاء
العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتفاوتين سنا
وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله ابن العباس وعبد الله بن عمر وعبد الله
بن عمرو ابن العاص وليس منهم ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا وليس في طبقتهم الصفيين اى
تثنية صفى وهو المصطفى المتخلص من الخطوط والشهوات قوام الفضل من قام
المروءة ولدت اثنين اى ان الفضل انجبهما لكثرة ما قام بهما منه ولو قال قواما
الفضل كان اوضح ومعناه ح انهما لما اشتركا في الفضائل الجليلة صارا كانهما توأمان
في حمل واحد سعد ابى اسحق بن ابى وقاص مالك القرشي الزهري وهو احد
الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام
واقام كذلك سبعة ايام والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول

من رمى بسهم في سبيل الله واول من اراق دما في سبيل الله ومن ثم كان يقال
له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلعم ورمى يوم احد الف سهم
وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مدائن كسرى وغيرها ومن كراماته الظاهرة
انه قطع بجيشه البحر على ظهر الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس في غاية
الطمانينة كانهم سائرون على البر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله عنهم
وكذلك ولاه عثمان وكان مجاب الدعوة وكان صلى الله عليه وسلم يناول له النبل يوم احد
ويقول ارم فداك ابي وامي واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال
هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد ودعا له فقال
اللهم سدد رميته واجب دعوته وفي رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له
دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم انه يعيش فقال لعل الله ان يرفعك فينتفع بك اقوام ويضر بك آخرون واعتزل
الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيئا من تلك الحروب وتوفي بقصره بالعقيق
على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة
وصلى عليه امهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن بضع
وسبعين وكان اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت
اخبأها لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم
نزلت في ستة منهم سعد وابن مسعود. سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي

احد العشرة المشهود لهم بالجنة وشهد المشاهد كلها وعده البخاري ممن شهد بدرا
ومر في ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم
يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته وسبب
في اسلام عمر ولذلك لم يدخله في اهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن
انه حابى اقاربه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه اخذ لها
قطعة ارض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال مروان لا اسألك بينة
بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فذهب
بصرها وبينما هي تمشي في ارضها وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني دعوة
سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذي ادعته ثم دعا
عليها بما مر توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد
توفي في الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل
من غفر الله عز وجل لزيد بن عمرو ورحمه منها وهو صحيح سأل صلى الله عليه وسلم
عنه فقال يأتي يوم القيامة امة وحده بيني وبين عيسى ان عدف لا صعبا
فهذان من اكابرهما كيف وفي ابنيهما ما يبلغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة
وعبد الرحمن ابن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري احد الثمانية السابقين
للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين اسلموا على يدي ابي بكر

وصح انه كان بينه وبين خالد بن الوليد شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي
فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
اي نصفه وفي رواية الواقدي وابن عساكر لخالد دعوا لي اصحابي متى ينكث المرء
ولو كان احد ذهبا تنفقه قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة او روحة من غدوات
او روحات احدهم عبد الرحمن شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان
ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة
وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم ففتح عليهم وتزوج
بنت شريفهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم انتهى اليه في غزوة
تبوك فصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره وسببها
انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجة فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فقدموا عبد الرحمن
ولما اتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى صلى خلف رجل صالح
من امته وانهم صلى الله عليه وسلم لابي بكر لكنه اخرج نفسه عن الامامة بتاخره وقال لما قال له
صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد امرتك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان
يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك قلت لعله علم انه لم
يقصد ما قصد ابو بكر وقد صلى صلى الله عليه وسلم خلف جبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بمكة
فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله
العتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون الفا وفي حديث

انرامس

امين في السماء وامين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة
خشيت ان يهلكني كثرة مالي فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم حمل على خمس
مائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية الف وخمسمائة راحلة واوصى لامهات
المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة الف واوصى بخمسين الف دينار في سبيل الله ولكل
واحد ممن بقي ممن شهد بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فاخذ
مائة وهو امير المؤمنين وبالف فرس في سبيل الله وكان اهل المدينة عيالا عليه
ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له من عير الشام سبعمائة
راحلة فسمعت عائشة اصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها
مختبرا فقال اشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع
ارضا من عثمان باربعين الف دينار فقسمها في فقراء بني زهرة وفقراء المسلمين وامهات
المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل
يطلق لك قدميك قال وما الذي اقرضه قال تبدأ من كل مالك فهم بذلك فاتاه جبريل
فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل
ذلك كان تزكية لما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره انه اغنى عبد الرحمن بن عوف فقط
من اغنياء المسلمين وروى ابو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما بقي احد الا فاضت عينه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم يكن

فامتدت عينه فقد فاض قلبه وفي حديث ضعيف اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي عبد الرحمن
بن عوف والذي نفسي بيده لن يدخلها الا حبوا وفي اخرى رواه احمد والطبراني فيأتي
عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي رواية
لابن سعد وابن عساكر كاني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم اخرى
حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال كفاك
الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما
من الجوع فقال صدق من يصلنا بشيء فاتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة
توفي عن اثنين او خمس وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى
عليه علي وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما اتى امورا فقال الناس لابن عوف هذا
فعلك تدخل عليه بالامر فقال اما والله لنرى سيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع
اقاربه في الله وانا اصلهم في الله فنذر ان لا يكلمه ابدا ونزل في الذهب حاجا
وربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما فتر من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثير منها ،
يفوق الحصى قال من بذل مما نيله هونت نفقه الدنيا اي صيرت اموالها ومنعها
خسيسة عندها بسبب بذل لها في وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا
يهب العقل ويرتفع الى الدرجات العلى كامن في المراتب وذلك البذل الكثير
بمثله اثراء اي كثرة المال الذي فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه كان
محظوظا بحيث لو امسك التراب صار ذهبا المكني با عبيدة وهو عامر بن الجراح
القرشي

القرشي الفهري امين هذه الامة كما صح في الاحاديث وفي رواية وامينى وفي اخرى
وامينها انها الامة واحد العشرة والرجلين الذين عينهما الصديق يوم السقيفة
للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد على يد الصديق هم
عثمان بن مظعون وعبيدة ابن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن
عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم
احد مع النبي صلعم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلعم
من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم
فكان من احسن الناس هتما والهتم الثاء مقدم الاسنان ولاه ابو بكر لما ارسل جيشا
الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب فلما ولي عمر اعاده لكن
امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير الامراء بالشام وروي انه صلى الله عليه وسلم
امره على سرية فيها ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلا رهه فلما اكثر
عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ولما قال
الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لا تامر على رجل امره رسول
الله صلعم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركني اجل وهو حي استخلفته لاني سمعت
رسول الله صلعم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح
ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك
فاتاه على ناقة مخطومة بخطام لينه فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا

عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيها سوى سيفه وترسه وفرسه ورحله فبكى وقال
لاصحابه تمنوا فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال اخر جوهرا
انفقه كذلك فقال عمر انا اتمنى لو ان هذه الدار مملوءة رجالا مثل ابي عبيدة
وله فتوحات كثيرة وواقعات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد
من اصحابي الا لو شئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي
بالاردن سنة ثمان عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس
اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله
ذنبه فائت عنه مجابا وثبت عليه من الجلالة له ما هو كالمعجز اذ ظرف او فيه معنى
التعليل له يعزى اي ينسب اليه اي ابي عبيدة الامانة الامناء واجلهم نبينا
صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة
بن الجراح وفي رواية اميني وفي اخرى امينا ايها الامة واعلم ان هذا كقوله
صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا
يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك فيهم الصفات كلها واعتدلت
فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا بهما
على غيرهم لكمال فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض تفضيلا لهم لان
المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف تلك المزايا بمزايا اخرى
اجل منها واعظم فمحصل مناط الافضلية فيه وانه خلاهما تميز المفضول ما ثم

عليه

عليك بعمتك نحو ابيك لابيه وهما الحمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن
من النبي صلعم بنحو السنتين نجمي تثنية نجم وهو الكوكب المضيء فلك هو ما انتشر فيه
الكواكب المجد اي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو
الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية
ورشح بها بذكر النجمين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما هو من لوازمهما
وهو الاضاءة فهي ايضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة
تحقيقية بذكر المجد الملائم للعمين ولكل منهما اثاه اي حصل له منك اباء بوزن
كتاب وهو ما يخرج من الشجر والثمار كما في القاموس وقال الشهاب وهو ما ينفع
من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما
حمزة فيكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان عظيما شجاعا اخا النبي صلعم
من الرضاعة اسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلعم
فاذاه ولم يجبه وانصرف ابو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا
قوسه فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشده شكيمة فغضب وعمد فشج في راسه شجة
منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم فمنعهم ابو جهل خشية
الفتنة وهو اول من اتخذ له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه الى سيف البحر
بكثرة الشبر من جهينة استشهد باحد نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل
احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعتبة السلمي قال رايته يهد الابطال هدا فا خففت

له فلما تمكنت منه رميته بحربتي فاصابته وقتلتها فتبغى ثم سقط وبعد ذلك اسلم
وحكى هذا قتله صلى الله عليه وسلم فقال له غيب وجهك عني اي خشيته ان يصيبه منه سوء
اذا تذكر لقتله حمزة وخرج يوم اليمامة فشارك في قتل مسيلمة الكذاب كان يقول
هذه بتلك ومع ذلك فقد اصابه لما حكى عن ابن المسيب انه قال كنت اتعجب لقاتل
حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا في الخمر وقال عن ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر
حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى
النبي صلعم حمزة قتيلا بكى ولما راى ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت
موقفا اغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما رأينا رسول الله صلعم باكيا
قط اشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه
يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة
يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وعليه حزنه في نوح ولا تمثيل
بل احتساب رضا لله ويتامى له رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء يوم القيمة
وانه لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك
فلقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله
تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن تعقب ورد
من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب واما العباس وكنيته ابو الفضل
فكان جليلا جوادا ذا راي وكان عقل معظما بين الصحابة عند النبي صلعم رئيسا في قريش

قبل

٢٦

قبل الاسلام وكانت اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلعم
يوم العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يوقره في امره
كله اتى يوم بدر لقوله صلعم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وجمعة
يبتني لكي نعم شدد وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس
فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد
قال ما معي من شيء فقال له صلعم واين المال الذي دفنته مع ام الفضل اي زوجته
حين خرجت اذا امت فاعطي بني كذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري
وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم
ولقيه بالابواء وهو خيمة الهجرة وكان ورد النبي صلعم بمكة يكاتبه باخبار اهلها
وكان المسلمون بمكة يتقوون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلعم فكتب اليه
ان مقامك بمكة خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا عباس الفداء ابى
رسول الله صلعم وشهد مع رسول الله صلعم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان
ممن يستسقى به العباس اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وانا
نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة في ثاني عشر رجب او رمضان سنة
اثنين وثلثين وله من العمر ثمانية وثمانون سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس
مني وانا منه لا تسبوا اموتنا فتؤذوا به الاحياء وحسب انه سئل النبي صلعم ان يستعمله
على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس حديث وان ذى العباس

فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني الله بذي القربى وامرني ان ابدأ
بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطني في الافراد يكون من ولد العباس ملوك
يلون امر امتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن
ما عمل وتجاوز عنه سيء ما عمل واصلح له في ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب
العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي
واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك
المهدي في اخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه يطفئ نيران الضلالة ان الله فتح
بنا هذا الامر وبذريتك يختم وابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله عز وجل
افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه
لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض
لان فيه شعبة من ولد الحسين ايضا فهو حسني فيه شعبة من ولد الحسين وشعبة من العباس
والترمذي وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر
ذنبا اللهم احفظه في ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن
احبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى وما اخفى وما كان وما يكون
منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي
اذا كانت سنة خمس وثلثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم
المهدي وختم عليك بام السبطين الحسن والحسين فاطمة وهي اصغرهن [illegible] زوج

حمده

جوده عن النساء لانه الا في علي تزوجها له صلعم ثاني سني الهجرة بوحي من الله بذلك كما مر وبنى
بها بعد نحو تزوجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثني عشر شهرا وكان سنها
خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل نحو عشرين سنة وسن علي احدى وعشرين سنة واشهر
قال ابن عبد البر هي وام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة احب اهله اليه وكان يقبلها
في فيها ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها
وتوفيت بعده صلعم في رمضان سنة احدى عشرة فبينهما نحو ستة اشهر وسنها اربع وعشرون
سنة اي على القول الثاني وقد اسر اليها النبي صلعم انها اول اهل بيته لحوقا به
ففرحت بذلك ودفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في
قبة ولدها الحسن وقرب محرابها كان القطب ابو العباس المرسي يجزم بهذا فلعله
كوشف به وروى احمد في المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت
وقالت انا مقبوضة الان فلا يغسلني احد ولا يكشفني فماتت فدفنها علي بغسلها لكن صح
انها امرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وبنيها
يعني اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم الى
قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط
وام كلثوم ولدت لعمر زيدا ورقية وماتا صغيرين ثم تزوجها بعده عون بن جعفر ثم
باخيه محمد ثم باخيه عبد الله ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت
له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف اعلى وشرف اولاد عبد الله

من عقب زينب واخوتها ومن شرف اولاد الحسين لمن تحتها مما يدرج فيهما وللعباسيين نظائر بين
شرف اخص ومن ثم لقبوا بالشريف كالعباسيين ببغداد والعلويين بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه
اسحق تزوج السيدة النفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه
وله منها ولدان لم يعقبا **ومن حديث العباء** وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي
وابناهما وفي بعض هؤلاء فضائل كعلي وابنيه رضي الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما
صح عن ابيها القائل نعم في حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها
وينصبني ما انصبها احب اهلي الي فاطمة اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب
يا اهل الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله
وذريتها على النار فاطمة بضعة مني يغضبني ما اغضبها ويبسطني ما يبسطها وان
الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري وفاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا
مريم بنت عمران اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك
من السماء فاستأذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة يا فاطمة
الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الامة وقصتها اني رأيت جبريل
بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت اذا اشتقت
الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة يدل على وضع الحاكم له انه كذب وضوح
على الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسراء ومنه انه صلى الله عليه وسلم جعل على علي
وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس

وطهرهم

وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية انه القى عليهم كساء
ووضع يده عليها وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد
انك حميد مجيد وفي اخرى ان الآية اي انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء
ثم قال نحو ما مر وفي اخرى انتم حاضري واجمعوا فيه ذلك فان صحتا فهي نزلت مرتين
وفي اخرى ان ام سلمة قالت له الست من اهلك قال بلى وادخلها الكساء بعد ما قضى
دعاءه لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان
شاء الله نعم وفي اخرى ان واثلة قال لما سمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي عليهم وهم تحت الكساء قلت وعلي يا رسول الله فقال اللهم وعلى واثلة
وفي اخرى صحيحة قال واثلة لي وانا من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها
لمن ارجى ما ارجو قال البيهقي وكأنه جعله في حكم الاهل تشبيها لمن يستحق هذا الا
لا تحقيقا وكان المحب الطبري الى ان التجليل بالكساء لم يكن مرة منه صلى الله عليه وسلم
في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وفيها يجمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم
وما جللهم به وما دعا به لهم وما اجاب به واثلة وام سلمة وفي اخرى سندها حسن
انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت
فقالت آمين ثلاثا وانهم عليك **باب واجب اللواتي تشرفن بان صار نهم** الآن النقص

لما صح عنه صلعم ان الله لم يزوجني الا من سيكون معه في الجنة منك حال لغرفة البناء

اي دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغي

تخريجه على ما منها على غيره فان قلنا بعمومه وهو الاصح حصل لها الشرف او لم يحصل

لم يحصل لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات و

اسرائيلية اولهن خديجة تزوجها صلعم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها نحو

اربعون سنة واشهر وله خمس وعشرون عند الاكثرين وكانت تعرض عليه نفسها

كما مر وهي اول من اسلم من الناس وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة

قد اتتك باناء فيه طعام او ادام فاذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها

وبشرها ببيت في الجنة من قصب اي لؤلؤة مجوف لا صخب فيه ولا نصب واولاده صلعم

كلهم منها الا ابراهيم واختلف في عددهم وجملة ما اتفق عليه منهم ست القاسم ولد

قبل النبوة وبه يكنى ومات بعد سنتين على خلاف فيه واربع بنات زينب وهي

اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع

ولدت منه عليا كان رديفه صلعم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام وامامة التي حملها

في صلوته تزوجها علي بعد موت فاطمة رضي الله عنها ثم رقية توفيت وهو صلى الله عليه وسلم

ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات تزوجها الذي بن ثم ام كلثوم

توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابني ابي لهب ثم فاطمة الزهراء

قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده صلعم والذي رواه ابن اسحق

انها ولدت قبل النبوة زاد ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء لما ان

وسبكه لان الله تعالى قطعها عن الناس حيا وفضلا او لانقطاعها الى الله واختلف

في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير هؤلاء الست فقيل الطيب والطاهر وعبد الله

وقيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر

واما ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم

ابيه قبل السابع او فيه روايتان والجمع بينهما ونعت قبله مخفية فاظهرت به وكان

صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي عند ظئره فياخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفي

وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه

اي بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو عاش لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم

اخر الانبياء لكن بالغ النووي في تضعيفه وبطلانه ورده بانه لا بد من طريق لا اشكال

فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت خديجة قبل الهجرة

بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد

موت ابن عمها رضي الله عنها اخي سهيل بن عمرو بمكة لما اتت بها من الحبشة بعد عقده على

عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين الحديثين في ذلك واراد طلاقها

لما اسنت فوهبت نوبتها لعائشة فامسكها توفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين

ثم عائشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية اشهر

من هجرتها وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله عليه وسلم الى من نفسه

نسائه ولما فقدها بعض اسفاره قال واعروساه اخرجه احمد وكانت فقيهة عالمة فصيحة ماتت
بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير
لا بسقط اسقطته منه صلعم كما قيل ذلك لم يثبت وهي وخديجة افضل امهات المؤمنين ثم
الاصح ان خديجة افضل لما صح ان عايشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال
لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس
ولانه صلعم اقرأ عايشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله والاصح الافضل
ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء
والخبر المقتضي لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن
جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان
فاطمة افضل ثم خديجة ثم عايشة واما ايضا ان مريم افضل من خديجة للاختلاف
في نبوتها ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة بعدما رجعت من هجرة الحبشة وهي
زوجها بعد غزوة بدر طلقها صلى الله عليه وسلم فاوحى الله اليه راجعها فانها
صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة هند بعد
موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع
ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة
سنة ست زوجها النجاشي بعمرو بن امية الضمري وكيله صلعم واصدقها عنه اربعمائة
دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع وماتت بالمدينة سنة

اربع

اربع واربعين ثم تزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها
بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس
وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح عن عايشة لم تكن امرأة خيرا منها
في الدين واتقى الله واصدق حديثا واوصل الرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا
لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله ماتت بالمدينة سنة
عشرين ثم تزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها
اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية
سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى لها فيه وكان عقده عليها وهو محرم ومعناها انه
في الحرم على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه
سنة احدى وخمسين ودفنها ابن عباس بها ودفنت به ثم تزوج جويرية بنت الحارث
الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل
النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الى ما هو خير من ذلك اودي عنك
كتابتك واتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا
اصهار رسول الله صلعم قالت عايشة فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها
اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق اخرجه ابو داود وعن شهاب انه سباها
من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين ثم تزوج صفية
بنت حيي بن اخطب من ولد هارون صلى الله على نبينا وعليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين

وهي من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذ جارية فاخذها فقيل اعطيته سيدة
قريظة والنضير لا تصلح الا لك فتحرى عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى
بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيّ فقالت يا
رسول الله اني كنت اتمنى ذلك في الشرك كان بعينها خضرة فسالها عنها فقالت انها كانت
نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال
تتمنين ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع
عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة فبعضهن الاصح انه طلق قبل الدخول وبعضهن
الاصح انه لم يتزوجهن ومحل بسط ذلك كتب السير **الامان** اي انهم عليك يهوى
المذكورين وما منحتهم ان تنيلني من حضرتك بواسطة شفاعتك في الورى فحبك شفا
وان تؤمنني الامان **الامان** تأكيد اي من عقاب ما اقترفته من الذنوب بطبيعة ما
جمعته من العيوب **انا** بالفتح تعليل والكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة اي **فؤادي** من
اجل **ذنوب انبيهن هواء** اي خال عن فهم ما ينفعني في ديني ودنياي لفرط الحياء والخجل
من الله والتهور من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة هباء اي لا وجود له فيه مع
لمعنى لا دل وما عطفك علي حتى نهب اعتناءك بي وامدادك لي اني **قد مسكت**
اي توثقت واعتصمت **بودادك** اي بمحبتي لك وتكرر المحبة لانه الاتباع انما هو [illegible]
كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من احب
وان المسلمين لذلك هو كالها اوان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقديم ما لم ينفع

دائما كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا او في بعض الاحوال **بالحبل** اي السبب الذي هو العهد
الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم **الذي استمسك به الشفعاء**
من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة
محبتهم لك واذا اوتيهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار او بتنى بقوة شفاعتك
في مجامع اني احبك كالمحبوب واعلم انه قد اختلف مقدار المحبة في الطرفين واعلم ان العلماء
والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافها في حقيقتها بل في
ثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها
من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره هي
لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء وانما تكلم الناس في اسبابها
وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على
هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب ادراك والمقام وقد وضعوا
لها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية
التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب
فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب الضمة التي هي اشد الحركات واقواها
مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحِب وهو المحبوب الكسرة لخفتها مطابقة لخفة
المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك
على سر هذه اللغة العربية تلحظها وانظر [illegible] في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه

اليه من ولده ووالده والناس اجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم الميل اي ا
اليه اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا واما ان كان مرجحا في
كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان مردود بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال
وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء
مع خلوه من محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح
البخاري ان عمر قال يا رسول الله انت احب الي من كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي فقال
صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية
فقط فانه كان حاصلا لعمر قبل ذلك وانما هي ميل حب الانسان نفسه طبعي وغيره اختياري بتوسط ا
الاسباب وهذا هو الذي اراده عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه
النفس فحكى بحسبه ولا يجب الطبع ثم تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم احب اليه من
نفسه نظرا لكونه الذي انقذه من هلاك الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجابه
بالان اي عرفت فنطقت بما يجب من كمال محبته صلى الله عليه وسلم ايثارا منه على جميع افراده
فقال القرطبي وكل من امن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة
ولكنهم متفاوتون فمنهم ظاهر وكثير من العامة يؤثرون رؤيته على اهله وماله وولده
وكذا نجد بعضهم يذكره لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي
الغفلات والشهوات عليهم **وابى الله** اي لم يرد كما جرت به عادته كون فضله وجوده كاد

عليه

٢٦٦

عليه كما تفضل به عليك بقوله عز من قائل ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستغرق
اخلاقك الجميل والذي دلت عليه اياتك الجليلة انه من لجا اليك لا تخيبه [illegible]
ولا يحجبه عنك من فضله مساويه الى رضاك ومن ثم اخبرنا عنه انه سبحانه يقول لك
في ذلك الجمع الاكبر على رؤوس الاشهاد وقل تسمع لك وسل تعط واشفع تشفع
ان يمسني السوء مجال اي في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية ... الحال اني
لي الباب النجاح اي ستار لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك ومن هو كذلك حقيق
بانه لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك **قد رجوناك**
معشر محبيك وخدامك ايها النبي الكريم اي املناك **للامور** الخطيرة العظيمة والبلايا
والمخالفات والغفلات والشهوات **التي ابردها في فؤاد ما رمضاء** اي نار
نتقد وشدة خوف المواخذة بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا بين ابردها رمضاء
والفقر والغنى المطابقة **واتينا اليك** بقلوبنا اي وجهناها الى الاستعاذة بك
كل مكروه او الى قبول المكرم حال كوننا **انضاء** جمع نضو بكسر النون اي مهازيل **فقر**
من الاعمال الصالحات لكثرة ما حملناه من الذنوب وضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله
جملتنا الى حضرتك التي فيها **الغنى** لاكبر **انضاء** اي كالمهازيل اجهدها طول
السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرة تلك العلية اقتضانا الوقوف بابا
كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها **وانطوت** اي استترت **في الصدور حاجات**
نفس املت حصولها من جنابك الكريم توسطا فيها اليك اذا وصلت الحضرة

وخطبت بجلول نظرات منها الامداد من بابك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانك
لا وسيلة اليه اقرب منك اليه ولا احد يعلك يقول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فى كانت
تلك الحاجات ما لها عن ندى اى عطا بديك الكريم من انطواء اى استثناء واستغناء بك لا
بقضيها غير جاهك الواسع ولا يمن بها غير عطائك الهامع فلا انحال لنا عن واسع
جودك ولا انفرا من ساحة كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى اياديك
طامعين فى حصول كمالها امكناه بنعائك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين
نا غيثا بها نقضى حاجاتنا لو فى رجاها هذا وعظيم منن لديه عند باب باو هو المعوث
للمكروبين والملجأ للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد والغيث المربع للمضطرين المنبع
لنجا نعين الخوف لهم من العوائد فانا سكونا ما لو فعله وانا اذا جهد الورى اللواء
اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى اسرفوا على التلف والجواد الاعظم الذى لم يخلق
الله من يصل اليه فى مراتب جوده فضلا عن ان يساويه فيه اى بسبب تفريج الغمة
عنا معرا منه بكشف الجماء بفتح اوله وضمه اى الالم اى بسببهما عن الشدة والحاجة
الفجة وفى نسخة بفريج الكرب عنا تكشف الغماء وهو بمعنى الاول لتساوى الغمة
والكرب اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوبا
فى معانيها المذكورة من غم الهلال اذا ستره الغيم او نحوه والحيا ستعجم يا بذاء نضمن
غايراه استعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف او
مستأنف لكنه بعيد رحيما من الرحمة وهى رقة القلب فغايتها التفضل ولا نعام او ارادتها

ومر فى باسماء ادل ابيات هذه القصيدة ما يتعلق باخصائه هنا بالمؤمنين عنيف ومرة
بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما ومر فى شرح قوله رحمة كله ما يعلمك
سعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وباهرا فنه لا سيما على الضعفاء والمساكين والايمان
التصديق الاجمالى فى الاجمالى والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ما علم من دين محمد صلعم
بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام
او بالاجماع وانه لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند غيرنا بل
وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار باللسان
فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن اهل السنة لكن اشار
الغزالى الى ما اختاره جمع محققون من انه من اهل الجنة وتركه التلفظ معصية فقط
لان قلبه مملو بالتصديق فكيف يخلد فى النار والكلام فيمن لم يمنع منه بحود او اكراه
ولا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين اى من كماله فالتارك
مؤمنا فاسقا تحت المشية قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد فى النار
ولا نفعا للايمان المتصل بدخول الجنة تنبيه مهم يتعين الاحاطة به لعظيم
جدواه وقرة فحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد الرحمن الرحيم ابلغ من
وانه يستعمل فى الله وفى غيره لكن فى استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال وقد قال
بعض الائمة صفات الله تعالى التى على سبيل المبالغة كلها مجاز لانها تستحيل له حقيقة المبالغة

فيها لانها ان تثبت للشيء اكثر مما له من صفاته نقص منافية للكمال وايضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي في جمع قوله تعالى والله على كل شيء قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال

واجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او بحسب تعدد المفعول وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على جماعة وعلى هذا يحمل صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكم المبالغة فيه نكتة حكمه بالنسبة الى الكثرة وفي الكشاف المبالغة في التواب اي في نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او في قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه

وعن الزركشي عن الثاني بما يؤيد ما قاله الزركشي وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى الكثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل في كل محله وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله علام الغيوب عالم الغيب فقابل في الاول صيغة المبالغة بالجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد وبانه نفى الظلم الكثير لينفي القليل ضرورة لان الظالم لم يقصد بظلمه الا انتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذي ظلم نسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه

لكان

٢٦٨

لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه اراد بليس بظلام ليس بظالم تاكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام ورد بانه ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك تعريضا بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها شرحها ابن النحاس في ابن عاشر وهو هنا سبعة دون الاول اذا طرف لرحيما ما زائدة ذهلت اي غفلت عن ابنها لهول التهاعه مفتتح قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمة بالمؤمنين تنبيها لهم انها في غيرهم بل لانها في هذا اليوم اظهر وانما قال لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظم والسؤدد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين تخصيصه بالشفاعة العظمى في فصل القضاء بما يعلم جميع اهل ذلك الموقف ان الله تعالى اوصله الى ذروة وان كل سبب ينقطع في ذلك اليوم الا حسبه ونسبه و في الوحم والرحام ترى النجم على الصدر والذمام والنماء صعدا وانتفى واقصاه وعروه وعراء ويشقى الاتقاء وذهبت وقد عاج والعرج والعرجاء ومرضى والرضا حب والحاجات لاستحقاق او شبهة وما لحاجات ناقص وبطال وبطاء لا حق وحق محرف با شفيعا من الشفاعة وهي السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المدن في غفر ذنوبهم وكشف كربهم اذا ظرفا لشفيعا وفيه ما في الذي قبله ما زائدة شفق

اي ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهشة وحمله
على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا له ايضا لكنه
لا يناسب هنا لانه لا يلائم قوله في اجل خوف عقاب ذنبه عائدا للنبي المشفق
ربه واورده نظرا للفظ لا للمعنى او يكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم
خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث الى اخره في الكتاب جمع
يوم نبوي فتبتل فذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم
ومشاقه الحاصلة فيه وان الخوف فيه من الذنب يعم الكل الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة
بل صغائر بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم
الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم
جد يامن يتجلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه
عند ربك لعاص اسا سيء الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاصل لي انا
ففيه تجريد والتفات وان في التنكير لما ياتي ولم يعتبر ما يجد به عليه قصد العموم
المسؤول بان يجود عليه في ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وحفظه من
كل مرهوب وما نافية سوى اي غيري هو العاصي ولكن نكرا الواقع في قوله تعالى
استحياء منك ان اذكرك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بانتهاك
ما يتكلمها ما نهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان
قلت ذا تكلمه مصدران هنا بخلاف هذا قلت المراد التشبيه فوجب ان حمل الخبر في

في كل

في كل يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهي غير موجودة هنا لتباين مدلوليهما
وهذا تعريض عبارته وفيه مواخذة لان احدهما الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل
انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح
ويشهد له الاستعمال فمن ان الله هو الرزاق ان الاول انفسه وفي الفانون وكلام
الكشاف يميل اليه ايضا ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه على المسند وقد يكون لقصر المسند
بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصي دال على حصر العصيان في سوى كزيد هو القائم
والمستفاد من النفي الداخل على الجملة نفي ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور ان النفي
يتوجه للقيد فان توجه المقيد ايضا توجه الاعتراض لانه من باب وحده
فمفهومه يحتمل شيئين انه عاص وحده وانه هو عاص وغيره لانك اذا قلت ليس
سوى زيد هو القائم احتمل مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان
واذا فهم الناظم ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه انبنت على احتمال العصيان بغيره
معه وهو خلاف قصده من انه العاصي وحده اي دفعا هضما للنفس لا حقيقة لان
الواقع بخلافه فذلك تأتيهما ان التنكير هنا لا يتم انه يفيد الاستحياء ولئن افاد
فشأن السائل عدم الحياء لان المضطر المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف
حاله فيستعطف عليه فابهامه لنفسه من قبيل ولا شك ان الاولى ان يجاب من
الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف
بهاسطه وان ال في العاصي للعهد الذهني فهي للجنس على حد ولقد امر على اللئيم يسبني



فيه التعريف تارة والتنكير اخرى وقد دل الحصر للوهم مفهومه ما تقرر بيان المعنى ما مساوى عاقبة ان
العاصى صعب وعز الشانية بان التائبين على اقسام منهم من غلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان سببا
لسؤاله فيترك سؤاله حياء وخجلا من المواجهة بالتصريح بارتكاب القبائح وسترا واخفاء لما
من عذابه بالنقائص والفضائح خشية من ان يظهر عليه ما يعتق بسبب سؤاله فيكون مقتضيا
لحرمانه والناظم رحمه الله لمزيد اجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم ادعى ذلك فكنى نفسه وذكر الوصف
المقتضى لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه اى معاصيها فيكون ذلك
سببا لرده تنبيه لا يخفى على الطالب ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير فيكون الاحتقار
هل خرج من احصائه حتى يجد نهم مما يقرب منه وهو لكل فن التنكير والتعريف
مقام لا يليق بالآخر فمن اسباب التنكير ~~قد يكون الاحتقار~~ هل خرج من احصائه حتى
ارادة الوحدة نحو وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى اى واحد ارادة النوع نحو هذا ذكر اى
نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة اى نوع غريب من الغشاوة لا يتعارف الناس بحيث يغطى
ما لا يغطيه شئ من الغشاوات والله خلق كل دابة من ماء اى كل نوع منها
من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من افراد النطف ارادة التعظيم بمعنى انه اعظم
من ان يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب ولهم عذاب اليم ان لهم جنات سلام عليه
ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اى وافرا جليلا ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر اى
رضوان قليل منه اكبر من الجنان بما فيها ارادة التحقير بمعنى انحطاط شانه اى حده
ان يعرف نحو من اى شئ خلقه اى من شئ حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه

وهذا

وهذا المعنى يقرب من الاستخفاء الذى ذكره الناظم هنا فاعرفه بعد نفعها وهو ان الاسم اذا ذكر
مرتين فان كانا معرفتين فالثانى هو الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام
او الاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين ونكرتين فالثانى غير الاول غالبا
وقد اجتمعا فى ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو صريح
بما ذكر فى القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول او عكسه كحكما القرآن بعض هذه القاعدة بايات كثيرة نحو هل جزاء الاحسان
الا الاحسان اى الثواب وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ويؤت كل ذى فضل
فضله ونحوه مما تقررها انقلبت على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليها
من الايات من جملة افرادها وانه لم يخالفها شئ لكن فى بعضه تكلف وتداركه اى
ادركه بالعناية منك يا ابن عمة بسوابغ كرمك وتفرج عليه سجال حلمك حتى لا يأتى فقط
بعفوك ما دام له بالاقتام يحتجب ثم يتعلق بتداركه والا لم يخلو عن معنى يليق بنا
اى تداركه بعفوك ومنتك التى انعم الله بها عليك ما دام له منك ذمام بالمعجمة اى
واصله بقية الروح فى المذبوح اى ما دام فيه ادنى تعلق واستمساك بك لانك اكرم
الكرماء من الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من اليم العذاب.
وبعد الحجاب وكم لا وقد اخترا اى ذلك العاصى الاعمال السيئة التى ارتكبها واللهو
الفانى الذى امسكه عن تعرفه فى وجه الخير او جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه
فى جمعه لنيل ولم يبال فراقه واجمعه ولا بات صحف الكتبة مما املته الصالحون جمع صالح

وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة وقد تم اخبر صلى الله عليه وسلم
ان المصلي اذا قال في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد لله صالح
في السماء والارض وبين اخيه وقدم التطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والا
والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحق والباطل وبين من سلمي
والرجا والخوف والاقرار والضعف الاثبات والاقتفاء من الاعمال الصالحة والاتقاء في
وجوه الخيرات وهذا في شرح الاول للاعمال والثاني للعمال ثم اعترف بذنوبه
لان الاعتراف مظنة العفو لقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية مستندا عليها
بالحديث الصحيح الندم توبة فقال كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملائكة الليل والنهار
الذين يرفعون اعمال العباد الى الله فيهما انها لعظيم فضل الطاعة تحتاج فعلها
وعليها اي فعلها انفاسه صعداء اي متتابعة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم
وفرط الاسف عليها بسبب الوقوع في فرطها انه الف لبطنة بالكسر اي ملء بطنه من
الطعام والشراب كذا قاله الش والذي في القاموس انها الاشر في البطن وقال في ا
الله الباطل والاشر قلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة
وكراهية الشيء من غير ان يستحق الكراهية انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في
البطن يورث كف انه الاشر المعول ومن همة بطنه والرغبة لا ينفى من الاكل لمبطنة
السير الى الله تعالى اي المعوقة عن الاجتهاد في رضاه باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة
التي هي سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولم يكن

ونسه

من شؤم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر
يأكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن باذابة الانسان
وحيث بدان وهي الثقيلة بها اي فيها البطان جمع بطين كلوام جمع كريم بطاح
جمع بطحاء على وزن الجمع قبله فهم صاحون عن الفائزين متخلفون عن السابقين فسبب
عصيا بكى ذنبه بقروح قلب اي مع شدة وغلظة الموع دون الى ان البكاء
صوري لا حقيقي وعن ثم نهت تلك القروح الدمع من ان يخرج منه شيء في غير ذلك
الباكي فبسبب ذلك النهي انقلب البكاء من حقيقته وهو حزن يعتري القلب فيحصل له
من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري الدموع ويهيج الوجع وصار
ذلك البكا كانه مكاء بالتخفيف اي كالتصفير بجامع ان كلا صوت يجري على اللسان
ولم ينشا عن تدبر القلب وبين البكاء والمكاء الجناس المضارع وغد اي صار ذلك العاصي
بعد ما وقع منه من المعاصي والبكاء الذي لا يفيد لم يفد قسوة قلبه يعتب من عتب
عليه ويجعل عليه القضاء من قضاه منعه وقدره اي يقول او كيف قدر علي هذا في
الحال انه لا عذر لعاص يحتج به على الله تعالى حتى يسقط تمه ويندفع مواخذته فيما نسب
اليه القضاء والقدر من المعاصي لان الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم
على اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب بحسب وقوعها اليه نظرا للصورة الوجودية
وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند الفعل اليه الرمي والقتل اليهم

باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى انه يجب
علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا او يذموا باعتبار جريان
تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة ونحث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك
ونخبر وان نعتقد بطلان مذهب المعتزلة القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون
قدرة العبد مستقلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى ففعله من انه
يلزمهم ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاؤه على ان نسبة افعال
العباد اليه تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشيء انما هو قبيح بالنسبة لفاعله لا
لفعله لانه يتصرف في ملكه بما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وان نعتقد بطلان
مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر اي
المكره على الشيء من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من
الشريعة الغراء ان الله تعالى اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم اخرى
فصح فتبين ما قلناه من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال من حيث الصورة
وانطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوي
والطريق الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبة واهل السنة
فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبة
سبوا عليا وشيعته ووالوا اولئك الاكثرين واهل السنة عدلوا ووالوا الكل رضي الله
عنهم فكانوا في الجنة وكان كل فريق هنا وهنا في النار فان قلت قوله ولا

بنافيه

ينافيه احتجاج ادم بالقضاء والقدر في قصته المشهورة مع موسى صلى الله على نبينا وعليهما وسلم
لما قال له موسى انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك اي بالنسبة لمقامك
والا فهي ليست بخطيئة حقيقة لانه نبي كما في الاخبار والنص فلعموم عصمة الانبياء فقال الم
تجد في التوراة قدر الله علي ذلك قبل ان اخلق باربعين سنة فقال نعم فقال اتلومني
على ذنب قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث
الصحيح فحج ادم موسى وكذلك احتج عمر على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام وراى بها
طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة افرارا من قدر الله يا امير المؤمنين فقال
له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله
قلت لا ينافيه اما الاول فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون
وسيلة للوقوع فيه فهذا ان ينفي منه ما [illegible] يمنع بذلك مواخذته بل لم يجز
ايضا وان كان لا يمنع بذلك بل يمنع تعبيره به ساغ له ذلك كما صح بر[illegible] له صلى الله
عليه وسلم فحج ادم موسى واما الثاني فالواقع من عمر ليس في الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما
هو بيان الاسباب بما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون
مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول او لا لم يضره ذلك الدخول
فبين عمر رضي الله عنه ان المسببات منوطة باسبابها من غير نظر في مواقعها واسباب الله
نعم كما قدر على اناس الموت بالطاعون قدر على اخرين عدم الموت به فلا مناص من ذلك
في بعض القدر الى قدر اخر والدخول مما من على ما لعله يكون فتنة للداخل فانه

بردتها ينتسب صوته الى فعله فحرم طلبه خشية الفتنة فان قلت والممنوع من الدخول اذا سلم
دتها نسب البلاء الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القا باليد الى التهلكة
وهو منهى عنه فى الكتاب والسنة والثانى بمنزلة التداوى والفرار من المهالك وهو
محمود فى الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما فى المعنى
المعلل به قلت لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرج [illegible] فبقى المرضى
من فيه حافظ ولا متعهد وذلك يؤدى الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع
الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عدمه مفسدة فان قلت رأيت الغزالى
ذكرها فرقا فى الجواب عن كلام عمر رضى الله عنه نقله عن النووى وغيره وافقه حيث قال
فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا يرد فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء
بالدعاء فان الدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح
والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك
الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه انتهى فتأمل هذا المحل
نفيس وفيه نسبه كثيرة اذا تأملها جعل الله هذا التقرير لواضح لمن لهم سعد [illegible]
الله حبه وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحرق [illegible] ذلك نعمة
واذا تقرر انه لا عذر فيما يوقعه القضاء بالمعنى السابق سواء كانت المعصية صغيرة
او كبيرة فكيف يعتذر اوقعته اى هجبته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات فى [illegible]

عن مقامه

عن مقامه الكريم من الذنوب حال متقدمة على صاحبها وهو ذنبى اى ذنوبى التى تمكنت عليه
ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده سدت فى اقتضائها اى
طلبها منها لغرمائه لان حقوق الادميين مبنية على المشاحة والمضايقة ما له حيلة
اى طريق فى التخلص من تلك الذنوب سوى حيلة المؤتى اى لا سبيل الذى صاحبه
يقدر على هرب ولا تخلص حيلة من هو كذلك تخضع فى سننه [illegible] لانها
اما توسل الى الله تعالى فى خلاصه مما سبق له من العمل الصالح او شفاعة الشافعين
او دعاء اليه فى ان يرضى عنه غرماءه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه راجيا
حال من فاعل [illegible] المذكورة اى متوكلا املا فيها ان تعود اعماله السوء عليه
بغفران الله له مغفرة تامة لا تبقى عليه وصمة ذنب ولا تدنس له قلبا فلبث قلب والحال
ان تلك الاعمال هى فى جنب الغفران هباء اى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار
يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من كوة او ان يرى سيئاته حسنات
منة عليه بادراجه فى سلك الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات فعجيب استحالة السيئات حسنات بفضله عند ربه ذلك استحالة الصهباء
اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات
بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه تخييلية كل امرئ
تغنى اى تفنى [illegible] رسول الله [illegible] وتلتفت اليه تقلب الاعيان جمع عين وهى
الجسم وهو معنى نفسها بانها المبتدأ [illegible] فيه بان تحول عن صفاتها التى

لا تريدها الى الصفة التي تريدها بعجب البصراء جمع بصير جمعا ومعنى يدفو البصائر في
من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذي لا يعارض بجحود ولا انكار
ومشاهدة ما وقع لك في ذلك بالفعل اذ … هنا للتكثير قال الشيخ عين من عيون مالحة
من عيون كثيرة نفلتها اي بصقت فيها فصار بها الملح الذي لا يشاركه احد فاضحى ماؤها الملح
والحال انه هو الفرات اي العذب السائغ للشاربين او هو كالنهر المسمى بالفرات
الذي هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث الثرثار
الذي يحصل بقليله الري الكامل الشربي قال الشيخ وهو الفرات الواو للحال الجملة خبر
اضحى انتهى وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش تبعه ابن مالك تشبيها بالجملة
الحالية لكن الجمهور انكر ذلك وتاوله الجملة على الحال والفعل على التمام ولعل
نسخة بلا واو وقيل هو تنبيه لم ار لحصول التفل في ماء عين ملح فاضحى عذبا.
فضلا عن كثيرها التي قالها الشيخ سلفا ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم
انه صلى الله عليه وسلم بصق في بئر دار انس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها نعم اراه
عذبة في هذه بركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها فتركه يحتمل انه ماء ملح … في
حديث … انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة
وهذا يقتضي ان ما عدا بئر رومة من بقية ابار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة
ضعف الاستعذاب منها ومن جملة هذه بئر انس وقد صارت ببركة تفله فيها
اعذب بئر المدينة فماؤها الذي تفل فيه … ملوحة اعذب بئر في المدينة فتنبه

من هذا

من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله فتامله ثم رايت للبغوي في الصحابة من تراكم سلمى
ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء لما في الحديث السابق في بئر رومة
ما يستنكرونه من مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقدم في بئر انس يدل على
ملوحتها بالكلية وانها صارت اعذب حتى من بئر رومة ثم رايت الزركشي شارح مقامات
الحريري ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بئر رس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان
اجاجا وما ذكره فيه صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي انه لم ير اصلا لحديث
تفله صلى الله عليه وسلم في بئر ارس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة انه
صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحج ما قاله الزركشي لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة
كون مائها اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن ان
صح ولعل الناظم راى ذلك في كلام مثل الزركشي ممن لا يعتبر في الحديث فاعتمده ثم رايت
الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم عذب بر الماء الملح
ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بعذب لا باعذب ان ريقه فيه من ذلك فلا يكون
فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرطا مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يعني الا
الندم والتوجع منه والتاب عليه بان اقول على الدوام ولا سيما ان اه كلمة توجع اي
وجع عظيم وتندمي دائم من اجل ما خطت على نفسي من الذنوب قبائح العيوب ان
يعني اذ ملحت وما نرى ان كنتم مؤمنين وبما قدمته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد
عنه صلى الله عليه وسلم انه توبة اي معظمها المتقبل لنا فيها فانها كالحج عرفة كان تعني

الف من عظيم ذنب من اضافة الصفة الى الموصوف هاج اى هيجاها وهو التوجع المفيد
للتوبة كما تقرر ويصح ان يكون ان على حالها من الشك لوما وان سلمنا ان كلمة او تفيد التوبة
لكن قبولها ظنى لا قطعى على الاصح ولك منعه بانه يكفى فى كونها بمعنى اذ ان قبولها ظنى
لان طرق الوقوع ينافى وضع او من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها
ليبين ان الاهتمام بها امنع من الاكتفاء بها بالتعريض فقال ارتجى اى املى
لحسن ظنى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بربه وبقوله انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا التوبة وهى الندم
على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وعرف
دوامهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها
من حيث الندم عليها لا لغرض اخر وعزم ان لا يعود اليها ما امكن كذلك ايضا لا
قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها قضاء ما عصى بتركه اداء ثم قود او باداء
ما عصا باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه
متى قدر على الخروج منه لصدره والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا ويصح منها
من ذنب دون ذنب ويصح على الاصح ايضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عودا اليه
وانما يكون ذلك النصوح اى التى لا يعود مرتكبها الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة
عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض اخر ولو اخرويا كان تاب
لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر فى صحة اصل التوبة وانما يؤثر فى كمالها لانها
مشوبة

مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال ثم وما امى ان الا لبعيد وانه لخطير
لها التائب لكن التى يفيد هذا الترجى والحال انه متلبس بما قدمنا فيها اذ فى القلب ما فى
من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهره من حيث الاعتقاد لان ذلك انما
يصدر ممن امن بلسانه فقط وفى القلب وان كان تائبا اى نظرا الى الخلق باعتبار ان ما
لا يصلح منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب الرفق او ثناء من مخلوق ومع ذلك
لا انى لك التوبة ورجاء قبولها لاجل ذلك فانك تابعه واستغفارا وان كان محوجا
الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار ومنى للاستغفار التحجى تستفهم قلبى بان
لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله عز وجل من اهل ومال وجاه او غير ذلك بل الى الله
وحده والحال انى سلكت الى حالة تدل على غلظ القلب وقسوته وعدم قبوله الخروج عما
جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هى انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبرى
اى كبر سنى وهو عظمى من كبر بكسر الباء اى اسن وانحناء لقامتى وهو من عطف
الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة
وهو تقويس الظهر بعد عدم الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب
لين فادنى وعظ يؤثر فيه واقل نهى يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة
سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن لانى كنت فى نومة الشباب الذى يكثر
فى الغفلات ويتوالى على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتى حتى صرت كالنائم المستغرق
الذى لا يستيقظ من نومه الا بحركة قوية فما استيقظت من تلك الغفلة فى حال

الآن الحال لمتى اى لحيتى شمطاء اى اختلط سوادها ببياضها بما تقرر فى زمن الشباب الكى انه
محل قرب التوبة ولا من جاء بادنى وعظ وهنا انه محل الفضلات والهفوات لما سافى بينهما
لانه وان كان محل الهفوات والزلة لكن صاحبه بتوبته سريعا الى زلته ويرجع عنها
كان الحدث الرطب ينفتح اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك
من كل هفوة وزلة لكن صاحب المرتكب للمعاصى الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة
فى حالة عوده فتحين صلب فلا ينفتح اعوجاجه الا بعد الباس ويشهد لذلك الحديث
ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق
وقد بلغت هذا السن الذى يعسر فيه التوبة كما تقرر تمانيت اى طلبت انه تمنى اى اتبع من القوم
الصالحين السابقين الى المراتب العليه والفائزين بنيل المراتب السنية فطالت على
مسافة بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها وانقطاع لاعمالهم واخلاقهم لانهم
استغرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا الى الله تعالى عن كل علقة تعقبه فبسبب طول المسافة
التى بينى وبينهم وراء خبر مقدم السائرين اى السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا
وهذا اليه عن رأيهم الذى هو القياس ليجيد انهم احيوا ليلهم بالعبادات واستأنسوا
فيه بلذيذ المناجات وهو اى ذلك العبد امامى جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله فقد
انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم سابق عليه وبينهم موانع سبل
منسد اى طرق وعر تعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال
والتخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم

ثم الصام

على القيام بما قاموا به اولئك وارض قراء بفتح اوله اى فضاء واسعة جمع اولئك القوم المدلجين
اى السائرون من اول الليل والقياس جمعوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على
فريقين منهم من يحيي بعض الليل ومنهم من يحيي كله او اكثره وان هذا القسم الثانى افضل
واكمل لانهم دائما يجددون جدهم مما لم يره من قبلهم خبب اى عاقبة سراهم من
الفوز برضى الله وقربه والاطلاع على خفايا معرفته والتمتع بشهوده وهذا
مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وكفى من تخلف عنهم فى سيرهم فهذا
راجع لقوله فوراء السائرين وقوله حمد راجع لقوله السائرين فهو لف ونشر مرتب
الابطاء اى التانى فى السير المفوت لادراك من ان يهم وفى ذكره هذا ايماء الى غاية
التحسر وانا لم تذكر لهم اى حمد واعقباها وخاتمة لعجزه عن ادراكها لما هو عليه
مما لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطائف وتقاعده عن بلوغ المعارف
كيف وما هم عليه من الجد فى السير الى الله تعالى رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن
الشبهات وقبائح الالذات وقواطع البطالة ورحلتهم هذا عزم على ان اقتفيهم فيها
لانى لم يزل تفندنى اى يكذب على او يضعف رأيي الصيفا ذا ما ذا ان نوبها الشتاء
كذلك اى اذا جاء الشتاء انى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار
فيعسر السعى فيها واذا جاء الصيف اوله اصبرها الى الشتاء لان الاعمال يكثر فيه الحر
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصام
وفى سنده من ضعفه جماعة ووثقه اخرون والارجح توثيقه فى هذا السن فهمه ومن ثم

صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل
للقائم واما نهاره فقصير للصائم وحديث لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ
الشتاء ومما اجيب لطالبي عن تلك العلة انه يبقى من وجهي وهو ما يبدو من
الوجه الحر والبرد باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة في الشتاء
والصيف كان ما في البيت الذي قبله ذلك والحال انه قد عز اي صعب علي من نظري جهنم متعلق
بقوله لا تقاء كونه متلبسا بها ثم رتب عليها الا ان يتعمد في الله برحمة ولاجل هذا
ضعفت ذنبها بالمعجمة من اجل ما مصدرية او موصولة جنيت اي ضعفت ما فيه من ان تحمل
ذنبه ولم اجد من يخلصني من ثقله واصل الذبح الحلق فيومي قطع بي اي شديد في هذا
كذكر عراء والركة والصيف والشتاء ضعفت ذنبها فيه اقتباس من الايات المذكورة
فيها ذلك وتلميح اليها فيها من القصص وليلي دعاء بالمهملة اي مظلمة كناية عن سيئة
ما يلقى فيها واصل الدعاء التي يطلع نورها عند الفجر ومراده ان ذلك الشيء صلاة له
نهارا وليلا لا ينفك عنه واحد منها ولكن خففت ملتح لذاتي تذكرت رحمة الله اي سعتها
التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي اي ان مظاهر الرحمة
غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا
كبيرا فتسبب عن ذلك البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر هو تلقاء هذا ان جعل
له خبرا وتلقاء خبرا ايضا اني اي في اي مكان انتحي اي اتوجه تلقاء اي مقابل اي فالبشر

مقابل لوجهي

مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة وصعوده الهامع
نظري الى قول الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدي
بي فلا يظن بي الا خيرا فتسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة
المقتضي لسعة الرجاء الحق اي اقام الرجاء والخوف بالقلب فهما على حد
سواء كما هو الراجح عند ائمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين
ونحو يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله ولا يغلب الخوف
لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ووردهما انهما اذا استويا امنت غلبة
احدهما فلا محذور حينئذ بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى منها المحذور الذي في
مقابله اما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو
يحسن الظن بالله اي يظن انه يغفر له ويرحمه والخوف والرجا انا نويدا على
القلب اخفاء اي استيفاء بها نعم تضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف شدة
سعة جهد النفس لانها يوافق من لازمه الكف عن كل محرم بل شبهة بل وعن افضل
عن حاجته من الحلال كما هو شان الزاهدين اذ لا يحملهم على ذلك الا عظم خوفهم من
هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة
وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى وينجا من تبعتها بكرمه واذا تضاد
مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقصيه الاخر لكن تقرر ان
الصحيح انه يستوي عند المقتضيان لئلا يغلب احدهما على الاخر فيخشى منه المحذور السابق

انفا ومن ثم قال يا ايها من غلبة الخوف المقتضي لليأس لا تأس اي يا صاح فيه توبيخ
اذ الاصل بانتفى لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الدأب في الطاعة لضعف
همتك وغلبة بطالتك فانها بك الرحمة فهلك من اهوال القيمة واستأنس اي اقترب
بها الاولياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجرعها المكروهات حتى تذوب عليها
فما تبعتها من الدماء لوفائها واعظم منها هنا ان فيه شائبة تعليل النهي عن الياس
ان ضعف عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف
والشريف والوضيع واحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفاء الذين لا يقوى
على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله في
عباداتهم فهم اقوى نية للعبادة وابعد عن الرياء وربما حصلت لهم بسبب نفحة سبقوا
بها الاولياء وفي حديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لاني مطلع على
رضائي ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك انه صلى الله عليه في منامه الذي
رآه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة ابي بكر وطول مدة عمر
اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد الانبياء نحو ذلك الضعف فقال بعد ان نزع
الله على بئر وانه نزع منها ثم ان ابا بكر اخذها منه فنزع بها دلوا او دلوين
وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهذا ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف
وافتقار وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اي
الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار او ضدهما ثم استند

على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بما هو ظاهر في الوجه فقال فسبب
الاحقية المذكورة للضعفاء ابق في الضعفاء المتبهتين نحو العرج جمع اعرج
وهو من برجله داء يمنعه من استقامة المشي عند منقلب الزمر اي رجوعه الى
وهو جماعة الغنم فهي العرج تسبق العرجاء اليه فيفوتون منه بماء موليها فيأخذها اي
بها السبق فكذلك بالذلة عن كثير الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر منها
لانه قد يصحبه من الذل والافتقار والاخلاص ما يخلف بالذلة بخلاف المتكثر
فقد يصحبه من العجب والافتقار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن
عطاء الله معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا ومع علم
انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك وكلامه وانما
الذي افاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي يصحب الطاعة فيكون ذلك
مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها
فكذلك كلام الناظم هنا وهما وقلوب ينزل على هذا فتنبه له واذا تأخرت عن الطاعة
لضعفك عنها فلازم الذل والانكسار لا تقل حالكونك حاسدا لغيرك الذي اكثر
منها اي متمنيا زوال النعمة التي هو عليه هذا لقوي بسبب قوته امرت فله اي كثرة
اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح ووجه التشبيه بالنخل
لان النخلة من افضل الاشجار لانها خلقت من فضلة طينة ادم وفي خبر قال صلعم
اكرموا عمتكم النخل ولاجل هذا شابهت الادمي في كثير من صفاته الحسية والمعنوية

كما لا يخفى وتخلى اى عما ليس فقاء بالفتح اى كالنار بلا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب
ضعفها لا نك ح تعترض على الحكيم فى فعله تخصيصه لكل منهما بما اراده وقدره
ومن ثمة كان الحسد كفران نعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج
بحاسد المنصرف اى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تتمنى ان يكون
لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما اشار اليه صلى
الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين الحديث واحذر ان تتكل على رجاء بلا حفظ
من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل ومن ثمة قالوا كل رجاء لم يصحبه
عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد واثبت بالمستطاع من عمل السنن امتثالا
لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
فانه صلى الله عليه وسلم لما قيل له هذا بابك بعيد ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر
فلا يكفر قالوا ابنا يطيقون لك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب انما هو ما
يقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان يكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ
وهو الاولى فقد ينفع القليل ما لا ينفعه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وا
كما انه قد يسقط الثمار الكثيرة اى النضيجة الاثار اى النخيل الصغار اذا خلصت
ارضه ونادر خصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد تنفع بسبب ضعفك
بالمعنى السابق عما لم ينفع به القوى الناظر الى قوته نفسه ففى كلامه هنا
من تمثيل وتذييل وهو ادق فنون البلاغة والطف طرق البراعة فتفطن له اما

بتخيل

بالنخيل الصغار وقع فى كلام الشارح ولم يبين ضبطه اهو بفتح الهمزة او بكسرها ولا انه با
المثناة او المثلثة ولم ار فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح وانما الذى فى اساس بالفتحة
ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر والثمار وفى الاثاث كالاناء بالمثلثة تفسيره بالحجارة
والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وصعب
عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضرب حجر واعلم ان افضل الاعمال واسنى
اثمارها واعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير ديني ودنيوي
وح فعليك ان تكون ممن امتلاء قلبه بحب النبى صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من اهله وماله وولده والناس اجمعين ومر الكلام على ذلك
قريبا بما ينبغى مراجعته واذا حببت بهذه المحبة فابغ اى اطلب رضى الله ففى حبه الرضى
من الله نعم المنعم بما لا يحصر فى الحياة والحباء اى العطاء منه تعالى بجميع الخيرات الدنيوية
والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على حذر من
ذلك اذا طلبته بمحبة صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم الله
ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والحزن والاستغاثة بمن
لا يخيب المستغيثين به فقال متوسلا اليه ببركة توسله به ليتخلص من فرطات ذنوبه يا نبى
الهدى اى الدال على الله بالنبوة ولكل منه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والا
الهداية بالنبوة للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء استغاثه

بل لو نفع خبر مبتدأ محذوف اي مشتكي وهو نداء من مخلص غريسة اي مخفضها والنصب مفعول مطلق اي استغيث
بك استغاثة اي ناديتك نداء ملهوف اي مضطرب متحير محتاج الى من ينقذه مما يهلكه اي
عجالة الجوى اي امسكته ذنوبه عن ضعف همته و ذلك لانه يدعي الحب لله ورسوله وهو اي
والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما لانه لا يزال يأتي نفسه او غيره بالسوء
اي الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا اشار الى تمنيه ان يصدق في دعواه محبتهما فقال
ومن استفهامية اي من الذي يتكفل لي فيه التفات ان تصدق مني الرغباء اي
المصمم في الرجوع الى الله بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقض
اي نقض دائما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يمر بباله ولا في النوم ومن هذا
حاله اي حب يصح منه التفات والحال ان طرفي في التفات للكرى اي النوم واصل لا ينفك
النوم عنه في وقت وليس هذا شأن المحب وطيفك اي خيالك راء اي محجوب محتجب عني كما احتجب
الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها بل يرادفها
او يعقبها بما يخلو من ان يعبر بلفظة بالراء فصار يهجر الشيء المسمى تمثيلا عندهم بهجر
واصل للراء ففي النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم
لانه اشار الى قصة واصل المار اليها وفيه الاستفهام الانكاري اي كيف يصدق محبتي
وانا مواصل للكسل والنوم علمنا ان مواصلة النوم لا تأتي في المحبة لانها
فكيف يوجد مع عدم حضور خيال المحبوب بضميره ولا في حالة النوم هذا نافي المحبة

كما هو

كما هو محسوس لكن يستلزمها ان طيف المحبة لمحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد يختلف
هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد على ما تقدمه في ان فقد حضور الطيف هل هو لذلك اي لعدم
فقال ليت شعري اي ليتني علمت اذاك اي اعدم حضور طيفه بقلبي من اجل عظم ذنب وقع
مني وهو الظاهر ام خطوط المنيبين اي الحجب خطاء جمع خطوة بالكسر والضم وهي المكانة
والقياس في الجمع الضم والكسر كغرفة وغرف وبين خطوط وخطى الجناس المطلق اي نصيبهم
من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كبير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل
ان يكن عظم زلتي التي ارتكبتها حجب رؤياك اي رؤيا طيفك عني في النوم التي قصدتها
فقد عز داء قلبي الدواء اي قل بل عدم الدواء الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد
له شفاء بوجه لانه لا يوجد له الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه اخذ
انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن احدا منهم ان ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود المحبة التي
سبق انما هو لمزيد الخوف فان الانسان على طبعه ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا
لا لزوال المحبة بل هي ثابتة وصادقة في محبوبه واسع وانه كانت ذنوبه كثيرة ومع كيف
يصدى اي يعيب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب قلب محب لك وهي الحال له اي
لقلبه متعلق بمجلاه ذكراك مضافا للمفعول اي ذكره لك بالتصلية والتسليم عليك يا رسول الله
وسؤال الوسيلة لك وغيرها مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم
مفتقرون الى ذلك وينتج للفاعل اي ذكراك له الجميل العائد على الذاكر بما لم يكن
في حسابه حلا و ولما غلب على ظنه ما اشار اليه التردد فيه بانه في قوله ان يكن اه

من ان سيعجب الى يوما عنه عظيم ذنبه خرج كما يصرح من يجد اخذ ماله او قاتل ابيه
بعد ياسه منه فقال هذه علتي التي انحلت جسمي وادهشت لبي لا عنها والحال انك
انت طبيبي العالم بها الماهر في ازالتها فانه ليس يخفى عليك في القلب داء
وانت لا احد من الخلق اكرم ولا احلم منك فعجل لي بدواء ذلك المحصل للصحة من
وهمه جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب و دائما فعت
اليك فصني شكوت اليك قلة حيلتي مما جنت على نفسي لان من الفوز اى النجاة و الظفر
لمثلي بجميع المطلوب الذي لا فوز اعظم منه ان ابدى من بث وابث نشر اظهر شكوى
هي الاخبار عن النفس او الغير بوقوع فعله لكن هذه انما هي شكوى مني لنفسي اليك
لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك في ضمن مدحي لك ما كاد ان يهلكني من عظيم
ذنوبي وقبيح عيوبي رجاء ان تلحظني نظرة تزيل عني كل همه وتوجب لي صفحك كل [illegible]
لان رحابك فيك واسع ومحبتي لك نامته(?) وهي اى تلك الشكوى الواقعة في ضمن
ذلك المديح البديع اقتضاء اى طلب عن كرمك الواسع وفضلك الهامع ان تخلص
من تلك الفرطات وانجو من موبق سائق الورطات وان يحصل لي الشفاء من جميع
الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسئول ومرغوب لا سيما لمن
ضيفك الغاني في محبتك كيف وقد ضمنتها ما [illegible] للمعقول اى تلك الشكوى تشتمل
وتعود على بركة قبولها ما هو المقصود منها بالذات مدائح لجنابك بديعة جمع مدحة
اى كلام متضمن للثناء الجميل الذي هو المدح المباين للحمد والمرادف له او لا عم منه او الاخص

اقال

اقوال مرت مسنطا با لرفع صفة مدائح الذي هو نائب الفاعل فيك منها اى من تلك
الشكوى متعلقان بما قبلها او بعدهما ومن تبعضية المديح لك والاوصاف من سامعها
الباكرات اوصافك الكريمة نبينها فصارت بها في غاية الكمال الذي يشنف الاسماع
و يملا عبرة ارجاء القلوب والبقاع استطابة ذلك المديح ان الله نعم بره
على في هذه القصيدة البديعة ببركة النجاني الباذ فكل ما مصدرية اى ان
تلك الشكوى مديحك اى لا يوان مدح فيه لم اسبق اليه او اسلوب من انواع البلاغة
بك والمطلوب منها ان تجري على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة الا سامعها
ميم و دال و حاء اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح اى ما توقف على معنى
او نوع من تلك المعاني او الانواع فوجهت همتي الى الاحسن منها الا وجدت
الالفاظ الدالة على مدحك نادرة لى بادرت بعبائر اللطف وساعدتني عليها
الاسعاف فاتى وفرحي منه بما هو ابلغ وابدع وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح
وعليه قال المعنى كلما حاولت مدحك في غير حال كونه بها مساعدة بهذه الحروف
الاربع فانها لا تصح بل تكرار انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ في غير نفي
او شبهه وهو النفي او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة وقد جوزه في المغني
كقام الا زيد ورد عليه بانه يلزم الكذب اذ تقتضيه ثبوت القيام لجميع الناس
الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفي عنهم الا فرد فانه جائز فان قلت جوز المبرد النفي
في موجب يلزمه النفي معنى كلو ولولا نحو لولا القوم الا زيد لاكرمتك وما هنا

كذلك كون قبل يليه نفيها عدا لقبيل فهو نفي الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريغ
يدخل في الجملة الثانية التي هي الاولى واما الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت
عليه الا على ان كون قبل يفيد نفيا يشبه نفي الذي في التفريغ ممنوع واذا
تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال فاعل قبل محذوف دل عليه المذكور وان
ما نافية والا استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير قبل ان ينتصب على ما
ادرته من مدحك لا تني ما حاولته في حال من الاحوال الا ساعدني مدحك على كل
ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة المسهلة على ما ادرته من على انواع البلاغة
حوت اي ثبت واستقر لي فيك اي في مدحك ما لم يكن في حب وهو ان اساجل
قوما وهم الشعراء الذين مدحوك اي افاخرهم فاقول ما صنعته خير مما صنعتم
وابين لهم ذلك حتى يذعنوا لي بذلك يصيرون قد سلمت لدلوي الدلاء
وح اي في زمنك ما بلغ ما فاتوا به وحينئذ فالدلو كون السجل هو الدلو العظيم الملئ
ماء مذكر واما الدلاء فهو مؤنث الدلو ومن هذا في نسهم الحرب بينهم سجال ككتاب
اي يجل منها على هؤلاء واخرى على هؤلاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق
على تنازع المتفاخرين على نوب دلاء مختلفة يريد كل منهم ان يظفر على صاحبه بك
دلو قبل الا خيرت شبه بهم المادحين له في تنازعهم فيما يحرزونه وادعاء كل ان
ما ابدعه خير مما ابدع غيره فهل استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة
تخييلية وذكر الدلاء ترشيح ثم اسنادها للجملة اخرى ليمتنع عليهم تسليمهم له ذلك

٢٨

ان لي فرحة بالفتح على مدحك اي حميته توجب لي ان لا احب ان غيري يستفتح
فيه والحال انه قد زاحمني في المعاني لفاظ مدحك الشعراء وارادوا ان
يسبقوني فيه والحال انه استحكم لقلبي فيك اي محبتك العلق اي مجاوزة الحق
الذي ما يخ اليه امثالي وانى يكون للساني في مدحك الغلواء اي الاسراع
والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك لي بما يمير
عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو انى يحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى واين
نحو انى لك هذا وترد ايضا بمعنى متى اي حيث ويحتمل الكل فاتوا حرثكم انى شئتم
لكن الذي اختاره ابو حيان وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة
ما قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفي بما بعدها كما شانها ان تكتفي
بما بعدها ان يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او فعلا ويصح كون ان
اي وانى فالياء اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا يخفى فبسبب صدق محبتي
وشدة غيرتي ومزاحمة اخواني لي مع ادامتهم التقدم على انبسطا اي فرحة
لي على هذا المدح البديع بان عددها مما يفوق به جميع مزاحمها ومسابقها فانك
اكرم من جازى محبيه واجود من جاد على مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم
مدحة كيف وقلبي بالله يدله مدحك لانه يحمله على ان يبذل وسعه مع صدقه
التوجه اليك ويبذ في اختراع ما لم يسبق اليه ولا حام احد حوله عليه علما اي حل
علمه بانه اي بمدحك اللاواء اي الفرج التام كذا في القاموس وغيره فان كان

ان لي

بالجيم فوانح اما بالحاء المهملة فضبه نعت ويصح ان من تلالاء البرق بمعنى لمعان اى ملما بك
مدايحك بغير قلوب المادحين لا سيما البلغاء منهم حتى يأتى فى مدحك بالمعانى البديعة والالفاظ
العجيبة كما وقع فى هذا النظم لتبرع ملوغيره باوصافها انه حالك اى نسج ذلك
الخاطر فيه من صنعة القريض اى الشعر بردا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية
فيه زينة لك لم يحك وشيتها اى نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن
مشهورة بجودة النسج والوشى شبه المعانى البديعة فى ادهاشها للقلوب عند سماعها بالالوان
الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهى الوشى والحوك
كما اثبت للمشبه به ما هو ملائم له وهو كالقريض فضبه استعارة تصريحية مرشحة بذكر
الوشى والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد اعجز الدر نظمه اى ان نظم هذه
القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذى
يبهر العقل ويخطف البصر بصفو وصفائه فاستوت فيه اى فى العجز عنه اليدان
اى الفريقان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة
والخرقاء اى الغبية فعجيب ما تميز به هذا النظم عن غيره انما نهه اى اهله باخبار
امته المادحين وجاه العارفون واكرم خلق الله واجودهم ونجاره عما فيه بان كان
فيه من الفصاحة ما لا يدركه فيركبه يا افصح امرئ نطق بالضاد اى يا افصح العرب العرباء
وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها
غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب فانهم احسنوا لكنهم متفاوتون فيه وكلهم

لم يصل

لم يصل احد منهم الى الحد الذى كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى ادائها وكان
وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ فى بلاغته لا يتأهل لمدحه
مدحه لان فصاحته معجزة لغيره فان بلاغة تؤدى ما يليق به فكانه يقول يا افصح الفصحاء
قبل ما جئت به وان لم يتم اداء فى رائحة من روائح فصاحتك بل ولما وفى بما يليق
بكمالك ويؤيد هذا قوله لا وفى بذكر الايات الخ بسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر
النطق بها على غير العرب وتعذر نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من
مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد فاقت فاعله الظاء واسا بعضت الى انها تشتبه
بالظاء الفاء ثم حالكونها نقا رضها الضاد الظاء لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية
اى ارادت الظاء فضلا عن غيرها ان تحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم تحصل لها
فعادت ثم تطلبى من كرمك يا اكرم الخلق الرضى بهذه القصيدة لتيسر لكونها وفت بحقوقك
الواجب استقصاؤها فى مدحك بل تطمع فى سعة حلمك وجودك اين ذكرى الايات فهذا
النظم اى الخصائص والمعجزات التى علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق او
فلا مدح حالك اذ لا يمكن ان يوفى ذلك الا من احاط بمقامك وانى ذلك لغيرك
مثلى ابن سمتى الوفاء بذلك وانا من جملة العاجزين المقصرين وايضا الوفاء
بذلك وهى محصورة وكمالاتك صلى الله عليه وسلم غير محصورة ام مقصلة اما رى اى جادل
بهن اى بذكرى لتلك قوم نبى اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم اذكر
تلك الايات بقصد انى او فى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان اجادل

بها امته ومن ظن بي واحدا منها فهو غبي لا يفهم ولا يعقل شيئا ساء ما ظنه بي الاغبياء
لا تهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه وذلك استئناف لحظ
على الحذف اي اولئك الامات التي لا تحصى وذلك الامة الوسطا كما قال تعم وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس التي غبطتها من الغبطة وهي كما تمنى
وذا الانسان ان له من الخير مثل ما لغيره من غير سلبه عنه والحسد تمني ذلك مع سلبه عنه بل
لمّا اي حين انبئها اي ارسلت اليها الانبياء فانهم قالوا كما في آل عمران واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ... الكلام عليها لكنهم ودوا ان يكونوا
من ابناء ملك الذين بعث فيهم فاطاعوك فان قلت كان الظاهر غبطتها الانبياء لانها فضل
من امة نبيهم بنص جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اي ودوا ان يكون لهم مثلهم
كما صرح به موسى فيما يأتي قلت هذا وان كان هو الظاهر لكنه ارتكب فيه القلب الذي
هو من احد انواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل
من افراده فتأمله ثم ذكر ما يدل للظاهر المذكور وهو ما رواه ابو نعيم ايضا ان الله لما
ذكر لموسى صفات هذه الامة قال يا رب اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلني
من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال وعلى
نظرك اليها لم تخف بعدك الضلال عما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التي
لا يزيغ عنها الا هالك والحال ان فيها اعلام الهدى فهم قادوا نحو هديك اي ما كنت
عليه انت واصحابك وهؤلاء هم العلماء الذين هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع

ابي الحسن الاشعري وابي منصور الماتريدي وذلك كما اخبرنا به بقوله في الاحاديث
الصحيحة لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم
امر الله وهم على ذلك اي وهؤلاء هم اهل العلوم الشرعية والائمة من اهل
السنة لان الناس مع وجودهم امنون من كل محنة وضلالة دينية وبقوله العلماء
ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه
اخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية زيادة يحبهم اهل السماء ويستغفر لهم الحيتان
في البحر وفي اخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي اخرى اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم والجهاد وفي اخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انهم لا يوحى اليهم
وفي اخرى من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
ورواية علماء امتي كانبياء بني اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان
العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة
والرسالة ومنه فهب لي من لدنك وليا يرثني وللخبر الصحيح انا معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة واشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه
الامة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفه منها
كما في حديث ابي نعيم ان موسى لما رأى مدح هذه الامة في التوراة قال يا رب
اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد
ثم كرر ذلك مع اوصاف اخر وكرر جوابه كذلك قال يا رب اجعلني من امة احمد

فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي فقال موسى يا رب وفي رواية انه سأل
ربه هل في الامم اكرم عليك من امتي فبين ان فضل امة محمد على سائر الامم
كفضله هو على جميع خلقه ومنها ان احدا لا يدخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية
المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح الصلوة فيها وجعلها
مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع صلوة الخمس والتأمين خلف الفاتحة كما صح
به الخبر والركوع لخبر رواه البزار والطبراني في قوله تعالى قال جمع مفسرون
ان صلوة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعوا مع الراكعين بصلوا
مع المصلين وان صفوفهم كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري
وساعة الاجابة يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الآية لمطلق الصوم
كتب على من قبلنا في سنده مجهول ونظر الله اليهم اول ليلة ومن ينظر فيه وخلوف افواههم
اطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وحصول المغفرة لهم
آخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا بأس به بلفظ اعطيت امتي في شهر رمضان
خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار
والسحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعم والجماع الى الفجر والاسترجاع
عند المصيبة قال سعيد بن جبير ورفع الاثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم
كتحتم القصاص حتى في الخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وموضع النجاسة وقتل
النفوس في التوبة والمؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر

وان الله

وان الله لم يجعل عليهم في دينهم من حرج وان الاسلام مختص بهم عند جماعة لكن
الذي اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم اكمل من سائر الشرائع
لان نبيهم اكمل الانبياء وقد كان لموسى شريعته في كل وجه وشريعتنا عدل
فيها الامران فلمن عرف نسخة تلك وليس هذه وامثال ذلك في جميع فيها انها وقرر
وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة
على غيرهم في القيامة فاقامهم مقام الانبياء في الشهادة عليهم وكمل لهم المحاسن
ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم ما فرقه بين الانبياء وكتابهم ما فرقه في الكتب
وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما في الحديث المشهور اسانيده كثيرة وشواهده متعددة
من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفيه حديث ضعيف منقطع
اختلاف اصحابي لكم رحمة وفي رواية اقتضى كلام الخطابي ان لها اصلا عنده
قريبة نعم كثير من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس وان
الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم لخبر رجاله ثقات وانهم حفظوا اسانيد
على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في امته وان فيهم اقطابا واوتادا
ونجباء وابدالا كما جاء في احاديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم
بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق
عنه الارض رواه ابو نعيم ويدعون يوم القيامة بالغر والمحجلين من آثار الوضوء
رواه البخاري اي ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون

نبيهم على كرسي شرف في الموقف يغبطهم فيه جميع الأمم رواه جماعة وبتميزهم بسيما التحجيل
في وجوههم قاله ابن عباس وهي بياض يشرق وقال شهر بن حوشب كالقمر ليلة البدر
قال ثم سيماهم في وجوههم الأثر هل هذا في الدنيا قال ابن عباس السمة الحسن
والسمت الإسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من أثر السهر وبتوتيهم كتبهم
بأيمانهم رواه أحمد وفيه يسعى نورهم بين أيديهم كما هو الخبر ويحصل لهم ما سعى
لهم من صومه وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل كل عبادة عند كثيرين وإن ليس
للإنسان إلا ما سعى منسوخة أو في حق الكفار ويدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب
رواه الشيخان فزاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون ألفا فيبلغ
أن في الأمة والذي هديك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم
من الأمم انقضت أي الأنبياء أي معجزاتهم كانقراض شرائعهم بموتهم وإن كان
من بعد موسى إلى عيسى إنما هو مرسل بكتاب موسى وآياتك أي معجزاتك في زمن
قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك وما لهن انقضاء فيه العكس نحو لا هن حل
لكم الأمر ودع العجز على نقصه أما الأولان فقد أتى منهما جملة منها في كتب الله
من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وهاجر بين نخيل إلى أيام مولده ومبعثه
من الأمور العجيبة الموهنة الكفر وأهله والمؤيدة لسان العرب كقصة أصحاب الفيل
وعقاب أهله وخمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وغيض ماء
بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصائحة بخبره صلى الله عليه وسلم

وباوصافه

باوصافه وانتكاس الأصنام المعبودة لولادته وتظليل الغمام له في سفره إلى الشام وغير ذلك مما ورد
في الأخبار إلى بعثته مما هو تأسيس لنبوته وإرهاص لرسالته وأما الأخير فكثير جدا
إذ كل مؤمن يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسبب ما يدل على تعظيم شأنه
الكريم مما لا يحصى كما قال والكرامات الواقعة منهم أي الناس معجزات أي كل منها
إذا خارق للعادة ~~بسبب ما يدل على تعظيم شأنه الكريم~~ وإنما يفترق فإن التحدي
وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك نالها من نالك أي أعطاك إياها من الأولياء
وكان الناس حازوها لكنه أظهر لبيان أن مراده منهم العائد على الناس
خاصتهم وهم الأولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لأنه والى الله ورسوله
فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما ولم يبغضهما أو مفعول لأن الله والاه بتوالي
نعمه ورسوله والاه بمزيد إمداده وكرمه وضابط الولي أنه المداوم على فعل
الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قاله بعضهم ولك أن
هذا ضابط للولي الكامل فإن أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة
بالشروط المذكورة عند الفقهاء ومن معجزاته المتكررة الدائمة أيضا ما يقع للمتوسلين
به من خوارق العادات مما لا يحصى أيضا هذا كله مع قطع النظر إلى القرآن الكريم فيا
إليه وأنه المعجز الأكبر ففيه من المعجزات المتكررة بتكرار الأزمنة ما لا يحصى
أيضا واعلم أنه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في الأنبياء بأن جعله أول الأنبياء
خلقا وحاز بعموم الشفاعة أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع

واول ناظر الى ربّه واول نبي يقضي بين امته واولهم اجازة بامته على الصراط
وداخل الجنة وهم اول الامم دخولا اليها فزاده من لطائف التحف في تفاسير القرآن
مالا يحل كتبته ها هنا وخصصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضاء
وبلواء الحمد الذي تحته آدم فمن دونه وبالسجود امام العرش ويفتح عليه ح ما لا
يفتحه عليه ولا على احد قبله ولا يفتح ايضا على احد بعده وبالنداء يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وقيامه عن يمين العرش الذي لم يقمه مخلوق
ويغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته للانبياء على اممهم **تنبيه** علم مما تقرر
ان الكرامة ظهور امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت
ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به والا فهي استدراج
او سحر والا لكان مع مسيلمة الكذاب لعنه الله انه جاءه اعور يعوله فتفل
في عينه الصحيحة ايضا ويسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يدي عامي تخليصا
له من فتنة ويسمى معونة وانكر جماعة محرمون كالمعتزلة والاستاذ وفقهم بعضهم لكن
ينبغي تاويل كلامه لان جلالته تابى ان يرضى بهذا الزيف الذي انتحله جماعات من
الكرامة ووقوعها وعليه فقيل يمتنع كونها بقصد واختيار لانهما الى الفقهاء
ميزة الكرامة فقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست بالمعجزة ورده
الفخر الرازي بان المرضي تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات فان المميز
لها عن المعجزة انما هو دعاء النبوة وكانه لم يرض قول جماعة منهم القشيري ككلام

الى احياء

٢٨٧

الى احياء ميت ولا وجود ولد من غير اب ونحوهما ثم رد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة
لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير القرآن ان لا يمكن نظيرها
بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة
فلا يمنع الله تعالى شامله لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات
ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه كراما له ومن ادلة الوقوع النص القاطع بما
وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الاية وفي ولادة عيسى ولاصحاب
الكهف ولولي سليمان في عرش بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص
على ان المعتزلة لا يقولون بما سماه هو لا يمنع تسمية ذلك كرامة له على يد
من ظهرت عليه بالتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل احادا في كرامة الصحابة
لا سيما ما وقع لعمر وعلي وتابعيهم فمن بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد
يلحق ظهور معجزات الانبياء ولا عجب فانكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا
مشاهدة شيء منها فانهم وشيوخهم ولكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها
خارقا خلافا لمن زعمه لانه يلزم ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافي
طلبها بالتسمية للعادة المستمرة وظهور الخارق على يد الانبياء لا يخل بقدرهم
بل يزيد في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث نال اممهم باتباعهم مثل
هذه الرحمة لكن قد يكون الاقتداء بشرعهم والاستقامة على طريقهم وبما مر
ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من يعلم ان الكرامة لا تشبه

اصلا لانا نقطع بالحال من ظهر الخارق على يديه فان لم تقترن فيه شرط الولاية فذلك
الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او نحوه مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان
يقلب عينا كادمي حمارا ولا يقلب طبيعته بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما
واحد فان جمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوّز في حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الآية استثناء منقطع فيه بدليل فانه لم يقل
بل بغيبه اذ غيبه مفرد مضاف فهو تعالى النفي في هذا الكل فرد فرد
من المخلوقين اذ مدلوله كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم فيه فحمل الآية عليه
باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها احدا من خلقه وانما غاية من
اطلعه منهم انه اطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد
لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضروري بوقوع
الكرامات للانبياء والاولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص اي لا
يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من ارتضى من رسله واما البقية من الرسل والانبياء
والاولياء فلا يظهرهم على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصريح
ما حكي عن بعض الكرامية ان الولي قد يفضل النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة
الجهلة ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولي قد يبلغ حاله يسقط عنه فيها التكليف
قال الغزالي وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرره ولكن في الدين
اشد لكن من اولئك العارفان العالمان الوليان الكبيران المحققان المحبوس

بن عربي والسراج بن الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل منهم قدمه فطعن فيهم
الا ان يكون المراد بما قاله التبجح اعتقاد ظواهرها وانهم المتبادر منها عند من
لا يحيط باصطلاحهم انّ تاكيد لقوله ما لهن انقضاء من معجزاتك العجز
وفي نسخة الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اي عن الاحاطة بكل فرد
فرد من اوصافك التي اختصك الله بها اذ ما يحده اي الوصف المذكور الاحصاء
اي العد كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك سجاياك اي صفاتك و
الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة اقصى ما يمكن البشر المنتهى
اليه وهي لا حد لها باعتبار انك لا تزال تترقى في مراتب القرب في الحياة وبعد
الممات وفي الموقف وفي الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضاء وهل تنزح البحار
المشبهة اوصافك بها في ان بتلك قيام الوجود الحسي وبهذه قيام الوجود المعنوي
لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر من الله في امداده
الركاء المشبه بها الالفاظ في ان كلا شيء صغير بالاضافة لعظم المطلوب دون
انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستغراق بين المحاسن التي
بهما يذكر التوح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى
آخره لا تعد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا اني نصا ما انه ليس من غاية لوصفك
اي اوصافك توجد حتى اني ابغيها اي اطلبها وللقول اي مني غاية لما تقرر
ان ذلك الذي لا نهاية له اذ لا مطمع في الاطلاع عليه بشرحه لا تحد العبارة

مجلو في الفول منه فانه محدود ممنا و في بهذا اعنى قولي صمتي او لا وصفه ثانيا مع ما تقرر

بندفع ما اشار اليه الشارح من اشكال في ذلك فانها تأكيد والفرق بين الغاية

والنهاية اعتباري ومما يرتب بابا وايضا ما ابين ان تقول انما فضلها اي فضائلك

الحسان اي تشبهه من حيث الاجمال فيهما واما بالنسبة للتفصيل فمجزها شكل كل حي

الاحاد ابائك اي معجزاتك فيما نصك فيما نعده ونحسبه الاوناء جمع اني كمعي

وامعاء كذا ذكره الشارح والذي في القاموس والانى في يكسر والانا بكسر الوهن

والساعة من الليل او ساعة منه والاني كالي ويطلق على كل النهار انتهى والمراد هنا مطلق

الساعات اي اللحظات فكأنه هذه لا تحد فكذلك تلك هذا ولا نظنن اني باطنبي

في هذه القصيدة تعدادا وصافه صلى الله عليه وسلم اخالف ما قدمته انها لا تعد لاني

لم اطل في تعداد مدحك فيها لطيفي الحال ارم او بذلك استقصاه اي لا وصافه

وانما ما اردت بذلك برد الغليل بشفاء العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء

الذي هو منقطع هنا غير انى اي اردت الحصر لكني ظمآن وجدا اي من شدة شوق

لسماع تلك الاوصاف غاية الظماء وانقص لذلك الرواء من سماعها وما اي الذي يحصل

لي بقليل من الماء الذي اشير بها الورد منه الرواء مما بي من العطش فاطالتي في العد

لطلب مزيد الارواء من سماع تلك لا لطلب حصر لتعذره وفي كلامه استعارة مصرحة

لانه شبه شغفه بتعداد الايات وذكر افضل الصفات بظماء شديد لا يرويه الا الماء

الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارواء فتسبب حصول الارواء لي من تلك

الاطالة

٢٨٦

الاطالة اختمها بما هما المتعينين من الدعاء لك بالتسليم والصلاة امتثالا لقوله

نعم صلوا عليه وسلموا تسليما سلام عظيم شريف اي سلامة من كل آفة ونقص كائنة عليك

تترى اي تتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفي القاموس تترى ... ...

... وتري عمل الاعمال متواترة بين كل عملين فترة انتهى وقد يشكل على استعمال

الناظم تترى هنا ما يراد به ما ذكر الا ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق

التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوي

الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستئناس بفهم ذلك المخصوص او العموم منه

من قرينة المقام والسياق فتامله من الله وتبقى بر اي بسببه على ممر الاوقات

الى فنائها وما بعد ذلك مما لا منتهى له فوق لك البأواء اي الفخر لانك تسليم اسلمك عليك

مع التكرر والدوام زيادة في شرفك وفخرك وانما ذكرت سلام الله عليك

ابتداء صادرة الى شرفه وسلامك ثانيا لانك في الحقيقة لا يكافئك من سلام الخلق

غير سلام الله على هذا سلام عليك منك فما فيه من الحلو منه متعلق بابتداء لك متعلق

بكفاء السلام ولك بمعنى عليك كفاء اي مكافئ لحضرتك من المكافاة وهي المساواة

اذ كيف يساوي سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب

من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام عليك وان لم يكافئك

سلامه ثم قال وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل نام وجامد وفي نسخة من

ما لا ولي فغلبت غير العاقل لكثرته والثانية فغلب العاقل لشرفه على حقه

من فى السموات والمراد بهذا العموم ليحيى بذكرك الاملاء جمع ملاء وهى الجماعة

وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من رب ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات

ليجمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلام منه وفى شريعته وامته وجميع انواع

هذا العموم الذى يوجد فى السلام دون الصلوة خصه بالذكر وقد ذكر وكما ذكرته

فى كتاب الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا الباب مثله فوائد

الراجع للسلام وبكرره دون الصلوة ما يؤخذ منه ما ذكرته فتامله وصلوة وهى من الله

الرحمة المقرونة بالتعظيم اى قرابة وصلت وبكل مخلوق نظيرها من فى السلام كالمسك

فى الطيب والنفع البالغ تحمله اى ذلك المسك الذى هو عين صلوتى صبا شمأل

وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب الندى حتى يعطر الوجود بعبيره وهى الارواح

بعضه وعبيره او نكباء وهى الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب

وهى التى تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب بسميت ذلك

لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهى

حارة يابسة او من ورائها فالدبور وهى باردة رطبة او من يمينها فالجنوب وهى

حارة رطبة او من شمالها فالشمال وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب

عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدء بها الناظم ويلازم مضجعك اى

مرقدك المكرم وهو افضل البقاع حتى من الكعبة بل من العرش ويكون المراد والصحيح

هنا البقعة التى ضمت اعضائه الشريفة لم يكن فى افراد السلام هنا كراهة

لانه

لانه بمنزلة السلام عليه الذى ضم اليه الصلوة بتمامه تحمل بمجميعين اى تخيلك برمته

اى القبر تعبير سنته السلام بالماء الكثير الطيب لشابه البالغ فى النفع فهو تشبيها

مصرحة وتخيل له بذكر تحمل هباء اى لينة ذات رطل بهاء فى هذه القصيدة منه

بين يدى نجواى اى سؤالى منك بلوغ الماءمول الواقع فى هذه القصيدة بقولى حد ثنا

الخ وفى غيرها اذ اى لاجل انى لم يكن لدى اى عندى نوا ومالسلمة اى مال اتصدق به

امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ الامر فيها

كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو اءشفقتم الاية وجاء انه لم يعمل بها قبل

النسخ وتقديم الصدقة بين يدى النجوى غير على كرم الله وجهه ولا يلزم من نسخ

الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين

يدى زيارته صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء الندب

فاعتذر بانه لا مال له يتصدق به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه جعل

احسن توسله وثنائه بدل المال الذى يتصدق به تنبيه نفى لدى بعند

لانها مثلها فى اكثر احكامها من كونها ظرفا فكان تستعمل فى الحضور والقرب الحسيين

والمعنويين فيجتمعان عند مليك مقتدر عند ربهم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان

رحمتى سبقت غضبى ولا تستعمل الا ظرفا وفيه لك فلا يأتى فى ذلك انها تفارقها

فى كثرة جر عند خاصة وامتناع جر لدى مطلقا وفى ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعانى

تستعمل فى الحاضر والغائب بخلاف لدى فيها وبها تفارق عند ولدى لدن فى ان دنك

يصلحان في ابتداء غاية وغيرها ويكون فضله منوعنك كتاب حفظ ويعربان فيها فجلاو
في لغة الاكثرين وجر لدن الاكثر نصبهما وقد لا تضاف وقد تضاف الجملة فيها فجلاو
قال الراغب لدن اخص من عند لانه يدل على ابتداء نهاية الفعل ما مصدرية
ظرفية اي مدة دوام الصلاة للتعبير الى السرمدية وعبدالله فابد فهذا مع انقطاعه استغنى عنه
بما بعدها على انه لا تم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ويتعبدون كما علم
من احاديث اخر وان وقع فيها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا ينفي في ذلك التأبيد
انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله
ولا ينافيه الخبر الصحيح ايضا لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خالفهم الى ان تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء ان الله يرسل
ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا امات ثم يتمحض الكفر فلا يبقى
على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة وما قامت اي تثبت على ابدع نظام
وانفس احكام بنيتها اي بايجاده وامداده الاشياء اي الموجودات في الدنيا والاخرة
وانتهاؤها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار ثانيا والبرزخ بذكر المتعبدين في اخر الاولى
وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاولى ودوام الثاني
مع الاشارة بالختم بذكر الرب الى استفتاح ابواب تربيته واستماح مواهب لطفه هذا
جعلنا الله ممن حقق له حقائق قربه وامداده سعادته واسعاده وامتنا وكل فتنة تحت علينا
رضاه متفضلا بكل ما تمناه انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلم

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين صل وسلم وبارك افضل صلواتك وانهى بركاتك على افضل الخلق
سيدنا محمد وآله واصحابه عدد معلوماتك ابدا علينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك
وذكره الغافلون امين آمين. قال المؤلف وقع الفراغ منه قبيل نصف ليلة الجمعة
ثاني جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة غفر الله له ولجميع المسلمين

الحمد لله الذي هداني لاتمام ذا الشرح العظيم الشان
تأليف ابن حجر المكي الفاضل المحقق التقي
لقصيدة الشيخ فريد عصره الكامل محمد البوصيري
ما كان كل واحد مسهوا مبرئا بالهمزية
وفي المصنف اسمه ام القرى منظومة في مدح افضل الورى
والشرح موسوم بافضل القرى الكائن لقاري ام القرى
وافضل الصلاة والسلام على النبي الهادي الانام
واله الائمة الاعلام وصحبه ائمة الاسلام
تعبد بنسخه هذا حسن من تعب من مثان لعل ان ادخل بهم في شفاعتهم
ثم امتثال امر من كان ذا المقدار والفضل الجسيم الشيخ الاستاذ محمد الفهيم لا زال مسعدا
وفائزا بكافة المطالب

بقلم رشيد ... ١٢٩٢